
رواية
ماريا سمْبل
أين ذهبْتِ،
برنادَيت ؟
ترجمة: د. رشا صادق



أين ذهبْتِ، برناديت؟



اسم المؤلف: ماريا سمْبل

Author: **Maria Semple**

عنوان الكتاب: أيـن ذهبْتِ، بـرنـاديـت؟

Title: **Where'd You Go, Bernadette**

ترجمة: د. رشـا صـادق

Translated by: **Dr. Rasha Sadek**

الناشر: دار المدى

P.C.: **Al-Mada**

الطبعة الأولى: 2021

First Edition: **2021**



للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي أبو نواس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

Iraq/ Baghdad- Abo Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

+964 (0) 770 2799 999 · +964 (0) 780 808 0800 · +964 (0) 790 1919 290

بيروت: بشامون - شارع المدارس

Beirut: Bchamoun - Schools Street

+961 175 2617 · +961 706 15017 · +961 175 2616

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

Damascus: Karjieh Haddad Street - from 29 Ayar Street

+963 11 232 2276 · +963 11 232 2275 · +963 11 232 2289 · ص.ب: 8272

ماريا سمْبل

أيـن ذهـبْـتِ، بـرنـاديـت؟

ترجمة : د. رشـا صـادق



كلّ الأحداث والشخصيّات في هذه الرواية خياليّة. أيّ تشابه مع أشخاص حقيقيّين -سواء أحياء أم أموات- هو محض صدفة، وغير مقصود من قبل الكاتبة.


مكتبة سور الأزبكية
مكتبة سور الأزبكية

إهداء المؤلّفة:

إلى بوبي ماير

ماريا سمبل

هي روائيّة وكاتبة سيناريو أمريكيّة من مواليد 1964، في جعبتها أربع روايات، والكثير من المسلسلات التلفزيونيّة.

فازت رواية «أين ذهبتِ، برناديت؟» بجائزة Alex Award 2013، ورُشِّحتْ للقائمة القصيرة لجائزة Women's Prize For Fiction 2013، وتصدّرت قوائم أفضل الكتب مبيعاً لما ينوف على السنة ونصف السنة، كما اقتُبِس عنها فيلم يحمل الاسم ذاته عام 2019.

الأمر المزعج الأوّل: كلّما سألتُ بابا ماذا حصل لماما برأيه؟ يجيب دائماً: «الأهمّ هو أن تدركي أنتِ أنّ الذنب ليس ذنبكِ». ستلاحظون أنّه لم يُجِب على سؤالي! عندما ألحّ عليه، يقول الأمر المزعج الثاني: «الحقيقة معقّدة. ما من طريقة يمكن بوساطتها لشخص ما أن يعرف كلّ شيء عن شخص آخر».

اختفت ماما فجأة قبل يومين من الكريسماس دون أن تخبرني؟ طبعاً الأمر معقّد!

فقط لأنّ الأمر معقّد، فقط لأنكم تعتقدون أنّه لا يمكن معرفة كلّ شيء عن شخص آخر، لا يعني أنكم لا تستطيعون أن تحاولوا.

لا يعني أنني أنا لا أستطيع أن أحاول.

الجزء الأوّل

ماما ضدّ البعوضات

الاثنين، 15 تشرين الثاني

مدرسة غايلر ستريت: هي مكان تجتمع فيه الأكاديميّة والتراحم والتواصل العالميّ، من أجل خلق مواطنين مهتمّين بالشؤون المدنيّة في كوكب متنوّع مستدام.

الطالبة: بِي برانش

الصفّ: الثامن

المدرّس: ليڤي

المفتاح: S يتجاوز الممتاز، A ممتاز، W يقترب من الممتاز.

الهندسة: S، البيولوجيا: S، أديان العالم: S، الموسيقا: S، الكتابة الإبداعيّة: S، السيراميك: S، الفنون اللغويّة: S، الحركات التعبيريّة: S.

التعليق: بي هي متعة خالصة. حبّها للتعلّم مُعدٍ، وكذلك لطفها ومرحها. بي لا تخاف من طرح الأسئلة، هدفها دائماً هو أن تفهم الموضوع بعمق، وليس مجرّد الحصول على علامة جيّدة. الطلّاب الآخرون يلجؤون إلى بي كي تساعدهم في دراستهم، وهي تستجيب لهم دائماً بسرعة وابتسامة. تبدي بي تركيزاً استثنائيّاً عندما تعمل بمفردها، أمّا عندما تعمل ضمن فريق، فهي تصبح قائدة هادئة واثقة من نفسها. الملاحظة الجديرة بالاهتمام هي أنّها عازفة فلوت قديرة. لقد انقضى ثلث العامّ الدراسيّ فقط، لكنّني أتحسّر منذ الآن على اليوم الذي ستتخرّج فيه بي من غايلر ستريت، وتنطلق إلى العالم. فهمتُ أنّها تتقدّم إلى مدارس داخليّة هناك في الشرق، أنا أحسد الأساتذة الذين سيلتقون بي للمرّة الأولى، ويكتشفون بأنفسهم كم هي شابّة رائعة.

***

في تلك الليلة ونحن نتناول العشاء، جلستُ ما بين عبارات بابا وماما «نحن فخوران بكِ جدّاً» و«إنّها ذكيّة»، إلى أن ساد الصمت.

«تعرفان ماذا يعني هذا» قلتُ، «الأمر الكبير الذي يعنيه».

عبس بابا وماما، وألقى كلّ منهما إشارات الاستفهام صوب الآخر.

«ألا تتذكّران؟» قلتُ، «عندما بدأتُ الدراسة في غايلر ستريت قلتما إنّني لو حصلتُ على علامات تامّة في جميع الموادّ طوال فترة الدراسة، يمكنني الحصول على أيّ شيء أرغب به كهديّة تخرّج».

«أتذكّر» قالت ماما. «لقد كان ذلك من أجل صرف انتباهك عن موضوع المُهر».

«المهر هو ما أردتُه عندما كنتُ صغيرة، أنا أريد شيئاً مختلفاً الآن. ألا تشعران بالفضول لمعرفته؟»، قلتُ.

«لستُ متأكّداً» أجاب بابا، «هل نشعر بالفضول؟».

«رحلة عائليّة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة!»، وسحبتُ البروشور الذي كنتُ جالسة عليه. إنّه بروشور من شركة سياحة تنظّم رحلات بحريّة إلى أماكن بعيدة. فتحته على صفحة القارّة القطبيّة الجنوبيّة، ومددته عبر الطاولة. «يجب أن نسافر خلال الكريسماس إن كنّا سنذهب».

«الكريسماس هذا؟!» سألت ماما، «أي بعد شهر؟» ثمّ نهضت، وأخذت تحشر علب الطعام الجاهز الفارغة في الأكياس التي وصلت بها.

كان بابا مستغرقاً في قراءة البروشور، «إنّه الصيف هناك» قال، «وهو الوقتُ الوحيد الذي يمكن الذهاب فيه».

«الأمهار ظريفة»، عقدت ماما فوهات الأكياس.

«ما رأيكِ؟» نظر بابا إلى ماما.

«أليس التوقيت سيّئاً بالنسبة لكَ بسبب العمل؟»، سألته.

«نحن ندرس القارّة القطبيّة الجنوبيّة» قلتُ، «لقد قرأتُ كلّ يوميّات المستكشفين، وسأقدّم عرضاً عن شاكلتن[1]». بدأتُ أتلوّى في مقعدي ثمّ قلتُ: «لا أصدّق هذا! لا أحد منكما قال: لا!».

1- السير إرنست هنري شاكلتن 1874-1922 مستكشف إيرلنديّ، قاد ثلاث حملات لاستكشاف القارّة القطبيّة الجنوبيّة، وكان واحداً من أهمّ الشخصيّات خلال ما عُرف بالعصر الذهبيّ للاستكشافات. م

«كنتُ أنتظر ردّكِ» قال بابا لماما، «أنتِ تكرهين السفر».
«كنتُ أنتظر ردّكَ» قالت ماما، «عليكَ أن تعمل».
«آه يا إلهي! هذا يعني نعم!»، قفزتُ من مقعدي، «هذا يعني نعم!».
فرحتي كانت عارمة لدرجة أنّ آيس كريم استيقظت، وبدأت تنبح وهي تؤدّي قفزات انتصار حول طاولة المطبخ.
«هل يعني هذا نعم؟» وجّه بابا السؤال لماما وسط صوت طقطقة علب الطعام الجاهز البلاستيكيّة، وهي تُحشَر في القمامة.
«يعني نعم» قالت.

***

الثلاثاء 16 تشرين الثاني

من: برناديت فوكس
إلى: مانجولا كابور
مانجولا،

طرأ أمر ما غير متوقّع، وأرغب أن تعملي ساعات إضافيّة. من ناحيتي، هذه الفترة التجريبيّة أنقذتْ حياتي، وآمل أنّ العمل قد ناسبكِ أنتِ أيضاً. إن كان كذلك، من فضلكِ أبلغيني بأسرع وقت ممكن، لأنّني بحاجة لكِ، كي تسحري بسحركِ الهندوسيّ مشروعاً ضخماً.

حسناً، لن أكون خجولة.

تعلمين أنّ لديّ ابنة، بي (وهي التي طلبتِ الدواء من أجلها، وخضتِ معركة شجاعة ضدّ شركة التأمين بسبب ذلك).

يبدو أنّني وزوجي قد قلنا لها إنّ بوسعها الحصول على أيّ شيء تريده لو تخرّجت من المدرسة الإعداديّة بتقدير A في جميع الموادّ. تقدير A التامّ وصلَ -أم عليّ أن أقول تقدير S تامّ، لأنّ غايلر ستريت هي إحدى تلك المدارس المتحرّرة التي تؤمن أنّ العلامات تقوّض تقدير الطالب لذاته (آمل أنّه لا يوجد مدارس مثلها عندكم في الهند!)- إذن، ما الذي تريده بي؟ رحلة عائليّة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة!

هناك ملايين الأسباب لعدم رغبتي بالذهاب إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، أهمّها هو أنّ ذلك يتطلّب منّي مغادرة المنزل. ربّما حزرتِ الآن أنّ مغادرة المنزل أمرٌ لا أحبّ القيام به كثيراً، لكنّني لا أستطيع مجادلة بي. إنّها طفلة طيّبة، وتمتلك عزيمة أكثر منّي ومن إيلجي ومن عشرة أشخاص مجتمعين، كما أنّها تقدّمت إلى مدارس داخليّة للدراسة فيها اعتباراً من الخريف القادم، وستُقبَل بكلّ تأكيد بما أنّها حصلت على تقدير A تامّ... أووويس! تقدير S تامّ! لذلك سيكون من قلّة الذوق أن أحرم بي من الرحلة.

الطريقة الوحيدة للذهاب إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة هي بالسفينة. حتّى أصغر سفينة سيكون فيها مئة وخمسون مسافراً، وهذا يعني بالنسبة لي أن أعلق مع مئة وتسعة وأربعين شخصاً آخرين، سيزعجونني للغاية بوقاحتهم، بفضلاتهم، بأسئلتهم الغبيّة، بتذمّرهم الذي لا ينقطع، بطلبات الطعام الغريبة والأحاديث المملّة... إلخ. أو الأسوأ: قد ينصبّ فضولهم عليّ، ويتوقّعون منّي أن أجاملهم بالمقابل! مجرّد التفكير بهذا الأمر يسبّب لي نوبة هلع! قلقٌ اجتماعيّ صغير لا يضرّ أحداً على الإطلاق، كما أفترض؟

إن زوّدتكِ بالمعلومات، هل يمكنكِ من فضلكِ أن تتولّي المعاملات الورقيّة، الفيزا، تذاكر الطائرة، وأيّ شيء يتعلّق بنقلنا نحن الثلاثة من سياتل إلى القارّة البيضاء؟ هل تملكين الوقت لذلك؟

قولي أجل.

برناديت.

أوه، أنتِ تعرفين أصلاً أرقام بطاقة الائتمان كي تدفعي تكاليف الطائرة والرحلة والتجهيزات. أمّا بما يخصّ أجورك، أفضّل أن تقتطعيها مباشرة من حسابي المصرفيّ الشخصيّ. عندما رأى إيلجي ما دفعتُه ببطاقة فيزا كارد لقاء عملكِ في الشهر الماضي –على الرغم من ضآلته– لم يتحمّس لفكرة أنّني استأجرتُ معاونة افتراضيّة من الهند. قلتُ له إنّني لن أستعين بكِ مرّة أخرى، لذلك، إن كان ممكناً مانجولا، دعينا نبقِ علاقتنا الرومانسيّة سرّيّة.

***

من: مانجولا كابور

إلى: برناديت فوكس
يسرّني أن أساعدكِ بخطط رحلتكِ العائليّة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة. تجدين مرفقاً عقد انتقالنا إلى العمل بدوام كامل، من فضلك ضعي رقم تحويلتك البنكيّة حيث يُطلَب ذلك.
أنا أتطلّع قدماً إلى استمرار تعاوننا.
تحيّاتي الحارّة.
مانجولا

***

فاتورة من شركة دلهي الدوليّة للمساعدين الافتراضيّين

رقم الفاتورة: BFB39382
المساعد: مانجولا كابور

40 ساعة عمل في الأسبوع لقاء 0.75 دولار أمريكيّ في الساعة.
المجموع: 30.00 دولار أمريكيّ
تُدفَع الفاتورة كاملة عند استلامها.

***

الأربعاء، 17 تشرين الثاني
رسالة من أوللي أوردواي (أوللي – أُو)

سرّيٌّ:
إلى رابطة الأهالي في مدرسة غايلر ستريت.

أعزّائي الأهل،
كان اللقاء بكم في الأسبوع الماضي رائعاً. أنا سعيد جدّاً لتقديم خدماتي كمستشار في مدرسة غايلر ستريت المدهشة، المديرة غوديير وعدتني برابطة أهل متحمّسين، ولم تخيّبوا آمالي.
دعونا نتحدّث بصراحة: خلال ثلاث سنوات سينتهي عقد إيجار عقاركم

الحاليّ. هدفنا هو إطلاق حملة لجمع رأس مال تشترون به مقرّاً أكبر وأفضل. بالنسبة إلى أولئك الذين لم يستطيعوا حضور الاجتماع، ها هي التفاصيل:

لقد عقدتُ لقاء آخر مع خمسة وعشرين شخصاً من الأهالي في منطقة سياتل الذين يتجاوز دخلهم مئتي ألف دولار سنوياً، وأطفالهم سيدخلون الروضة قريباً. الخلاصة هي أنّ غايلر ستريت تُعد خياراً بديلاً لأولئك الذين لا يُقبَلون في المدرسة التي يريدونها. هدفنا هو الارتقاء بغايلر ستريت ودعمها، كي تصبح خياراً أوّلاً يجمع نخبة سياتل. كيف نحقّق ذلك؟ ما هي الوصفة السريّة؟

رسالة مدرستكم تقول: إنّ غايلر ستريت ترتكز على «التواصل العالميّ» (أنتم لا تفكّرون بطريقة غير تقليديّة فقط، بل بمصطلحات من خارج القاموس أيضاً!)، وحظيتم بتغطية إعلاميّة ضخمةٍ مبهرةٍ للأبقار التي اشتريتموها للغواتيماليّين، وللمواقد الشمسيّة التي أرسلتموها إلى القرويّين في إفريقيا. جمعُ مبالغ صغيرة من أجل أناس لم تلتقوا بهم قطّ جدير بالإطراء، لكن يجب عليكم أن تبدؤوا بجمع مبالغ ضخمة من المال من أجل مدرسة أولادكم الخاصّة. لتحقيق ذلك، يجب أن تحرّروا أنفسكم ممّا أدعوه عقليّة الأهل السوبارو، وأن تفكّروا بطريقة الأهل المرسيدس.

كيف يفكّر الأهل المرسيدس؟

أبحاثي تكشف التالي:

1- اختيار المدرسة الخاصّة يرتكز على كلّ من الخوف والطموح. الأهل المرسيدس يخشون أنّ أبناءهم لن يحصلوا على «أفضل تعليم ممكن»، وهذا لا علاقة له مع التعليم الفعليّ، وإنّما مع عدد الأهل المرسيدس الآخرين في المدرسة.

2- عندما يتقدّمون إلى رياض الأطفال، يضع الأهل المرسيدس الجائزةَ الكبرى نصب أعينهم، وتلك الجائزة هي مدرسة لايك سايد، حيث درس بِل غيتس وبول آلن وأشباههما، ويعدونها المدرسةَ الأساسيّة

التي تقود إلى جامعات آيڤي ليغ[1]. دعوني أكن صريحاً أكثر: المحطّة الأولى في هذا القطار المجنون هي محطّة رياض الأطفال، ولا أحد يترجّل منه قبل أن يصل إلى محطّة هارڤارد.

اصطحبتني المديرة غوديير في جولة على موقع مدرستكم الحاليّ في المنطقة الصناعيّة. من الواضح أنّ الأهل السوبارو لا يمانعون إرسال أبنائهم إلى مدرسة بجوار شركة توزيع أطعمة بحريّة بالجملة، دعوني أؤكّد لكم: الأهل المرسيدس يمانعون.

كلّ الطرق تقودنا إلى جمع المال لشراء عقار جديد، وأفضل طريقة لتحقيق هذا الهدف، هي حشو صفّ الروضة القادم بالأهل المرسيدس.

هاتوا الكرامبونات[2]، نحن على وشك أن نتسلّق إلى الأعالي، لكن لا تخافوا: اختصاصي هو الفريق الأضعف. استناداً إلى ميزانيّتكم، أنصح بخطّة عمل من مرحلتين:

الجزء الأوّل من خطّة العمل هو إعادة تصميم لوغو مدرسة غايلر ستريت. أنا أحبّ التصاميم المشغولة يدويّاً بالكليب – آرت، لكن دعونا نجد شعاراً مختلفاً يُعبّر بشكل أفضل عن النجاح: درعٌ مقسّم إلى أربعة أقسام، عليه صور الإبرة الفضائيّة[3]، آلة حاسبة، بحيرة (كما في شعار لايك سايد)، وشيء ما آخر... ربّما نوع من أنواع الكرات؟ أنا أعرض اقتراحاتي هنا فقط لا غير، لا شيء ثابت.

الجزء الثاني من الخطّة هو دعوة الأهالي الذين سيدخل أبناؤهم الروضة قريباً إلى الفطور. هدفنا هو حضور نخبة سياتل، أو –كما أصبحتُ مولعاً بالقول– الأهلُ المرسيدس. أودري غريفن، والدة أحد الطلّاب في غايلر ستريت، تكرّمت باستضافة هذا الفطور في منزلها الجميل (من الأفضل

1- Ivy League اتّحاد يجمع ثماني جامعات خاصّة في شمال الولايات المتّحدة الأمريكيّة مثل هارڤارد، برينستون، يال... إلخ. تعتمد معاييرها على التفوّق الأكاديميّ، الانتقائيّة في قبول الطلّاب، والانتماء إلى النخبة الاجتماعيّة. م

2- جهاز بشكل إطارات لها أشواك معدنيّة، يُثبّت على الحذاء أثناء تسلّق الجليد والثلج، بهدف تسهيل الحركة ومنع الانزلاق. م

3- برج ارتفاعه 184 متراً، يُعد رمزاً لمدينة سياتل. م

الابتعاد عن معمل السمك). تجدون مرفقاً جدول إكسل يتضمّن لائحة تفصيليّة للأهل المرسيدس، من المهمّ للغاية أن تراجعوها وتبلغوني من تستطيعون إحضاره منهم إلى الفطور. هدفنا هو تلك اللحظة المصيريّة حين نجمع أكبر عدد ممكن منهم معاً، من ثمّ نستغلّ اجتماعهم لجذب أهلٍ مرسيدس آخرين. عندما يرون بعضهم بعضاً، سيقلّل هذا من مخاوفهم حول أن غايلر ستريت خيار من الدرجة الثانية، وسيبدؤون بتقديم الطلبات لقبول أبنائهم فيها.

في هذه الأثناء، أنا أعمل هنا على الدعوة. بلّغوني بتلك الأسماء بأسرع ما يمكن. علينا إقامة الفطور في منزل غريفن قبل الكريسماس. السبت، الحادي عشر من كانون الأوّل، هو الموعد المنشود. هذا الحدث المتواضع يملك كلّ مقوّمات التحوّل إلى نجاح باهر.

تحيّاتي،

أوللي – أو

***

ملاحظة من أودري غريفن
إلى اختصاصي مكافحة توت العليق.

توم،

خرجتُ إلى حديقتي اليوم كي أقلّم النباتات المعمّرة وأزرع بعض الألوان الشتويّة، تحضيراً لفطور المدرسة الذي سأستضيفه في الحادي عشر من كانون الأوّل. ذهبتُ كي أقلّب السماد، وإذ بدوالي توت العليق تهاجمني!

صعقتني عودتها! ليس إلى كومة السماد فقط، بل إلى أحواض الخضروات المرفوعة والبيت الزجاجيّ وحتّى في سلّة الديدان! تستطيع أن تتخيّل مقدار إحباطي، خصوصاً بعد أن دفعتُ لكَ ثروة صغيرة قبل ثلاثة أسابيع، كي تقضي على توت العليق (235 دولاراً قد لا تعني لكَ الكثير، لكنّها مبلغ كبير بالنسبة لنا).

إعلانك يقول إنّك تكفل نتيجة عملك. لذا، من فضلك، هل تستطيع أن

تعود وتتخلّص من كلّ توت العليق قبل الحادي عشر من كانون الأوّل، للأبد هذه المرّة؟

ليباركك الربّ. تفضّل بأخذ بعض الجبنة.

أودري.

***

ملاحظة من توم،
اختصاصيّ مكافحة توت العليق

أودري،

لقد أزلتُ كلّ توت العليق الموجود في عقارك. مصدر الدوالي التي تتحدّثين عنها هو منزل جيرانك في أعلى التلّة. دوالي توت العليق تنمو هناك، وتتسلّل تحت سياجك وصولاً إلى حديقتك.

لإيقافها، يمكننا أن نحفر خندقاً على حدود أملاكك، نبني فيه حاجزاً إسمنتيّاً، لكنّه يجب أن يكون بعمق خمسة أقدام، فضلاً عن أنّه مكلف. يمكنكِ أيضاً القضاء عليها بمبيدات الأعشاب الضارّة، مع أنّني غير واثق إن كنتِ تفضّلين ذلك بوجود الخضروات والديدان.

في الحقيقة، المفروض أن يقوم جيرانك في أعلى التلّة بمكافحة دوالي توت العليق في حديقتهم. لم أرَ أبداً توت عليق ينمو بهذه الكثافة في مدينة سياتل، خاصّة في تلّة كوين آن ومع أسعار منازلكم. رأيتُ منزلاً في جزيرة فاشون تصدّعت كلّ أساساته بسبب توت العليق.

دوالي جيرانكم تتطلّب آلة خاصّة بما أنّها تمتدّ على سفح التلّة الوعر. الآلة الأفضل هي «JXC هِل سايد، سايد آرم، ثراشر»، وأنا لا أملك واحدة منها.

الخيار الأخير، وهو الأفضل برأيي: الخنازير الكبيرة. يمكنك استئجار اثنين منها، وفي غضون أسبوع سيقتلعان كلّ دوالي توت العليق تلك من جذورها وأكثر، فضلاً عن أنّ الخنازير ظريفة جدّاً.

هل تريدين منّي أن أتكلّم مع الجيران؟ أستطيع أن أطرق بابهم، لكن يبدو لي ألّا أحد يعيش هناك.

بانتظار ردّك.

توم

***

من: سو -لِنْ لي- سِغال

إلى: أودري غريفن

أودري،

لقد أخبرتكِ أنّني بدأت أذهب إلى العمل بباص الشركة، أليس كذلك؟ حسناً، احزري من ركب الباص معي هذا الصباح؟ زوج برناديت، إيلجِن برانش! (أنا أوفّر بعض المال بركوب باص مايكروسوفت، لكن إيلجن برانش؟!). لم أكن متأكّدة أنّه هو في البداية، وذلك لأنّنا نادراً ما نراه في المدرسة.

والآن، ستحبّين هذا! كان هناك مقعد واحد فارغ فقط، إلى جانب إيلجن برانش، المقعد الداخليّ بينه وبين النافذة.

«من فضلكَ»، قلتُ.

وهو يطبع بضراوة على اللابتوب، ودون أن ينظر إليّ، أزاح ركبتيه جانباً كي أمرّ! أعرف أنّه نائب مدير من المستوى 80 في الشركة. أمّا أنا فمجرّد إداريّة، لكنّ أغلب الرجال الراقين سيقفون كي يسمحوا لامرأة بالمرور! حشرتُ نفسي حشراً لأمرّ، وجلستُ.

«يبدو أنّنا سنحظى أخيراً ببعض الشمس»، قلتُ.

«رائع»

«أتطلّع قدماً إلى الاحتفال بيوم العالَم» قلتُ، فبدا لي خائفاً قليلاً، وكأنّه لا يملك فكرة عمّن أكون. «أنا والدة لنكولن، من غايلر ستريت».

«بالطبع» قال، «يطيب لي أن أتحدّث معكِ، لكن يجب أن أرسل هذا الإيميل»، ثمّ جذب السمّاعة من حول عنقه ووضعها على أذنيه وعاد إلى اللابتوب... واسمعي هذا! لم تكن السمّاعة موصولة باللابتوب أصلاً، لأنّها

سمّاعة من تلك التي تحجب الأصوات الخارجيّة! ولم يتحدّث معي مجدّداً طوال الطريق إلى ريدموند.

والآن أودري، طوال السنوات الخمس الماضية كنّا نظنّ دائماً أنّ برناديت هي البغيضة، لكن اتّضح لي أنّ زوجها وقح وغير اجتماعيّ مثلها بالضبط! كنتُ مستاءة جدّاً، لدرجة أنّني بحثتُ عن برناديت فوكس في غوغل ما أن وصلتُ إلى العمل (وهو أمر لا أصدّق أنّني انتظرتُ حتّى اليوم لأقوم به، إن أخذنا بعين الاعتبار هَوَسنا المرَضيّ بها!). يعرف جميعنا أنّ إيلجن برانش هو قائد فريق سامانثا 2 في مايكروسوفت، لكن عندما بحثتُ عن برناديت لم أجد شيئاً. برناديت فوكس الوحيدة المذكورة هي مهندسة معماريّة ما في كاليفورنيا. بحثتُ عن كلّ ما يتوافق مع اسمها -برناديت برانش، برناديت فوكس برانش- لكنّ برناديت تلك، والدة بي، غير موجودة وفق شبكة الإنترنت، وهو بحدّ ذاته إنجازٌ مهمٌّ هذه الأيّام.

في سياق آخر، ألا تحبّين أوللي - أو؟ صُعِقتُ عندما سرّحتْه مايكروسوفت في نطاق تسريح عشرة بالمئة من موظّفيها العام الماضي، لكن لو لم يحدث ذلك، لما تمكّنا من استئجار خدماته كي يعيد تصميم ماركة مدرستنا الصغيرة.

هنا في مايكروسوفت، سيعقد ستيف بي اجتماعاً في دار البلديّة يوم الاثنين التالي لعيد الشكر. طاحونة الشائعات تدور بجنون! مدير المشروع الذي أعمل عليه طلب منّي أن أحجز قاعة قبيل ساعات من موعد الاجتماع المذكور، وأنا أركض لإيجاد واحدة. هذا يعني شيئاً واحداً فقط: جولة جديدة من تسريح الموظّفين (أعياداً سعيدة!) سمع قائد فريقنا بعض الشائعات عن أنّ مشروعنا سوف يُلغى، لذلك بحث عن أضخم سلسلة إيميلات لديه وكتب: «مايكروسوفت هي ديناصور سيصبح رصيده من الاحترام صفراً»، ثمّ ضغط «الردّ على الجميع»...ولم يكن تصرّفاً جيّداً أبداً!! أنا الآن قلقة من أنّهم سوف يعاقبون الفريق كلّه، ولن ينتهي الأمر على ما يرام!! وربّما لن ينتهي الحال بي أنا على ما يرام!! ماذا لو كانت القاعة التي سأحجزها مخصّصة لطردي؟!

آه أودري، من فضلك اذكريني أنا وألكساندرا ولنكولن في صلواتك. لا أعرف ماذا سأفعل لو طُرِدتُ، الفوائد هنا تُقدَّم على صحون من ذهب. إن

بقيتُ في وظيفتي بعد الأعياد، سأكون سعيدة بالإسهام في جزء من تكاليف الطعام في فطور الأهل المرتَقَبين.

سو – لين.

***

الخميس، 18 تشرين الثاني
ملاحظة من أودري غريفن
إلى خبير مكافحة توت العليق.

توم،

حالة الحديقة توحي أنّ ذلك البيت الكبير العتيق المسكون بالأشباح فوقنا خاوٍ. في الواقع، يعيش فيه بعض الناس. ابنتهم، بي، في صفّ كايل في مدرسة غايلر ستريت. سيكون من دواعي سروري أن أطرح موضوع شجيرات توت العليق اليوم مع الأمّ، عندما تأتي إلى المدرسة كي تقلّ ابنتها عند انتهاء الدوام.

خنازير؟! لا خنازير. مع ذلك، خذ بعض الجبنة.

أودري.

***

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابورالأنا مبتهجة للغاية لأنّكِ وافقتِ!!! لقد وقّعتُ كلّ الأوراق وصوَّرْتُها. ها هي خطّة القارّة القطبيّة الجنوبيّة: سنذهب نحن الثلاثة، لذلك احجزي غرفتين. إيلجي لديه ألف ميل مجانيّ على خطوط شركة أمِريكان، دعينا نحاول أن نحجز ثلاث تذاكر فيها. عطلتنا الشتويّة تبدأ في الثالث والعشرين من كانون الأوّل، وتستمرّ حتى الخامس من كانون الثاني، إن اضطررنا للتغيّب عن بعض الأيّام الدراسيّة فلا بأس. والكلبة! علينا إيجاد مكان ما مستعدّ لاستضافة كلبة وزنها 130 باونداً ورطبة دائماً. أوووه... لقد تأخرتُ، عليّ أن أجلب بي من المدرسة. مجدّداً، شكراً لكِ!

***

الجمعة 19 تشرين الثاني
ملاحظة من السيّدة غوديير أرسلتْها
إلى منازلنا ضمن ملفّ نهاية الأسبوع.

أعزّائي الأهل،

انتشرت أخبار ما حدث أثناء انصراف الطلّاب بالأمس. لم يصب أحد بأذى لحسن الحظّ، لكنّها فرصة تتيح لنا أن نتوقّف قليلاً ونتذكّر القواعد المنصوص عليها في دليل غايلر ستريت (الخطّ المائل من عندي):

القسم 2A، الجزء الثاني: هناك طريقتان لأخذ الطلّاب عند الانصراف

– بالسيّارة: قُدْ مركبتك إلى مدخل المدرسة، وانتبه من فضلك، كي لا تسدّ رصيف تحميل شركة ساوند فود إنترناشنال.

– مشياً: من فضلك اركنْ سيّارتك في الباحة الشماليّة، وقابل ابنك عند ممرّ القناة. *توخّياً للسلامة والكفاءة، نطلب من الأهل السائرين على أقدامهم عدمَ الاقتراب من المنطقة المخصّصة للسيّارات.*

إن ما يلهمني دائماً هو وجود هذا المجتمع الرائع من الأهالي الذين يتفاعل بعضهم مع بعض باستمرار. بأيّ حال، أولويّتنا المطلقة هي سلامة طلّابنا، لذلك دعونا نعتبر ما حدث لأودري غريفن درساً لنا، ونتذكّر أن نؤجّل تبادل الأحاديث إلى أن نلتقي لشرب القهوة، لا أن نقوم بذلك في معبر السيّارات.

مودّتي،

غوين غوديير

مديرة المدرسة.

***

فاتورة غرفة الإسعاف
التي أعطتني إيّاها أودري غريفن كي أوصلها إلى ماما

اسم المريضة: أودري غريفن

الطبيب المعالِج: سي. كاسيلا

أجور غرفة الإسعاف: 900.00
صورة أشعّة إكس (اختياريّة، غير مشمولة بالضمان الصحيّ): 425.83
الأدوية الموصوفة: ڤايكودين 10 مغ (15حبّة، لمرّة واحدة): 95.70
استئجار عكّاز (اختياريّ، غير مشمول بالضمان الصحيّ): 173.00
السلفة المودعة من قيمة العكّاز: 75.00
المجموع: 1,669.53

ملاحظات: أظهر فحصُ القدرة البصريّة والفحصُ العصبيّ الأساسيّ عدم وجود أذيّات. المريضة في حالة كرب عاطفيّ حادّ، وطلبت إجراء صورة بأشعّة إكس، ڤايكودين، وعكّازات.

***

من: سو -لِنْ لي- سِغال
إلى: أودري غريفن

سمعتُ أنّ برناديت حاولت أن تدهسكِ عندما جاءت لتقلّ ابنتها من المدرسة! هل أنتِ بخير؟ هل تريدين أنْ أجلب عشاءً وآتي؟ ماذا جرى؟

***

من: أودري غريفن
إلى: سو -لِنْ لي- سِغال

الخبر صحيح. أردتُ أن أتحدّث مع برناديت بخصوص أجمات توت العليق في حديقتها. إنّها تمتدّ إلى أسفل التلّة، من تحت سياجي، وتجتاح حديقتي. لذلك اضطررتُ إلى استئجار خبير، فقال لي: إنّ أجمات برناديت ستدمّر أساسات منزلي. تلقائيّاً، أردتُ أن أتبادل حديثاً وديّاً معها، فمشيتُ إلى سيّارتها عندما كانت تنتظر دورها لتقلّ ابنتها. إنّها غلطتي أنا! ولكن كيف كنتُ سأتحدّث مع تلك المرأة؟! إنّها مثل فرانكلين ديلانو روزفلت، لا تشاهدين سوى الجزء العلويّ فقط من جسدها وهي تقود مبتعدة، لا أعتقد أنّها نزلت ولو مرّة كي ترافق بي إلى الداخل. حاولتُ أن أكلّمها، لكنّ نوافذ سيّارتها كلّها كانت مغلقة، وتظاهرتْ أنّها لا تراني. تحسبينها سيّدة فرنسا الأولى بوشاحها الحريريّ الملقى هكذا، ونظّارتِها الضخمة القاتمة! قرعتُ

على الزجاج الأماميّ لكنّها انطلقت... فوق قدمي! وحين توجّهتُ إلى الإسعاف، فحصني طبيب عديم الكفاءة رفض أن يتقبّل إصابتي بأيّ أذى. بصراحة، لا أعرف ممّن أنا غاضبة أكثر، من برناديت فوكس أم غوين غودير التي انتقدتني علناً في ملفّ يوم الجمعة. الملفّ يوحي أنّني ارتكبتُ خطأً! ويذكرني أنا بالاسم لا برناديت فوكس! أنا من أنشأتُ مجلسَ التنوّع، أنا من اخترعتُ «الدونَتس للآباء»، أنا من كتبتُ رسالة غايلر ستريت، بعد أن كانت تلك الشركة الراقية في بورتلاند ستفرض علينا دفع عشرة آلاف دولار لقاءها.

ربّما تكون غايلر ستريت سعيدة باستئجار عقار في المنطقة الصناعيّة، ربّما لا تريد التمتّع بالاستقرار الناجم عن امتلاك مقرّ جديد، ربّما تريدني غوين غودير أن ألغي فطور الأهالي المرتقبين...سأتناقش معها الآن، وأنا غير سعيدة على الإطلاق.

الهاتف يرنّ. إنّها غوين.

***

الاثنين، 22 تشرين الثاني
ملاحظة من السيّدة غودير،
أرسلتْها إلى منازلنا بوساطة المسنجر يوم الاثنين.

أعزّائي الأهل،
أريد أنّ أوضّح أنّ برناديت فوكس، والدة بي برانش، كانت تقود السيّارة التي دهستْ قدمَ الوالدة الأخرى.
أتمنّى لكم جميعاً عطلة رائعة رغم المطر.
مودّتي،
غوين غودير
مديرة المدرسة

***

لو سألوني، لأخبرتهم بما حدث أثناء الانصراف. لقد استغرق ركوب السيّارة منّي بعض الوقت، لأنّ ماما تجلب معها آيس كريم دائماً، وتدعها

تركب في المقعد الأماميّ. لا تحبّ تلك الكلبة أن تتخلّى عن المقعد عندما تجلس في الأمام، لذلك قامت بما تقوم به دائماً، عندما تريد أن تتمّ الأمور وفق مشيئتها هي، أي أن تتخشّب كلياً وتحدّق إلى الأمام مباشرة.

«ماما» صحتُ، «لا يجب أن تدعيها تركبُ في الأمام...».

«لقد قفزتْ من تلقاء نفسها»، جذبت ماما طوق آيس كريم، بينما دفعتُ أنا مؤخّرتها. بعد كثير من الزمجرة تحرّكت آيس كريم أخيراً إلى الخلف، لكنّها لم تجلس على المقعد مثل أيّ كلب طبيعيّ، بل وقفت على أرضيّة السيّارة، وحشرت نفسها خلف المقعد الأماميّ، بتلك النظرة البائسة على وجهها كأنّها تقول: أرأيتما ماذا أفعل بسببكما؟!

«أوه، لا تفتعلي دراما!»، قالت لها ماما.

ثبّتُّ حزام الأمان. فجأة، بدأت أودري غريفن بالركض صوب السيّارة بطريقة متيبّسة غير متناغمة. من الواضح أنّها لم تركض أبداً منذ عشر سنوات.

«أوه يا إلهي! ماذا الآن؟»، قالت ماما.

كانت عينا أودري غريفن متوحّشتين، وابتسامتها كبيرة كالعادة وهي تلوّح لنا بورقة. الخصلات تنفلت من شعرها الرماديّ المربوط كذيل حصان، وثنيات بنطالها الجينز تبدو منتفخة تحت سترتها الطويلة، كما أنّها تنتعل خفّاً. من الصعب ألّا تحدّقوا بها!

سنيورا فلوريس كانت تنظّم حركة المرور في ذلك اليوم. أعطتنا الإشارة أن نتحرّك، لأنّ صفّاً ضخماً من السيّارات ينتظر خلفنا، وذلك الرجل من ساوند سيفود يصوّر الازدحام بكاميرا ڤيديو. أشارت أودري لنا كي نتوقّف.

ماما ترتدي نظّارات قاتمة كعادتها دائماً، حتّى أثناء المطر. «بما يخصّ تلك البعوضة، أنا لم أرها»، غمغمتْ.

انطلقنا بالسيّارة وهذا ما كان. أنا متأكّدة أنّنا لم ندهس قدم أيّ شخص. أنا أحبّ سيّارة ماما، لكنّ قيادة تلك المركبة تشبه «الأميرة وحبّة البازلّاء» نوعاً ما، لأنّ الوسائد الهوائيّة ستنفتح لو دهستْ ماما أيّ شيء بحجم قدم بشريّة.

***

الثلاثاء، 23 تشرين الثاني

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

من فضلك، تجدين مرفقاً صورة لفاتورة غرفة إسعاف، أفترض أنّ عليّ دفعها. ادّعت إحدى البعوضات في غايلر ستريت أنّني دهستُ قدمها عندما كنتُ أجلب بي. كنتُ سأضحك من القصّة كلّها لولا أنّني أشعر بالملل الشديد. أترين، لهذا السبب ألقّب الأمّهات هناك بـ«البعوضات»، لأنّهن مزعجات، لكنهنّ لسن مزعجات كثيراً لدرجة أن أرغب حقّاً بهدر طاقة ثمينة عليهنّ. أولئك البعوضات بذلن كلّ ما في وسعهنّ لجرّي إلى الشجار معهنّ خلال السنوات التسع الماضية. آه، ماذا أحكي لك! أمّا الآن، بي على وشك التخرّج وأنا أترقّب ذلك، ولا يستحقّ الأمر إثارة معركة مع بعوضة. هل بمكنكِ أن تفحصي بوالص التأمين المختلفة التي نملكها، وتكتشفي إن كانت إحداها تغطّي الحادث؟ بعد إعادة التفكير، دعينا ندفع الفاتورة مباشرة. لن يرغب إيلجي أن يرتفع تصنيفنا الائتمانيّ بسبب أمر هامشيّ للغاية. إيلجي لا يفهم أبداً كراهيّتي لأولئك البعوضات.

تحضيراتُ القارّة القطبيّة الجنوبيّة كلّها رائعة! احجزي لنا غرفتين من الدرجة الثانية في كوين. سأقوم بتصوير جوازات السفر، حيث تجدين تواريخ ميلادنا والتهجئة الدقيقة لأسمائنا وما إلى هنالك. أرفقتُ كذلك صورة رخصة السياقة وأرقام الضمان الاجتماعيّ في حال الضرورة. ستكتشفين من جواز سفر بي أنّ اسمها الكامل هو بالاكريشنا برانش (لنقل إنّني كنتُ أرزح تحت ضغوطات كثيرة، وبدا الاسم لي فكرة حسنة في ذلك الوقت). أدرك أن اسمها على بطاقة الطائرة يجب أن يُكتَب «بالاكريشنا»، لكن فيما يتعلّق بالسفينة –الشارة الاسميّة، لائحة المسافرين... إلخ– من فضلك، اقلبي السماء والأرض لو اضطررتِ كي تُدرجي الطفلة المقدّسة تحت اسم «بي».

أرى أنّك أعددتِ لائحة باللوازم المطلوبة. لم لا تشترين لنا ثلاث قطع من كلّ شيء؟ قياسي نسائيٌّ متوسّط، إيلجي قياسه إكس – لارج، ليس لأنّه سمين بل لأنّ طوله ستّة أقدام وثلاثة إنشات دون أوقيّة من الشحم، فليباركه

الربّ! بي صغيرة الحجم نسبة إلى عمرها، لذلك لِمَ لا تشترين لها ما يناسب طفلة في العاشرة؟

إن كنتِ متردّدة بشأن القياسات والموديلات، ابعثي لنا عدّة قطع كي نجرّبها، شرط ألّا تتطلّب إعادتها منّي سوى تركها في صندوق أمام الباب، كي يأخذها موظّف شركة يونايتد بارسل سرفِس[1]. ابعثي لنا كلّ الكتب التي اقترحتِها، سيلتهمها إيلجي وبي التهاماً، أمّا أنا فأنوي ذلك.

أرغب أيضاً بسترة من تلك التي يرتديها صيّادو الأسماك، واحدة مجهّزة بجيوب لها سحّابات. في الماضي، عندما كنتُ أستمتع فعلاً بالخروج من المنزل، جلستُ في الطائرة إلى جانب ناشط بيئيّ يقضي حياته بالتجوال حول الكرة الأرضيّة، ويلبس سترة صيّاد سمك تحتوي على جواز سفره ونقوده ونظّاراته وبكرات الأفلام... أجل، الأفلام، الذكرى تعود حقّاً إلى ذلك الماضي الغابر! الجزء العبقريّ: كلّ أغراضك في مكان واحد، السترة عمليّة، تُغلَق بسحّاب، فضلاً عن أنّه يمكنك خلعها ورميها على حزام الفحص بأشعّة إكس. لطالما قلتُ لنفسي: عندما أسافر في المرّة التالية سأشتري سترة مثلها، وقد آن الأوان. الأفضل أن تشتري لي اثنتين.

اشحني كلّ شيء إلى البيت الكبير. أنتِ الأفضل!

***

من: مانجولا كابور

إلى: برناديت فوكس

عزيزتي السيّدة فوكس،

تلقّيتُ تعليماتكِ بخصوص قائمة المشتريات وسأعمل وفقها. ما هو «البيت الكبير»؟ لم أجده في أيّ من سجلّاتي.

تحيّاتي الحارّة،

مانجولا

***

1- United Parcel Service: شركة أمريكيّة تؤمّن خدمات تسليم الطرود وإدارة سلسلة التوريدات. م

من: برناديت فوكس
إلى: مانجولا كابور

هل تعرفين كيف هو الوضع عندما تذهبين إلى آيكيا، ولا تصدّقين كم البضائع رخيصة هناك؟! على الرغم من أنّك لستِ بحاجة إلى مئة شمعة صغيرة لكن، يا إلهي! الكيس بأكمله يُباع بتسعة وتسعين سنتاً فقط، أو: بالطبع، الوسائد الصغيرة المحشوّة بكراتٍ إسفنجيّة وموادّ أخرى سامّة دون شكّ، لكنّ ألوانها زاهية، ويُباع ثلاث منها لقاء خمسة دولارات... ستنفقين خمسمئة دولار قبل أن تدركي ذلك، ليس لأنّك بحاجة إلى أيّ من تلك الخردة، بل لأنّها -تبّاً- رخيصة للغاية!

بالطبع لا تعرفين، لكن إن تخيّلتي الوضع ستفهمين، كيف بدا سوق العقارات في سياتل بالنسبة لي.

جئتُ إلى هنا في نزوة دون شكّ. كنّا نعيش في لوس أنجلس، عندما اشترى الأخُ الكبير شركةَ الأنيميشن التي يعمل فيها إيلجي. أووبسس! هل قلتُ الأخ الكبير؟ أقصد مايكروسوفت. في تلك الفترة تقريباً كنتُ أمرّ بمحنة رهيبة بشعة (لا يلزمنا قطعاً أن نخوض فيها الآن)، لنقل إنّها كانت رهيبة جدّاً وبشعة جدّاً، لدرجة أنّني أردتُ أن أهرب من لوس أنجلس، وألّا أعود إليها أبداً. على الرغم من أنّ إيلجي لم يكن مضطّراً للقدوم إلى سياتل، لكنّ الأخ الكبير أوصى بانتقاله، وكنتُ أكثر من سعيدة باستغلال ذلك كعذر للفرار من لا -لا- لاند.

في زيارتي الأولى إلى سياتل، قابلني السمسار العقاريّ في المطار، وأخذني كي نلقي نظرة على المنازل. كانت المجموعة كلّها التي رأيناها في الصباح من طراز كرافتسمان، وهو الطراز الوحيد الموجود هنا، إن استثنيتِ موجة أبنية الشقق التي تشبه كتلاً غير مفهومة تشوّه المنظر، وكأنّ مدير التخطيط العمرانيّ كان نائماً في مكتبه خلال حقبة الستينيّات والسبعينيّات، وعهد بالتصميم المعماريّ إلى السوفيات.

كلّ ما عدا ذلك هو كرافتسمان: كرافتسمان مطلع القرن، كرافتسمان مُرمَّمٌ على نحو جميل، كرافتسمان مُعَدَّل، أحتاج -بعض- الحبّ كرافتسمان، استلهام معاصرٌ لكرافتسمان... وكأنّ منوّماً مغناطيسيّاً نوّم كلّ

أهلِ سياتل جماعياً: أنتم تنامون الآن، وعندما تستيقظون سترغبون بالسكن في منزل كرافتسمان فقط! لن يعني لكم زمنكم شيئاً، كلّ ما يهمّكم هو أن تكون الجدران سميكة، النوافذ صغيرة، الغرف معتمة، السقوف واطئة، وموقع المنزل ضمن العقار سيّء.

الشيء الرئيس في وفرة كرافتسمان تلك: مقارنة مع لوس أنجلس، المنازل هنا رخيصة كأنّها بضاعة في آيكيا!

اصطحبني السمسار رايان لتناول الغداء في أحد مطاعم توم دوغلاس،وهو شيف محليّ يملك دزّينة مطاعم جميعها رائعة. الأكل في مطعم لُوْلا -الفطيرة بكريمة جوز الهند تلك! معجون الثوم ذاك!- جعلني أعتقد أنّني قد أسعد حقّاً بالحياة في هذه البالوعة المتاخمة لكندا، والتي يسمّونها إميرالد سيتي. الذنب ذنبكَ، توم دوغلاس!

بعد الغداء، انطلقنا بسيّارة السمسار في جولة مسائيّة أخرى. هناك تلّة تطلّ على مركز المدينة تغصّ -احزري بماذا!- بمنازل كرافتسمان! في قمّتها على اليسار، لمحتُ منزلاً من الآجرّ، تحيط به حديقة ضخمة تطلّ على خليج إليوت.

«ما هذا؟»، سألتُ رايان.

«سترايت غايت» قال، «كانت مدرسة كاثوليكيّة للفتيات الناشزات بُنيَت في مطلع القرن».

«والآن؟»، سألتُ.

«آه! لم تستخدم لأيّة غاية منذ سنوات. أحياناً يحاول بعض المقاولين تحويلها إلى شقق سكنيّة».

«إذن فهي للبيع؟»

«كان من المفترض تحويلها إلى ثماني شقق»، ومن ثمّ برقت عيناه وقد بدأ يستشعر صفقة: «مساحة العقار ثلاثة أكرات كاملة معظمها مستوية. إضافة إلى ذلك، سفح التلّة سيكون بأكمله ملكك، ممّا يضمن لكِ الخصوصيّة، على الرغم من أنّك لا تستطيعين إشادة أبنية عليه. مساحة غايت هاوس[1] –

1- غايت هاوس Gate House يعني حرفياً بيت البوّابة، أمّا سترايت غايت Straight Gate فيعني بوّابة الاستقامة. م

وهو الاسم الذي أطلقه السمسار على العقار لأنّ «ستريت غايت» بدا وكأنّه ضدّ المثليّين– تعادل نحو اثني عشر ألف قدم مربّعة حافلة بالسحر. تلزمه بعض أعمال الصيانة المؤجّلة، لكنّنا نتحدّث عن جوهرة التاج هنا».

«كم يطلبون؟»

صمت رايان صمتاً دراميّاً. «أربعمئة ألف» قال، وتأمّلني برضا عندما فغرتُ فمي مندهشة. كلّ المنازل التي شاهدناها تباع لقاء المبلغ ذاته، على الرغم من أنّها جميعها مبنيّة في أراضٍ صغيرة المساحة.

اتّضح أنّ الحديقة الشاسعة حُوِّلتْ رسميّاً إلى فضاء مفتوح لأسباب تتعلّق بالضرائب، كما أنّ رابطة ضاحية كوين آن أدرجتْ سترايت غايت كموقع تاريخيّ، بالتالي من المستحيل لمس الجدران سواء من الداخل أو الخارج. مدرسة سترايت غايت للبنات عالقة في ليمبو تصنيف المباني.

«لكنّ المنطقة مخصّصة للمساكن العائليّة الإفراديّة»، قلت.

«دعينا نلقِ نظرة»، ودفعني رايان إلى سيّارته.

من ناحية التخطيط، المنزل رائع! القبو –الذي كان مخصّصاً لحبس الفتيات كما يبدو، لأنّ بابه يُقفَل من الخارج– كان بكلّ تأكيد مخيفاً وكئيباً، لكنّ مساحته خمسة آلاف قدم مربّعة، ممّا يترك سبعة آلاف قدم مربّعة فوق الأرض، وهي مساحة شاسعة بالنسبة إلى منزل! في الطابق الأرضيّ يوجد مطبخ بالغ الروعة ينفتح على غرفة سفرة، وركن استقبال يمكن أن يتحوّل إلى غرفة جلوس، ومكتبان صغيران. في الطابق الثاني يوجد مصلّى نوافذه من الزجاج الملوّن، وفيه صفّ من حجيرات الاعتراف... سيكون مثاليّاً كغرفة نوم رئيسة مع خزائن! الغرف الأخرى يمكن تحويلها إلى غرفة للأطفال وأخرى للضيوف. كلّ ما يلزم هو بعض اللمسات التجميليّة: سطوح عازلة، تشطيبات نهائيّة، طلاء. سهلٌ للغاية!

عندما وقفتُ في الرواق الخلفيّ، لمحتُ زوارق تنساب كالحلزونات على سطح الماء. «إلى أين تتّجه؟»، سألتُ.

«جزيرة باينبريدج» أجاب رايان، ولأنّه ليس غبيّاً أضاف: «الكثير من السكّان يمتلكون منزلاً ثانياً هناك».

بقيتُ يوماً آخر، واشتريتُ منزلاً على الشاطئ أيضاً.

***

من: مانجولا كابور

إلى: برناديت فوكس

عزيزتي السيّدة فوكس،

ستُشحَن الأغراض المذكورة في قائمة الرحلة إلى عنوان جادّة غايت.

تحيّاتي الحارّة،

مانجولا.

***

من:برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

أوه! هل يمكن أن تحجزي لنا في مطعم لتناول عشاء عيد الشكر؟ اتّصلي بنادي واشنطن الرياضيّ، واحجزي طاولة لثلاثة أشخاص في السابعة مساء. يمكنكِ إجراء مكالماتٍ، أليس كذلك؟ بالطبع! بماذا كنتُ أفكّر؟! هذا كلّ ما تفعلونه أنتم الآن.

أعرف أنّ الأمر يبدو غريباً نوعاً ما، أن أطلب منكِ الاتّصال من الهند كي تحجزي لي في مطعم يمكنني رؤيته من نافذتي. لكن ها هي المسألة: يجيب على الهاتف دوماً رجل يقول «نادي واشنطن الرياضيّ، كيف أحوّل اتّصالك؟»، ويقول هذا دائماً بطريقته الودودة الباهتة... الكنديّة! أحد الأسباب الرئيسة التي تجعلني لا أحبّ مغادرة المنزل، هو أنّني قد أجد نفسي وجهاً لوجه مع كنديّ، سياتل تعجّ بالكنديّين. أنتِ على الأغلب تعتقدين أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا هما البلد ذاته، لأنّهما مليئتان بأناس بيض، ناطقين بالإنجليزيّة، بدينين بدانةً مَرَضيّة.

حسناً مانجولا، أنت مخطئة تماماً.

الأمريكيّون بغيضون، لحوحون، عصابيّون، فظّون –في كلّ شيء وتجاه كلّ شيء– إنّهم كارثة مطلقة كما يقول صديقنا زوربا، أمّا الكنديّون

فلا يشبهونهم على الإطلاق. كما تخافين أنت من بقرة تجلس في منتصف الشارع في ساعة الذروة، كذلك أخاف أنا من الكنديّين. بالنسبة للكنديّين، كلّنا سواء: جوني ميتشل لا تختلف عن سكرتيرة تغنّي في حفل للمواهب في حانة، المعماريّ فرانك جيري ليس أعظم من هاوٍ ينسخ ماك مانشن[1] على برنامج أوتوكاد، الممثّل جون كاندي ليس أطرف من أنكل لَوْ بعد أن يشرب زجاجتي بيرة... لا عجب أنّ الكنديّين الوحيدين الذين سمع بهم أحد هم أولئك الذين فرّوا من كندا، أيّ موهوب يبقى فيها سيُسحَقُ تحت ركام المساواة. الأمر الذي لا يستوعبه الكنديّون هو أنّ بعض الأشخاص استثنائيّون، ويجب أن يُعامَلوا على أنّهم كذلك.

أجل، نلتُ كفايتي.

إن رفض نادي واشنطن الرياضيّ استقبالنا، وهذا مُرجَّحٌ، لأنّ عيد الشكر بعد يومين لا غير، يمكنكِ أن تجدي مكاناً آخر في شبكة الإنترنت السحريّة.

***

كنتُ أتساءل كيف انتهى بنا الحالّ لتناول عشاء عيد الشكر في دانيال بروينلر. نمتُ إلى وقت متأخّر يومها، ونزلتُ إلى الطابق الأرضيّ بالبيجاما. عرفتُ أنّها ستمطر، لأنّني مررتُ في طريقي إلى المطبخ برقعة من أكياس النايلون والمناشف، وهي نظام اخترعتْه ماما لاستخدامه عندما يتسرّب ماء المطر إلى المنزل. أوّلاً، نضع الأكياس تحت مكان التسرّب ونغطّيها بالمناشف أو البطّانيّات، من ثمّ نضع قِدر سباغيتي في المنتصف لجمع الماء. الأكياس ضروريّة لأنّ التسرّب قد يدوم ساعاتٍ في البقعة ذاتها، من ثمّ ينزاح بمقدار إنشين. لمسة ماما الإبداعيّة تتمثّل بوضع قميص عتيق داخل قدر السباغيتي لكتم صوت القطرات، صوتها قد يدفعكم للجنون عندما تحاولون أن تناموا.

1- McMansion: مصطلح تحقيريّ يطلق على نموذج من المنازل متعدّدة الطوابق، والتي ليس لها طراز معماريّ خاصّ، تهتمّ بالمساحة والمظهر الخارجيّ على حساب الجودة والجمال، وشُيِّدت بالجملة مكان المباني القديمة الجميلة في الضواحي الأمريكيّة خلال حقبة الثمانينيّات. م

كان واحداً من الصباحات النادرة، لأنّ بابا هنا في المنزل. لقد نهض باكراً وذهب لركوب الدرّاجة،وها هو الآن ببنطال السباق الفسفوريّ السخيف ودون قميص، يتعرّق بجانب كاونتر المطبخ، ويشرب عصيراً أخضر أعدّه بنفسه. هناك مونيتور أسود يقيس معدّل ضربات القلب مربوط حول صدره، إضافة إلى سوتيان للكتفين من اختراعه يُفتَرض أنّه مفيد للظهر، لأنّه يشدّ كتفيه إلى وضعيّة متوازية عندما يعمل على الكمبيوتر.

«صباح الخير لكِ أيضاً»، قال باستياء.

لا بدّ أنّني رسمتُ تعبيراً ما على وجهي. لكن اعذروني، من غير الطبيعيّ أن تنزلوا من غرفتكم وتروا أباكم بالسوتيان، حتّى ولو كان سوتياناً من أجل وضعيّة ظهره.

ظهرت ماما من غرفة المؤن محمّلة بقدور السباغيتي. «مرحباً بازي!»، وأوقعتِ القدور التي أصدرت ضجّة عالية. «آسفة آسفة آسفة! أنا متعبة للغاية!». أحياناً، ماما لا تنام.

خطا بابا على الأرض بحذاء الدرّاجة، طق طق طق، وأوصل مونيتور سرعة القلب باللابتوب كي يحمّل نتيجة التمرين.

«إيلجي» قالت ماما، «أريدك أن تجرّب عدداً من الأحذية المضادّة للماء من أجل الرحلة عندما يسمح لك الوقت. جلبتُ لكَ كومة كي تختار منها».

«أوه عظيم!»، وخطا متّجهاً نحو غرفة الجلوس، طق طق طق.

الفلوت كان على الكاونتر، عزفتُ بعض النغمات. «هاي» سألتُ ماما، «عندما كنتِ في شوت، هل كان مركز ميلون للفنون موجوداً؟»

«أجل» أجابت ماما وهي تحمل القدور مجدّداً. «كانت المرّة الأولى والأخيرة التي وقفتُ فيها على خشبة مسرح. لعبتُ دور فتاة نادٍ ليليّ في (رجال ودمى[1])».

1- Guys and Dolls عرض مسرحيّ موسيقيّ شهير، قُدّم للمرة الأوّلى على برودواي عام 1950 وصولاً إلى 1200 عرض، كما اقتُبس عنه فيلم سينمائيّ عام 1955، بطولة فرانك سيناترا ومارلون براندو. م

«عندما ذهبنا أنا وبابا لزيارة المكان، قالت الدليلة السياحيّة إنّ هناك أوركسترا للطلّاب في مدرسة شوت، وإنّ سكّان والنغفورد يبتاعون التذاكر لحضور الحفلة الموسيقيّة يوم الجمعة».

«سيكون هذا رائعاً من أجلك» قالت ماما.

«إن قُبِلتُ». عزفتُ المزيد من الألحان، من ثمّ أوقعت ماما القدور مجدّداً. «هل تملكين فكرة كم أحاول أن أتماسك؟» انفجرتْ قائلة، «كيف ينفطر قلبي لأنّك ستذهبين إلى مدرسة داخليّة؟».

«أنتِ ذهبتِ إلى مدرسة داخليّة» قلتُ، «ما كان عليكِ أنّ تصوّري الأمر وكأنّه ممتع للغاية إن لم ترغبي بذهابي».

دفع بابا الباب الدوّار وهو يرتدي جزمة مطاطيّة تتدلّى منها بطاقة السعر. «برناديت!» هتف، «مدهش! كلّ هذه الأغراض التي ابتعتِها!»، حضنها بذراعه وعصرها، «ماذا، هل تمضين كلّ ساعة صحو في متاجر آر. إي. آي؟».

«شيء ما من هذا القبيل» أجابت ماما، ثمّ التفتت صوبي. «أتعرفين؟ لم أفكّر أبداً بالعواقب الفعليّة لتقدّمك إلى مدرسة داخليّة، أنّك ستغادريننا مثلاً. لكن حقّاً، لا بأس بالنسبة لي إن هربتِ، سأراك كلّ يوم على الرغم من ذلك».

عبستُ بها.

«أوه، ألم أخبركِ؟» قالت، «سأنتقل إلى والنغفورد، وأستأجر منزلاً في حرم المدرسة. لقد حصلتُ للتوّ على وظيفة في قاعة الطعام في شوت».

«لا تمزحي حتّى مجرّد مزاح في هذا الموضوع»، قلتُ.

«لن يعرف أحد أنّني أمّكِ، لست مضطرّة حتّى أن تقولي لي مرحباً. أريد فقط أن أنظر إلى وجهكِ الفاتن كلّ يوم، لكنّ تلويحة صغيرة من وقت لآخر ستدفئ قلبَ الأمّ دون شكّ»، قالت الجزء الأخير وكأنّها عفريت.

«ماما!»

«القرار لا يعود لكِ»، قالت. «أنتِ مثل الأرنوب الهارب، لا يمكنكِ أن تفلتي منّي. سأكمن لك خلف حاجز البوفيه الزجاجيّ بقفازيّ المطّاطيّن، وأنا أقدّم الهامبرغر أيّام الأربعاء، والسمك أيّام الجمعة...»

«بابا! قل لها أن تتوقّف!»

«برناديت!» قال، «أرجوكِ».

«وما هي مشاريعنا للعشاء هذه الليلة بأيّة حال؟»، سألتُ.

أشرق وجه ماما. «انتظري» قالت، ثمّ خرجت من الباب الخلفيّ.

أمسكتُ جهاز التحكّم بالتلفزيون، «ألا يلعب فريق سيهوكس ضدّ دالاس اليوم؟».

«في الساعة الواحدة» أجاب بابا. «ما رأيكِ أن نذهب إلى حديقة الحيوان ونعود قبل المباراة؟».

«رائع! يمكننا أن نرى صغير كنغر الأشجار الجديد»

«هل تريدين أن نركب الدرّاجات؟»

«هل ستستخدم الدرّاجة الأفقيّة[1]؟»، سألتُ.

«أعتقد ذلك» كوّر بابا قبضتيه وحرّكهما حركات دائريّة، «تلك التلال تجعل الوضع صعباً بالنسبة لمعصميّ...».

«دعنا نذهب بالسيّارة»، قاطعته بسرعة.

عادت ماما. مسحت يديها على بنطالها وأخذت شهيقاً عميقاً، ثمّ أعلنت: «سنذهب الليلة إلى دانيال برويلر».

«دانيال برويلر؟!»، قال بابا.

«دانيال برويلر؟!» كرّرتُ، «تقصدين ذلك المكان الغريب على شاطئ بحيرة يونيون، بباصاته السياحيّة وإعلاناته المستمرّة في التلفاز؟!».

«هو بعينه»، قالت ماما.

ساد صمتٌ قطعَتْه «ها» ضخمة، كان ذلك بابا. «لم يكن سيخطر لي، ولو بعد مليون سنة أنّك ستختارين دانيال برويلر لعشاء عيد الشكر!».

«أحبّ أن أفاجئك»، قالت.

1- bike recumbent لها مقعد في الخلف، حتى يتمكن الراكب من الجلوس بوضعيّة مائلة مسنود الظهر، ويمدّ ساقيه بشكل أفقيّ إلى الدوّاسات الموجودة في مقدّمة الدرّاجة. م

أرسلتُ رسالة من موبايل بابا إلى كينِدي، التي كانت في جزيرة ويدباي مع أمّها، فحسدتني لأنّنا ذاهبون إلى دانيال برويلر. يوجد فيه عازف بيانو، ويملؤون كأسك بالليمونادة مرّة أخرى مجّاناً، وكعكة الشوكولاتة هناك هي شريحة ضخمة يسمّونها «الموتُ بالشوكولاتة» وهي أكبر حتّى من الشريحة العملاقة التي يقدّمونها في بي. إف. شانغ.

عندما ذهبتُ يوم الاثنين إلى المدرسة، قال لي جميعهم: «هذا لا يُصدَّق! ذهبتِ إلى دانيال برويلر لعشاء عيد الشكر؟! يا له من أمر رائع!»

***

الاثنين 29 تشرين الثاني

ملاحظة من توم

أودري،

لا تلزمني الجبنة. يلزمني أن تدفعي لي أجوري، وإلّا أنا مضطرّ للبدء بالإجراءات القانونيّة للحجز على أملاكك.

***

ملاحظة من أودري غريفن

توم،

يفاجئني أنّك تهدّد بالحجز على أملاكي. زوجي وارِن يعمل في مكتب المدّعي العامّ، ووجد الموضوع طريفاً لأنّنا نستطيع مقاضاتك في محكمة الشؤون العقاريّة، وسنربح بسهولة. قبل أن نصل إلى ذلك، فكّرتُ جيّداً ووجدتُ حلّاً ألطف: من فضلك أعطني كلفة تقديريّة للتخلّص من دوالي توت العليق عند الجيران. إن اضطررتَ لاستخدام آلة من تلك، لا بأس، مهمّا كلّف الأمر، طالما أنّه لا يتضمّن استخدام الخنازير.

عندما تعطيني الكلفة التقديريّة، سأدفع لك مستحقّاتك كاملة. سأستضيف فطوراً مدرسيّاً مهمّاً خلال أقلّ من أسبوعين، وأحتاج إلى حديقتي.

***

الأربعاء، 1 كانون الأوّل

ملاحظة من توم

أودري،

ستحتاجين بكلّ تأكيد إلى آلة هِل سايد ثراشر من أجل مهمّة بهذا الحجم، لكنّ صديقي يفضّل استخدامها بعد أن تنتهي الأمطار. أقرب موعد يستطيع البدء فيه هو أيّار. بالنسبة للكلفة، يلزمنا أن ندخل إلى حديقة جيرانك. هل تحدّثت معهم في ذلك اليوم؟ هل تملكين رقم هاتفهم؟

***

ملاحظة من أودري غريفن

توم،

أشعر أنّني أعيش في مدينة مجانين. بعد عشرة أيّام، ستزورني نخبة سياتل في منزلي من أجل مناسبة مدرسيّة هامّة، وسيرغب الضيوف بالاستمتاع بحديقتي. لن أقبل أن تتمزّق ملابسهم بالشجيرات الشوكيّة، أيّار ليس مقبولاً! الشهر القادم ليس مقبولاً! لا يهمّني لو اضطررتَ لاستئجار هل سايد ثراشر بنفسك، أريد أن تختفي دوالي توت العليق تلك قبل الحادي عشر من كانون الأوّل.

بخصوص الدخول إلى أملاك الجيران من أجل الكلفة التقديريّة: جارتنا نزقة، أقترح أن نلتقي في منزلي يوم الاثنين الساعة الثالثة بعد الظهر بالضبط. أعلم علم اليقين أنّها ستكون في المدرسة في ذلك الوقت كي تقلّ ابنتها عند انصرافها، يمكننا أن نتسلّق بسرعة من خلال الفتحة في السياج الجانبيّ، ونلقي نظرة على أجمات توت العليق في حديقتها.

***

مقتطف من تقريري حول السير إرنست شاكلتن

معبر درايك هو مسطّح مائيّ يمتدّ بين الذروة الجنوبيّة للقارّة الأمريكيّة الجنوبيّة في كايب هورن، تشيلي، وبين القارّة القطبيّة الجنوبيّة. المعبر الذي

يمتدّ على مسافة 500 ميل، سُمّي بهذا الاسم نسبة إلى البحّار المُكلّف السير فرانسيس درايك. لا وجود ليابسة تُذكَر على خطّ العرض الموافق لمعبر درايك، ممّا يخلق تدفّقاً دائريّاً من التيّار القطبيّ الجنوبيّ لا يعيقه شيء. نتيجة لذلك، معبر درايك هو أصعب الممرّات المائيّة في العالم، وأشدّها مدعاة للخوف.

***

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور.

يا للأشياء التي تتعلّمينها من طلّاب الصفّ الثامن عندما تسألينهم أسئلة لا تنتظرين لها جواباً، مثل «ماذا تفعلون في المدرسة هذه الأيّام؟». على سبيل المثال، هل تعلمين أنّ الفرق بين القارّتين القطبيّتين الشماليّة والجنوبيّة هو أنّ القارّة القطبيّة الجنوبيّة تحتوي على يابسة، أمّا الشماليّة فهي مجرّد جليد؟! كنتُ أعلم أنّ الجنوبيّة هي قارّة، لكنّني اعتقدتُ أنّ هناك بعض الأرض في الشمال كذلك. وأيضاً، هل كنت تعرفين أنّه لا توجد دببة قطبيّة في القارّة القطبيّة الجنوبيّة؟ لم أكن أعرف! ظننتُ أنّنا سنتفرّج من السفينة على الدببة القطبيّة المُستَغَلّة المسكينة، وهي تحاول القفز من جبل جليديّ ذائب إلى آخر، لكن تبيّن أنّ عليك الذهاب إلى القارّة القطبيّة الشماليّة لرؤية ذلك العرض الحزين. البطاريق هي التي تستوطن القطب الجنوبيّ، بالتالي إن كنتِ تتخيّلين مشهداً مثاليّاً عن دببة قطبيّة تمرحُ مع البطاريق، تخلّصي من أوهامك الآن! الدببة القطبيّة والبطاريق تعيش حرفيّاً في قطبين متعاكسين على الكرة الأرضيّة. أعتقدُ أنّني يجب أن أخرج من المنزل أكثر!

وهذا يقودنا إلى الأمر الثاني الذي كنتُ أجهله. هل تعرفين أنّ الوصول إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة يتطلّب قطعَ معبر درايك؟ هل تعرفين أنّ معبر درايك هو أكثر الممرّات المائيّة هياجاً في الكوكب كلّه؟ حسناً، أنا أعرف، لأنّني أمضيتُ الساعات الثلاث السابقة أتصفّح الإنترنت.

المسألة هي كالتالي: هل تصابين بدوار البحر؟ الناس الذين لا يصابون بدوار البحر لا يعرفون كيف يكون. إنّه ليس مجرّد غثيان، إنّه غثيان إضافة

إلى فقدان الرغبة بالحياة. لقد حذّرتُ إيلجي، الأهمّ خلال هذين اليومين هو أن يقيني بعيدة عن الأسلحة...نسفُ دماغك بمسدّس سيكون إغراءً سهلاً عندما تعانين دوار البحر.

قبل عشر سنوات، شاهدتُ فيلماً وثائقياً عن حصار ذلك المسرح في موسكو. بعد 48 ساعة فقط من قيام الإرهابيّين باحتجاز الرهائن في مقاعدهم دون نوم، تحت الأضواء المبهرة، وإجبارهم على التبوّل في ثيابهم -مع أنّهم يستطيعون الذهاب إلى مرحاض الأوركسترا إن اضطرّوا للتبرّز- حسناً، عدد لا يُستهان به من الرهائن وقفوا واتّجهوا صوب المَخْرَج، على الرغم من علمهم أنّهم سيتلقّون رصاصة في الظهر.

مقصدي هو أنّني أشعر بالرعب من السفر إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة. ليس فقط لأنّني أكره الناس -كي أكون واضحة، ما زلت أكرههم- بل لأنّني أعتقد أنّني لن أستطيع تجاوز معبر درايك. كنتُ سألغي الرحلة بالتأكيد لولا بي، لكنّني لا أستطيع أن أخذلها. ربّما تستطيعين أن تجدي لي علاجاً قويّاً للغاية لدوار البحر، ولا أقصد عقار درامامين، أقصد: قويّاً!

في سياق آخر، أتوقّع منك بالطبع أن تطالبي بأجورك لقاء الوقت الذي يلزمك لقراءة كلّ إيميلاتي المطوّلة.

***

رسالة من بروس جِسَب
عميد القبول في مدرسة شوت

عزيزتي بي،

بعد مراجعة متمعّنة لمجموعة مبهرة من الطلّاب المقبولين مبدئيّاً، يسرّنا أن نمنحك قبولاً في مدرسة شوت روزماري.

خلال عمليّة المراجعة التي قمنا بها، استمتعنا للغاية بالتعرّف على إنجازاتك الأكاديميّة واهتماماتك المتنوّعة. درجاتك وتقييم المدرّسين لكِ كانت مبهرة، مبهرة حقّاً لدرجة أنّ مديرة الدراسات هيلاري لوندس أرسلت رسالة منفصلة إلى والديكِ لمناقشة الفرص الاستثنائيّة التي سنقدّمها لكِ.

حالياً، اسمحي لنا أن نهنّئك بحرارة لاجتيازكِ عمليّة القبول التنافسيّة للغاية. أنا واثق تماماً أنّك ستجدين أنّ رفاقك في الصفّ يتحلّون بروح التحفيز والتحدّي والتفاعل، مثلما تتحلّين أنت برأينا بتلك الصفات بالضبط.

المخلص،

بروس جِسَب.

***

رسالة من هيلاري لوندس، مديرة الدراسات في شوت

عزيزيّ السيّد والسيّدة برانش،

تهانينا لقبول بي في مدرسة شوت روزماري. كما تدركان أكثر من أيّ شخص آخر، بي هي شابّة استثنائيّة، استثنائيّة للغاية، لدرجة أنّني أنصحها في الحقيقة أن تتجاوز المرحلة الدراسيّة الثالثة (الصفّ التاسع)، وتنضمّ مباشرة إلى المرحلة الدراسيّة الرابعة (الصفّ العاشر) في شوت روزماري.

هذا العام، ستقبل مدرسة شوت روزماري واحداً فقط من كلّ عشرة متقدّمين. كلّ المتقدّمين دون استثناء حقّقوا -مثل بي- نتائج ممتازة في امتحانات قبول المدارس الثانويّة، ونتائجَ تقترب من التامّة بالنسبة للمعدّل الوسطيّ للعلامات. لعلّكما تتساءلان كيف نتوجّه في خضمّ هذا البحر من التماثل الأكاديميّ المؤلّف من تضخّم مستمرّ للعلامات والتوصيات، وكيف ننتقي الطلّاب الذين سيزدهرون فعلاً في شوت روزماري.

منذ أواخر حقبة التسعينيّات، يعمل قسم القبول لدينا مع مركز ع. ق. ك. خ (علمُ نفسِ القدرات والكفاءات والخبرات) في جامعة يال لتطوير مقياس صارم، يقيس القدرات الشخصيّة المطلوبة للتأقلم مع التحدّيات الأكاديميّة والاجتماعيّة في المدرسة الداخليّة. حصيلة هذا التعاون أمرٌ تتفرّد به مسيرة القبول في شوت روزماري، وهو اختبار شوت للتقييم الذاتيّ (ا. ش. ت. ذ).

ا. ش. ت. ذ هو في الحقيقة ما جعل بي تتميّز عن بقيّة أقرانها، وفي هذه اللغة الجديدة للنجاح، هناك مفردتان نحبّ استخدامهما لوصف طالبنا

المثاليّ: الشجاعة والرزانة. ابنتكما حقّقت نتائج مبهرة بالنسبة لكليهما.

كما نعلم جميعنا، أسوأ ما قد يصيب الطفل الموهوب في حالة بي هو أن يشعر بالملل، لذلك نظنّ أنّه من مصلحة بي أن تُقبَل في المستوى الدراسيّ الرابع.

قسط المدرسة الداخليّة هو 47260 دولاراً. كي تضمنا مقعد بي، من فضلكما أرسلا عقد القبول، إضافة إلى دفعة أولى، قبل الثالث من كانون الثاني.

أتطلّع قدماً إلى مناقشة هذا الموضوع أكثر. وقبل كلّ شيء، أهلاً بكم إلى شوت روزماري!

المخلصة،

هيلاري لوندس

***

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

هل تسمعين البكاء من هنا إلى الهند؟ لقد قُبِلَت بي في شوت! بصراحة، ألوم نفسي وألوم إيلجي لأنّنا سلّينا بي بقصصنا عن مغامراتنا في المدرسة الداخليّة. إيلجي ارتاد إكسيتر، وأنا ذهبتُ إلى شوت. لم يكن فيها غير الأطفال الألمعيّين، وحفلات فرقة غرايتفُل دِد Grateful Dead، وابتكار الحيل كي لا تفوح غرفة المهجع برائحة نارجيلة الحشيش... ما هو الجزء الذي لن تحبّيه؟

جزء عملاق منّي يريد أن تهرب ابنتي من ريفيّة سياتل المملّة، كما أنّ بي تستميت للذهاب، لذلك لا أملك خياراً سوى أن أستجمع قواي، وألّا أسمح للمسألة أن تتمحور حولي.

إيلجي يكتب رسالة للمدرسة. لا نريد أن تتجاوز بي صفّاً، لكنّ هذا الأمر لا يعنيكِ. من فضلك ادفعي دفعة مقدّمة من حسابنا المشترك. هل من خبر بخصوص دواء دوارِ البحر؟ لقد بدأت أصاب بالفزع.

سأخبركِ بالمزيد لاحقاً. لكنّني تأخرتُ على إحضار بي من المدرسة، ولا أستطيع إيجاد الكلبة.

***

«حسناً» قالت ماما ذلك اليوم ما إن ركبتُ السيّارة. «لدينا مشكلة. دخلت آيس كريم إلى خزانتي، وانغلق الباب خلفها ولم أستطع فتحه. إنّها عالقة في الداخل».

إن بدا الوضع لكم غريباً، فهو ليس كذلك في حقيقة الأمر. منزلنا عتيق، يصدر عنه طوال النهار والليل صرير وتأوّهات كأنّه يحاول التوصّل إلى وضعيّة مريحة دون طائل، وأنا متأكّدة أنّ ذلك عائد إلى كمّيّات المياه الضخمة التي يتشرّبها في كلّ مرّة يهطل فيها المطر. حدث سابقاً أن انغلق باب ما فجأة، ولم يُفتح لأنّه عالق بالجدران حوله، لكن هذه المرّة الأولى التي تتعرّض فيها آيس كريم إلى مشكلة.

اندفعنا أنا وماما للمنزل، وطرتُ إلى الطابق العلويّ وأنا أنادي «آيس كريم، آيس كريم». في غرفة نوم بابا وماما هناك صفّ من حجيرات الاعتراف يستخدمانها كخزائن، أبوابها مدوّرة ومستدقّة من الأعلى. خلف واحد منها تنبح آيس كريم، ليس نباحاً خائفاً يشبه العويل، وإنّما نباح مرح. ثقوا بي، إنّها تضحك علينا!

هناك أدوات مبعثرة على الأرض في كلّ مكان، وكذلك ألواح خشب سماكتها 2×4 إنش، وهي دائماً متوافّرة في حال اضطررنا إلى تثبيت المشمّع المضاد للماء تحت السقف.

جذبتُ مقبض الباب، لكنّه لم يتزحزح مطلقاً.

«جرّبتُ كلّ شيء» قالت ماما، «إطاره متعفّن كليّاً، هل ترين هناك؟ كيف تلتوي العارضة؟». أعرف أنّ ماما كانت ترمّم المنازل قبل أن أولد، لكنّها تتحدّث الآن وكأنّها شخص مختلف تماماً. لم يعجبني ذلك!

«حاولتُ أن أرفع هيكل الباب بعتلة» قالت، «لكن لم أتمكّن من رفعه بما يكفي».

«ألا يمكننا ركله فحسب كي يُفتح؟»، قلت.

«الباب يُفتح باتّجاه الخارج...» شردت ماما قليلاً ثمّ خطرت لها فكرة. «أنت محقّة، يجب أن نركله كي يُفتح من الداخل. دعينا نتسلّق الحائط وندخل من النافذة».

والآن، هذا يبدو ممتعاً!

نزلنا الدرج ركضاً، جلبنا سلّماً من المستودع، جررناه عبر المرج الرطب حتّى أصبحنا بمحاذاة المنزل، وثبّتت ماما أسفله ببعض الألواح الخشبيّة. «حسناً» قالت، «أمسكي السلّم وأنا سأتسلّق».

«إنّها كلبتي» قلتُ، «أنتِ امسكي السّلم».

«لا بالا. هذا خطير جدّاً».

نزعت ماما وشاحها ولفّته حول يدها اليمنى، من ثمّ بدأت تتسلّق. كان منظرها طريفاً بحذائها البلجيكيّ وبنطالها الكابري، وهي تتسلّق سلّماً ملطّخاً بالطلاء. وجّهتْ لكمة للزجاج الملوّن بيدها اليمنى المحميّة، من ثمّ فتحتْ مزلاج النافذة وتسلّقتْ نحو الداخل.

وكأنّها الأبديّة!

«ماما!» بدأتُ أناديها. اللئيمة لم تمدّ رأسها من النافذة حتّى! كنتُ مبلّلة ومنزعجة لدرجة أنّني لم أكترث. وضعتُ قدمي على السلّم، إنّه ثابت تماماً. تسلّقتُه بسرعة شديدة، لأنّ ما سيجعلني أفقد توازني هو أن تراني ماما في منتصف المسافة وتبدأ بالصراخ. استغرق صعوده نحو ستّ ثوان، ونجحتُ بالتسلّق عبر النافذة دون أن أنزلق.

لم تبدِ آيس كريم أيّ ردّ فعل عندما رأتني، كان اهتمامها منصبّاً على ماما التي تركل الباب كأنّها لاعبة كاراتيه، وهي تصيح «غاااااا» مع كلّ ركلة.

أخيراً، خُلع الباب وفُتح.

«أحسنتِ!»، قلتُ.

أجفلت ماما. «بي؟» هتفت، كانت غاضبة، واشتدّ غضبها أكثر عندما سمعنا ضجّة قويّة في الخارج: لقد سقط السلّم بعيداً عن المنزل، وها هو يرتمي على المرج.

«أوووويسس!» قلتُ. عانقتُ آيس كريم بحرارة، واستنشقتُ رائحتها الرطبة، حتّى كاد يغمى عليّ. «أنتِ الكلبة الأسوأ على الإطلاق» قلتُ لها.

«هذه لكِ» قالت ماما وهي تمدّ لي رسالة مختومة بختم مدرسة شوت.

«تهانينا» قالت.

طلبت ماما العشاء الجاهز باكراً، من ثمّ انطلقنا بالسيّارة كي نحتفل مع بابا. كان عقلي يموج بالخيالات عن مدرسة شوت، ونحن نندفع على الجسر المعلّق فوق بحيرة واشنطن. إنّها شاسعة ونظيفة، واللبلاب يتسلّق جدرانَ مبانيها المهيبة المشادة بالطوب الأحمر. أتخيّل أنّ إنجلترا ستبدو هكذا! زرناها أنا وبابا في الربيع، عندما كانت الأشجار مغطّاة بالأزهار، والبطّات تسبح في البرك البرّاقة. لم أرَ في حياتي مكاناً بجمالها إلّا في لعبة البَزْل!

التفتت ماما صوبي، «يحقّ لكِ أن تفرحي بالابتعاد عنّا كما تعلمين».

«الأمر غريب لا غير»

أنا أحبّ مايكروسوفت وذهبتُ إلى الحضانة فيها.كانوا يضعوننا في عربات كبيرة حمراء عندما تغرب الشمس،ويجرّوننا كي نزور آباءنا. بابا صنع آلة كنز –ما زلتُ لا أفهم كيف تعمل– عندما يحين وقت المغادرة، تضع فيها قطعة نقديّة فتعطيك كنزاً وفقاً لمن تكون بالضبط:الصبيّ الذي يحبّ السيّارات سيحصل دائماً على سيّارة «هوت ويلز»، لكن على واحدة جديدة كلّ مرّة لا كيفما اتّفق، أمّا الفتاة التي تحبّ الدمى فستحصل على زجاجة إرضاع لدميتها. آلة الكنز معروضة الآن في قسم الزوّار كمثال مبكّر على تكنولوجيا تمييز الوجوه، وتلك التكنولوجيا هي ما كان بابا يعمل عليها في لوس أنجلس عندما اشترته مايكروسوفت.

ركنّا السيّارة في مكان ممنوع، وشقّت ماما طريقها عبر العامّة الذين يحملون أكياس الطعام الجاهز، وأنا في أعقابها. دخلنا مبنى بابا.

فوق قسم الاستقبال هناك ساعة رقميّة عملاقة تعدّ عدّاً تنازليّاً:

119 يوماً

2 ساعة

44 دقيقة

33 ثانية

«يدعونها ساعة المُنتَج» شرحت ماما، «وهي تعرض الوقت المتبقّي لطرح سامانثا 2 في السوق. وضعوها هنا بهدف التحفيز. لا تعليق!». الساعة ذاتها كانت موجودة في المصعد، في الردهات، وحتّى في دورات المياه، وراقبناها تعدّ الوقت تنازلياً عندما تناولنا الطعام في مكتب بابا، جالسين على الكرات المنفوخة التي يستعملها بدلاً من الكراسي، وعلب الطعام تهتزّ متقلقلة فوق ركبنا. شرحتُ لهما عن أنواع البطاريق المختلفة التي سنراها في الرحلة.

«هل تعرفان ما هو الجزء الأروع؟» قاطعتني ماما، «لا توجد مقاعد مخصّصة في قاعة الطعام في السفينة، والطاولات معدّة لأربعة أشخاص. هذا يعني أنّنا نستطيع أن نجلس ثلاثتنا معاً، وأن نكوّم قبّعاتنا وقفّازاتنا على الكرسيّ الرابع، كي لا يجلس معنا أحد».

تبادلنا النظرات أنا وبابا، هل تمزح؟!

«والبطاريق» أضافت ماما بسرعة، «أنا في غاية الحماس لرؤية كلّ تلك البطاريق!».

لا بدّ أنّ بابا أخبر جميعهم بقدومنا، لأنّ الناس ظلّوا يروحون ويجيئون أمام مكتبه، وهم يختلسون النظر عبر الزجاج متظاهرين أنّهم لا يقومون بذلك. لا بدّ أنّ هذا هو شعور المشاهير بالضبط!

«كنتُ أتمنّى أن نحتفل أكثر» قال بابا وهو يسترق نظرة إلى إيميله، «لكن لديّ مؤتمر فيديو مع تايبي»

«لا بأس بابا» قلتُ، «أنت مشغول».

***

من بابا

عزيزتي السيّدة لوندس،

أوّلاً، نحن سعيدان بقبول بي في شوت. أنا نفسي خريج مدرسة إكسيتر،

وزوجتي برناديت تقول دائماً إنّ أسعد أوقات حياتها كانت في شوت، ولطالما أرادت بي أن تدرس في شوت منذ كانت طفلة صغيرة.

ثانياً، شكراً لكلماتك اللطيفة حول بي. نحن متّفقان معكِ، بي استثنائيّة، لكنّنا بأيّ حال نعارض بصرامة انتقالها مباشرة إلى صفّ أعلى.

لقد ألقيتُ نظرة لتوّي على طلب القبول، وأدركتُ أنّه لن يكشف لكِ أمراً أساسياً عن بي: لقد وُلِدَتْ بعيب خَلقيّ في القلب تطلّب إجراء ستّ عمليّات جراحيّة، ولذلك أمضت السنوات الخمس الأولى من حياتها ما بين قبول وآخر في مشفى الأطفال في سياتل.

التحقت بي بروضة الأطفال في العمر المحدّد، على الرغم من أنّ جسدها الصغير عانى صعوبة في مواكبة العبء المطلوب منه (كانت بي على خطّ النمو صفر بالنسبة للوزن والطول خلال ذلك الوقت، وما زالت تحاول الوصول إلى خطّ النموّ الموافق لعمرها كما لاحظتِ) لكنّ ذكاءها العميق كان واضحاً، وشجّعَنا المدرّسون على إخضاعها لاختبارات فحص الذكاء. في الواقع، لم نكن مهتّمين أنا وبرناديت بصناعة الطفل الموهوب، ربّما لأنّنا كلانا ارتدنا مدارس الآيفي ليغ وجامعاتها، ولذلك لا نقدّسها كما يفعل بقيّة الأهل في سياتل. لقد تركّز اهتمامنا الرئيس على توفير القليل من الحياة الطبيعيّة لابنتنا بعد ظروف مرَضها في سنواتها الخمس الأولى.

صبّ ذلك القرار في مصلحة بي، ووجدنا مدرسة رائعة في الجوار هي غايلر ستريت. دون شكّ، بي «تتفوّق» على بقيّة أقرانها في الصفّ، ولذلك أخذت على عاتقها تعليم الأطفالِ الأبطأ منها القراءةَ والكتابةَ، كما أنّها تبقى حتى الآن في المدرسة بعد انتهاء الدوام، كي تقدّم المساعدة في مختبر الوظائف، وهو ما لم تذكره في طلب القبول.

مدرسة شوت تملك إمكانيّات رائعة، وأنا واثق أنّ بي ستجد ما يرضيها كي لا «تشعر بالملل». على ذكر الملل، من فضلك تحمّليني وأنا أروي لك قصّة المرّة الأولى والأخيرة التي ادّعت فيها بي أنّها تشعر بالملل: كنّا ذاهبين أنا وبرناديت بالسيّارة كي نوصل بي وصديقتها غرايس –كلاهما في صفّ الحضانة– إلى حفلة عيد ميلاد، فعلقنا في الازدحام.

«أنا أشعر بالملل» قالت غرايس.

«أجل» قلّدتها بي، «أنا أشعر بالملل».

أوقفت برناديت السيّارة، فكّت حزام الأمان والتفتت صوب البنتين. «هذا صحيح» قالت لهما، «أنتما تشعران بالملل، وأنا سأطلعكما على سرّ صغير من أسرار الحياة. هل تظنّان أنّ الحياة مملّة الآن؟ حسناً، إنّها تصبح مملّة أكثر مع مرور الوقت. ستصبحان أفضل حالاً كلّما استوعبتما بشكل أسرع، أنّ جعل الحياة ممتعة هو أمرٌ يقع على عاتقكما».

«حسناً» قالت بي بهدوء، أمّا غرايس فقد انفجرت بالبكاء، ولم تقبل أن تزور بي لتلعب معها مجدّداً. كانت تلك المرّة الأولى والأخيرة التي قالت فيها بي إنّها تشعر بالملل.

نتطلّع قدماً إلى لقائك في الخريف، عندما تصل بي مع زملائها من طلّاب المرحلة التعليميّة الثالثة.

المخلص،

إيلجن برانش.

***

أنا لستُ مريضة! لقد وُلِدتُ مصابةً بمتلازمة «نقص تصنّع القلب الأيسر»، مفهوم؟ إنّها حالة خلقيّة تحدث عندما لا يتطوّر كلّ من الدسّام التاجيّ، البطين الأيسر، الدسّام الأبهر، والشريان الأبهر بشكل تامّ، ممّا اضطّرني للخضوع إلى ثلاث جراحات قلب مفتوح، وثلاث جراحات أخرى بسبب الاختلاطات. يُفتَرض أنّني ذكيّة جدّاً، لكن احزروا! لا أتذكّر أيّاً من تلك العمليّات! واحزروا مرّة ثانية! أنا بخير تماماً الآن، وكنتُ بخير طوال تسع سنوات ونصف السنة. خذوا دقيقة من وقتكم واحسبوا: كنتُ طبيعيّة تماماً خلال ثلثي حياتي.

كلّ سنة، يأخذني بابا وماما إلى مستشفى الأطفال لإجراء إيكو للقلب وصور بأشعة إكس، تستاء اختصاصيّة أمراض القلب عندما تراها لأنّني لستُ بحاجة إليها. تبدو ماما دائماً وكأنّها تستعيد ذكريات من ڤيتنام، عندما نمشي عبر ردهات المشفى، سنمرّ من أمام عمل فنيّ عشوائيّ معلّق على

جدار، وعندها ستتمسّك ماما بالكرسي وتقول «آه يا إلهي! بوستر مِلتون آفري ذاك!»، أو تأخذ شهيقاً عميقاً وتقول «شجرة التين البنغاليّ تلك! كانت مزيّنة بلقالق الأوريغامي في ذلك الكريسماس البغيض!»، وعندها تغمض عينيها بقوّة بينما نقف هناك فحسب، من ثمّ يعانقها بابا عناقاً حارّاً، والدموع تترقرق في عينيه بدوره.

سيخرج كلّ الأطباء وكلّ طاقم التمريض من مكاتبهم لتحيّتي وكأنّني الفاتح البطل، بينما أفكّر أنا طوال الوقت «لماذا؟!»، من ثمّ يعرضون عليّ صوري عندما كنتُ رضيعة مُدثّرة على سرير المشفى، ترتدي قبّعة صغيرة، وكأنّه يُفتَرض بي أن أتذكّر! لا أعرف المغزى من كلّ هذا، عدا عن أنّني بخير تماماً الآن.

المسألة الوحيدة الآن هي أنّني قصيرة وليس لي ثديان، وهذا يزعجني، إضافة إلى الربو. العديد من الأطباء قالوا لنا إنّه من الممكن أن أصاب بالربو حتّى ولو وُلِدتُ بقلب سليم. لا يعيقني الربو عن القيام بأيّ نشاط سواء الرقص أو عزف الفلوت، وأنا لا أصاب بالوزيز بل بشيء مبتذل أكثر في كلّ مرّة أمرض فيها –حتّى بالإنفلونزا المعويّة– إذ يتبع المرضَ دائماً أسبوعان من البلغم المقرف الذي أضطرّ لبصقه. لن أقول إنّ الجلوس مقابل من يبصق البلغم أمرٌ لطيف، لكن إن كنتم مهتمّين بمعرفة شعوري تجاهه: أنا بالكاد ألاحظه.

هوس مسز ويب ممرّضة المدرسة بسعالي سخيف للغاية. قسماً! في آخر يوم لي في المدرسة، سأتظاهر أنّني أسقط ميّتة في مكتبها فقط كي أفزعها. أنا واثقة أنّ مسز ويب تشعر براحة عظيمة في كلّ يوم تغادر فيه غايلر ستريت، دون أن أسقط ميّتة أمام عينيها.

لقد خرجتُ عن الموضوع! لماذا بدأتُ أصلاً بكتابة كلّ هذا؟! آه أجل: أنا لستُ مريضة!

الخميس، 2 كانون الأوّل

من: سو –لِنْ لي– سِغال

إلى: أودري غريفن

كنتِ من اللباقة بحيث لم تسأليني كيف سار اجتماع مايكروسوفت ودار البلديّة. أنا واثقة أنّك تتحرّقين لمعرفة ما إذا كنتُ ضحيّة من ضحايا تخفيض عدد الموظّفين الملحميّ الذي ملأ الصحف.

ما حصل هو تخفيض مُمَنهج للقوى العاملة بنسبة 10%. في الزمن الغابر، إعادة الهيكلة كانت تعني فورة في التوظيف، أمّا الآن فتعني التسريح. ربّما سبق وأخبرتكِ أنّ مشروعي كان على وشك أن يُلغى، فجنّ جنون مديري نوعاً ما، وحرّض نصف مايكروسوفت. بحثتُ كالمجنونة عن حجوزات غرف الاجتماعات ومواقع العمل الإلكترونيّة، محاولة أن أستشفّ شيئاً ما عن مصيري. أصحاب المراتب العليا في فريقنا انتهى بهم الحال في بينغ وويندوز فون، وعندما حاولتُ الحصول على إجابة من مدير مشروعي، لم يجبني بأكثر من الصمت المريب.

من ثمّ، بعد عصر البارحة، أبلغتني مندوبة من قسم الموارد البشريّة أنّها تريد رؤيتي في قاعة الاجتماعات الموجودة في آخر الردهة في اليوم التالي (لقد رأيتُ ذلك الموعد مثبّتاً، لكنّني لم أملك فكرة أنّه كان من أجلي!).

قبل أن أعدّ العدّة لنوبة رثاء للذات، رميتُ كلّ شيء من يدي وهرولتُ إلى أقرب لقاء «ضحايا ضدّ جعلهم ضحايا» ض. ض. ض والذي ساعدني كثيراً. أعرف أنّك تشكّكين جدّاً بكلّ ما يتعلّق بـ ض. ض. ض، لكنّه ما سندني.

جئتُ إلى العمل بسيّارتي هذا الصباح، لأنّني لم أشأ التعرّض للمزيد من الإذلال بتحميل عدّة صناديق في باص الشركة. دخلتُ غرفة الاجتماعات في موعدي بالضبط، حيث أبلغتني موظّفة من قسم الموارد البشريّة بهدوء أنّ فريقنا بأكمله -عدا أولئك الذين تمّ نقلهم إلى ويندوز فون وبينغ- سيُسَرّح. «بأيّ حال» قالت، «أداؤكِ جيّد للغاية، لذلك نرغب بتعيينكِ في مشروع خاصّ في الاستوديو سي».

أودري! سيُغمى عليّ! الاستوديو سي هو الاستوديو الجديد الموجود في القسم الغربيّ من حرم الشركة، والعاملون فيه هم من ذوي أعلى المراتب في مايكروسوفت! الأخبار الجيّدة: لقد حصلتُ على ترقية! الأخبار السيّئة: المشروع الجديد الذي سأعمل عليه يمرّ بطور محموم، ومن المفروض أن

أعمل في عطلات نهاية الأسبوع. إنّه مشروع سرّيّ! لا أعرف إن أطلقوا عليه اسماً حتّى. الأخبار السيّئة: لن أستطيع حضور فطور الأهالي المرتقبين! الأخبار الجيّدة: يمكنني الإسهام بتكاليف الطعام بكلّ تأكيد.

نتحدّث قريباً. هيّا هاسكيز[1]!

***

من: أوللي – أو

إلى: لجنة فطور الآباء المرتقَبين.

خبر عاجل يحدث الآن!

لقد استجاب ستّون شخصاً لدعوتنا. سأحاول أن أخصب الوضعَ: بيرل جام! سمعتُ أنّ أعضاء الفرقة لديهم أطفال سيدخلون الروضة، إن تمكّنا من إقناع واحد منهم بالقدوم –ليس بالضرورة أن يكون المغنّي– سأستغلّ حضوره.

***

من: أودري غريفن

إلى:سو –لِنْ لي– سِغال

حصولك على ترقية خبرٌ عظيم! سأقبل عرضكِ بخصوص الإسهام في تكاليف الطعام بكلّ سعادة. لديّ كميّة كافية من البندورة الخضراء في البيت الزجاجيّ سأقليها كمقبّلات، لديّ شبث وريحان وكزبرة لتحضير المايونيز بالثوم، كما أنّني قمتُ بتخزين صندوقين من التفّاح، أنوي أن أصنع منها تورتة الروزماري المُكَرْمَلة للتحلية. بالنسبة للطبق الرئيس، ما رأيكِ أن نجلب فرن البيتزا المتنقّل ذاك كي يقدّموا الطعام؟ يمكنهم أن ينصبوا معدّاتهم في الحديقة، ولن يشغلوا مطبخي.

أوللي –أو كان محقّاً عندما قال إنّ الحماس مُعدٍ. اليوم في متجر هول

1- The Washington Huskies فريق يلعب كرة القدم الأمريكيّة ممثّلاً لجامعة واشنطن. Go Huskies! هو شعار تشجيع الفريق ونشاطات الإعلان والترويج له، واسم موقعه الرسميّ... إلخ. م

فودز ميّزتني امرأة لا أعرفها، وقالت إنّها تتطلّع قدماً لحضور فطوري. بالحكم على ما تحويه عربة تسوّقها– جبنة مستوردة، توت رازبيري العضويّ، رذاذ غسيل الفواكه – تلك المرأة تنتمي إلى نوعيّة الأهل الذين نحتاجهم في غايلر ستريت. رأيتها في المرآب، إنّها تقود ليكسس لا مرسيدس، لكنّ هذا جيّد بما يكفي.

هل سمعتِ؟ إرسال طفلة مريضة إلى مدرسة داخليّة! لماذا لا يفاجئني ذلك؟

***

كان لديّ تصريح بالخروج من الصفّ في موعد الدروس في ذلك اليوم، لأنّ مستر كانغانا أستاذ الموسيقا طلب منّي مرافقة طلّاب الصفّ الأوّل بالعزف في الأغنيّة التي يتدرّبون عليها بمناسبة الاحتفال بيوم العالَم، وهو يحتاجني في البروفة. كنتُ أجلب الفلوت من خزانتي، واحزروا بمن التقيت؟ أودري غريفن، التي تعلّق سجّادات صلاة نسجها طلّاب الصفّ الثالث من أجل مزاد الفنون.

«سمعتُ أنّكِ ستذهبين إلى مدرسة داخليّة» قالت، «فكرة من هذه؟».

«فكرتي»، قلتُ.

«ما كنتُ لأرسل كايل أبداً إلى مدرسة داخليّة»

«أعتقد أنّكِ تحبّين كايل أكثر ممّا تحبّني والدتي» قلتُ، وعزفتُ على الفلوت وأنا أبتعد عبر الردهة.

***

من: مانجولا كابور

إلى: برناديت فوكس

عزيزتي السيّدة فوكس،

أجريتُ بحثاً عن أدوية دوار الحركة. أقوى دواء يُصرَف بموجب وصفة طبّيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة هو كريم ABHR، مزيج من الأتيفان+ بنادريل+ هالدول+ رغلان، ويُصنّع بشكل كريم للاستعمال الموضعيّ. هذا

المزيج اخترعته ناسا كي يستخدمه روّاد الفضاء الذين يعانون من دوار الحركة في الفضاء الخارجيّ، من ثمّ استعملته دورُ الرعاية لمرضى المراحل النهائيّة من السرطان. يسرّني أن أرسل لك روابط مختلف مواقع الحوار الإلكترونيّة التي تمدح ABHR، لكن ينبغي عليّ تحذيركِ من أنّ تلك المواقع تعرض صوراً فوتوغرافيّة لأشخاص في مراحل متقدّمة من الأمراض،وقد تسبّب لكِ الضيق.

بحثتُ من تلقاء نفسي عن طريقة للحصول على ABHR، واكتشفتُ أنه متوافّر فقط من خلال (صيدليّات تركيب الأدوية) وهي غير موجودة عندنا في الهند، لكنّها منتشرة على ما يبدو في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، كما وجدتُ طبيباً سيكتب لكِ وصفة.

من فضلك أبلغيني كيف تريدين أن نتابع.

تحيّاتي الحارّة،

مانجولا.

***

إلى: مانجولا كابور

من: برناديت فوكس

إن كان جيّداً بالنسبة لروّاد الفضاء ومرضى السرطان، سيكون جيّداً بالنسبة لي! اطلبيه!

***

ملاحظة من أودري غريفن

توم،

ها هو شيك بقيمة أجورك السابقة. على سبيل التأكيد: سنلتقي في منزلي بعد ظهر يوم الاثنين، ونصعد التلّة إلى المنزل الذي تنمو منه أجمات توت العليق. أفهم تردّدك حيال دخول أملاك الجيران دون إذن، لكنّني أعلم علم اليقين أنّه سيكون خالياً.

***

الاثنين 6 كانون الأوّل

في ذلك اليوم، الحصّة السادسة كانت حصّة الفنون، وكانت هناك مفرزات لزجة عالقة في حنجرتي، لذلك خرجتُ إلى الردهة لأبصق في الحوض -وهو ما أفعله دائماً في حصّة الفنون- من ظهر عند الزاوية عندما كنتُ أتقشّع؟! مسز ويب الممرّضة، والتي أصيبت بالهلع لأنّني برأيها أنشر الجراثيم. حاولتُ أن أشرح لها أنّني لا أنشر الجراثيم، البلغم الأبيض هو عبارة عن جراثيم ميتة... اسألوا طبيباً حقيقيّاً، لا موظّفة إداريّة مصداقيّتها الوحيدة لإطلاق لقب ممرّضة على نفسها هي علبة لصاقات جروح باند آيد في درج مكتبها، لا شهادةُ تمريض!

«سأجلب حقيبتي»،غمغمتُ.

أودّ أن أشير هنا إلى أنّ مستر ليڤي، أستاذ البيولوجيا ومراقب دوام الصفّ، لديه ابنة مصابة مثلي تماماً بالربو الذي تحرّضه الڤيروسات، وهي تلعب الهوكي في دوري المحترفين، لذلك فهو يعلم أنّ سعالي ليس خطيراً، ولن يفكّر بإرسالي إلى مكتب مسز ويب ولو بعد مليون سنة. من السهل أن تحزروا متى تعلق المفرزات بحنجرتي، سيتقطّع صوتي وأنا أجيب على الأسئلة وكأنّه اتّصال خليويّ رديء، وعندها يقوم مستر ليڤي سرّاً بإعطائي منديلاً. مستر ليڤي طريف حقّاً، ويترك السلاحف تتمشّى في أرجاء الصفّ. مرّة جلب معه النتروجين السائل[1] وجمّد غداءنا الذي لم نأكله.

لم أشعر بالذنب في الواقع لأنّ ماما اضطّرت للقدوم باكراً كي تأخذني، لقد كانت الحصّة السادسة أصلاً. الشيء الوحيد الذي أزعجني كان أنّني لن أستطيع التدريس في مختبر الوظائف، فأنا أساعد طلّاب الصفّ الرابع في التحضير لمناظرة. إنّهم يدرسون عن الصين، وستدور المناظرة حول مزايا الاحتلال الصينيّ للتيبت وسلبيّاته. هل سمعتم بمثل هذا الموضوع من قبل؟! غايلر ستريت سخيفة للغاية، تتجاوز المنهاج المقرّر وتناقض نفسها،

1- ينتج بوساطة التقطير الصناعيّ المجزّأ للهواء بشكل سائل من النتروجين الصافي، تبلغ درجة حرارته – 195 درجة مئويّة تقريباً، ويستخدم لتجميد الأطعمة من بين غايات أخرى. م

لدرجة أنّ طلّاب الصفّ الرابع يقيمون حقّاً مناظرة حول مزايا الإبادة العرقيّة التي تشنّها الصين على الشعب التيبتيّ، ناهيكم عن الإبادة الثقافيّة التي يوازي تأثيرُها الدمارَ الناجم عن الإبادة العرقيّة. أردتهم أن يذكروا أنّ إحدى إيجابيّات الاحتلال الصينيّ هي الإسهام بحلّ مشكلة نقص الغذاء في العالَم بسبب تناقص عدد أفراد الشعب التيبتيّ، لكنّ مستر لوترشتاين سمعني، وقال لي إنّ من الأفضل أن أصمت.

وهأنذا أنتظر على درجات الممرّ في المطر. ليس مسموحاً لنا الانتظار في المكتب منذ أُرسِل كايل غريفن إلى هناك في يوم من الأيّام، واستغلّ عدم وجود من يراقبه، ففتّش دليل هواتف المدرسة، وأخذ يتّصل بكلّ الأهالي من رقم المدرسة الرئيس. بالتالي رأى الأهل اسم غايلر ستريت على شاشات هواتفهم الخليويّة وأجابوا، عندها كان كايل يزعق «لقد حصل حادث!» ثمّ يغلق الخطّ. منذ ذلك اليوم، توجّب على جميع الأطفال الانتظار خارجاً.

وصلت ماما، لم تسألني عن وضعي لأنّها تعرف كم أنّ مسز ويب مزعجة. في طريق العودة للمدرسة بدأتُ أعزف الفلوت. ماما لا تسمح لي بالعزف في السيّارة، لأنّها تخشى أن يخترق الفلوت جسدي، ويغرزني بالمقعد إن اصطدمتْ بنا سيّارة أخرى. سخيف! كيف يمكن أن يحدث ذلك أصلاً؟!

«بي!» قالت ماما.

«أعرف أعرف»، وضعتُ الفلوت جانباً.

«كلّا» قالت ماما، «هل هذا فلوت جديد؟ لم أره من قبل».

«إنّه فلوت يابانيّ يُسمّى شاكوهاتشي. أعارني إيّاه مستر كانغانا من مجموعته الخاصّة. سيغنّي طلّاب الصفّ الأوّل في احتفال يوم العالَم أمام الأهالي، وسأرافقهم بالعزف. عندما ذهبتُ إلى البروفة الأسبوع الماضي، كانوا يقفون ويغنّون فحسب، لذلك فكّرتُ لِمَ لا يؤدّون رقصة الفيل؟ سأقوم بتصميم الرقصة أيضاً».

«لم أكن أعرف أنّك تصمّمين رقصة لطلّاب الصفّ الأوّل!» قالت ماما، «هذا عظيم، بي!».

«عاديّ»

«يجب أن تخبريني بمثل هذه الأمور. هل يمكنني الحضور؟»

«لا أعرف الموعد بالضبط». أعرف أنّها لا تحبّ القدوم إلى المدرسة، وأنّها على الأغلب لن تأتي، فلماذا التظاهر؟!

وصلنا إلى المنزل وصعدتُ إلى غرفتي، بينما ذهبت ماما كعادتها إلى «بتي تريانون[1]». لا أعتقد أنّني ذكرتُ بتي تريانون من قبل: تفضّل ماما الخروج من المنزل أثناء النهار، لا سيّما عندما تأتي نورما وأختها للتنظيف، لأنهما تتبادلان الحديث بصخب من غرفة لغرفة، كما أنّ البستانيّين يدخلون البيت من أجل مكافحة الأعشاب الضارّة. لذلك، جلبت ماما مقطورة آيرستريم، وأنزلتْها بالرافعة في الحديقة الخلفيّة. هناك يوجد كمبيوترها، وهناك تمضي معظم أوقاتها. أنا من أطلقتُ على المقطورة اسم بتي تريانون تيمّناً بماري أنطوانيت، التي كان لديها عزبة صغيرة خاصّة بها في ڤيرساي، تلجأ إليها عندما تحتاج إلى استراحة من ڤيرساي نفسه.

إذن، ماما كانت في بتي تريانون، وأنا في غرفتي غي الطابق العلويّ أحدّق بوظيفتي، عندما بدأت آيس كريم بالنباح.

سمعتُ صوتَ ماما قادماً من الحديقة. «هل لي بمساعدتكما؟» قالت بنبرة تقطر سخرية.

تعالت صرخة صغيرة بلهاء.

نظرتُ من النافذة. ماما واقفة على المرج مع أودري غريفن، ورجل ما يرتدي بوطاً وأفرولاً.

«لم أعتقد أنّك ستكونين في المنزل!»، غمغمت أودري.

«واضح». صوت ماما سوبر حقير! هذا طريف للغاية!

غمغمت أودري باختصار عن أجمات توت العليق في حديقتنا، عن حديقتها العضويّة، عن أنّ الرجل لديه صديق يملك آلة خاصّة، وعن شيء ما ينبغي إنجازه هذا الأسبوع. استمعت ماما إليها لا غير، ممّا جعل أودري تتحدّث بسرعة أكبر.

1- Petit Trianon هو قصر تريانون الصغير الذي كان مخصّصاً لماري أنطوانيت. م

«يسرّني استئجار خدمات توم لإزالة أجمات توت العليق من حديقتي» قالت ماما أخيراً، «هل لديكَ بطاقة؟».

ساد صمت طويل مؤلم ريثما فتّش الرجل في جيوبه.

«يبدو أنّنا انتهينا» قالت ماما لأودري، «لذلك لماذا لا تعودين أدراجك عبر الثقب الذي زحفتِ منه، وتبقين بعيدة عن حوض الملفوف خاصّتي؟» ثمّ استدارت ومشت إلى بتي تريانون، وصفقت الباب خلفها.

آنذاك، كان موقفي أشبه بـ«أحسنتِ ماما!» لأنّ الوضع هو كالتالي: مهما كان ما يقوله الناس عن ماما الآن، لكنّها عرفتْ كيف تجعل الحياة طريفة دون شكّ.

***

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

تجدين مرفقاً معلوماتٍ حول شخصٍ «يكافح» توت العليق (هل تصدّقين أنّه يوجد شيء كهذا؟!). من فضلكِ تواصلي معه، وأبلغيه أن يقوم بما –من– أين –متى– كيف يحتاج أن يقوم به. سأدفع كلّ التكاليف.

***

بعد خمس دقائق، أرفقت ماما الإيميل السابق بما يلي:

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

أريد لافتة عرضها ثمانية أقدام وارتفاعها خمسة أقدام، وأريد أن يُكتَب عليها:

أملاك خاصّة

ممنوع الدخول

بعوضات غايلرستريت

سيعرضنَ أنفسهنّ للاعتقال،

والترحيل إلى سجن البعوضات.

أريد أن تكون اللافتة مدهونة بأقبح درجة من الأحمر الفاقع، وأن تُكتَب الكلمات بأقبح درجة من الأصفر الفاقع. أريد وضعها على الحافّة الغربيّة لحدود أملاكي في أسفل التلّة، والتي سيصبح الوصول إليها متاحاً بعد أن نكافح توت العليق البغيض. احرصي على أن تتّجه اللوحة صوب حديقة الجيران.

***

الثلاثاء، 7 كانون الأوّل

من: مانجولا كابور
إلى: برناديت فوكس

أريد التأكّد من أنّ أبعاد اللافتة التي تريدينها هي 8 عرض×5 ارتفاع. الرجل الذي اتّفقتُ معه لتفصيلها علّق أنّها ضخمة بشكل غير عاديّ، ولا يتناسب حجمها مع منطقة سكنيّة.

تحيّاتي الحارّة،
مانجولا

***

من: برناديت فوكس
إلى: مانجولا كابور

راهني على البِندي[1] التي تضعينها إنّني أريدها بهذا الحجم.

***

من:مانجولا كابور
إلى:برناديت فوكس

عزيزتي السيّدة فوكس،

لقد طلبتُ اللافتة، وستُنصَب في النهار نفسه الذي ينتهي فيه توم من عمليّة المكافحة.

1- نقطة تزيينيّة حمراء اللون ترسمها النساء الهندوسيّات في مركز الجبهة. م

إضافة إلى ذلك، يسرّني إبلاغك أنّني عثرتُ على طبيب مستعدّ أن يكتب لك وصفة كريم ABHR. لسوء الحظّ، صيدليّة تركيب الأدوية الوحيدة في سياتل التي ستزوّدك به لن تقوم بتوصيله. عندما استعلمتُ عن خدمة التوصيل، يا حسرة، أصرّوا على حضورك شخصيّاً إلى الصيدليّة لاستلام الوصفة، لأنّهم ملزمون قانونيّاً بمناقشة تأثيرات ABHR الجانبيّة معكِ وجهاً لوجه.

تجدين مرفقاً عنوان الصيدليّة ونسخة عن الوصفة.

تحيّاتي الحارّة،

مانجولا

***

الجمعة، 10 كانون الأوّل

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

أنا ذاهبة إلى الصيدليّة الآن. ليس من الرهيب مغادرة المنزل بينما تقوم تلك الآلة الجهنميّة ذات الأشواك والأذرع التلسكوبيّة والأجزاء الدوّارة الخبيثة بتمزيق تلّتي، ونشر الحطام في كلّ مكان. توم ربط نفسه حرفيّاً فوق الوحش كي لا يقذفه بعيداً. لن أتفاجأ لو أخذت الآلة تنفث النار.

أوه! لقد وصلت سترة صيّاد السمك! شكراً لكِ. سبق ووضعتُ فيها نظّارتي، ومفاتيح السيّارة، وهاتفي الخليويّ.

قد لا أخلعها أبداً.

***

من: سو -لِنْ لي- سِغال

إلى: أودري غريفن

كما سيقول أوللي – أو: خبر عاجل يحدث الآن!

هل أخبرتكِ أنّني أصبحتُ المشرفة الإداريّة لفريق جديد؟ عرفتُ للتوّ أنّه سامانثا 2 الذي يقوده إيلجن برانش شخصيّاً! يا أودري! جسدي عبارة عن

مرجل من العواطف في هذه اللحظة! عندما كشف إيلجن عن سامانثا 2 في مؤتمر TED في شباط، أشعل ثورة في الإنترنت، وخلال أقلّ من عام احتلّ عرضه المرتبة الرابعة من حيث عدد المشاهدات بين جميع خطابات TED. لقد قال بيل غيتس مؤخراً: إنّ مشروعه المفضّل في كلّ الشركة هو سامانثا 2، كما ربح إيلجن العام الماضي جائزة التميّز التقنيّ، وهي أرفع جائزة تقديريّة في مايكروسوفت. أفراد سامانثا 2 -وخصوصاً إيلجن- أشبه بنجوم الروك هنا، اذهبي إلى استوديو ويست وستعرفين من عجرفتهم أنّهم يعملون على مشروع سامانثا 2. أعرف أنّني أقوم بعمل جيّد، لكن تعييني في سامانثا 2 يعني أنّ الجميع هنا يدركون ذلك أيضاً. أشعر بالدوار!

وأيضاً: هناك إيلجن برانش شخصيّاً! كانت وقاحته وغروره ذلك اليوم في باص الشركة بمنزلة صفعة ما تزال تحرق خدّي، لكن انتظري حتّى تسمعي ماذا حدث صباحاً!

ذهبتُ إلى قسم الموارد البشريّة لاستلام بطاقةِ المفتاح الخاصّة بي، وأمْرِ تعييني في المكتب (هذه هي المرّة الأولى منذ عشر سنوات التي سأعمل فيها ضمن مكتب له نافذة!). كنتُ أرتّب الصور والفناجين ومجموعتي من تماثيل أطفال الثلج عندما رفعتُ رأسي، فرأيتُ إيلجن برانش عبر القاعة، وهو لا ينتعل حذاءً بل جوارب فقط، ممّا أثار استغرابي! لوّحتُ له، فابتسم ابتسامة غامضة وتابع طريقه.

قرّرتُ أن أكون «سبّاقة» (وهي إحدى الصفات الثلاث التي تشكّل أساس العلاقات ما بين الأفراد بالنسبة للضحايا ضدّ جعلهم ضحايا) وأن أبادر أنا باللقاء الأوّل وجهاً لوجه في دورنا الجديد كمدير وإداريّة.

إيلجن كان عند طاولته المخصّصة للعمل وقوفاً، وبوطه مرميّ عند قدميه مباشرة. صعقني عدد مكعّبات براءات الاختراع المكوّمة كيفما اتّفق في مكتبه (كلّما حصل مُطوِّرٌ على براءة اختراع لشيء ما يتلقّى مكعّباً رمزيّاً، وهو تقليد ظريف نقوم به هنا في مايكروسوفت). مدير مشروعي السابق كانت لديه أربعة مكعّبات، على رفّ نافذة إيلجن وحدها هناك أكثر من عشرين، فضلاً عن تلك المرمية على الأرض.

«هل أساعدكِ بشيء؟»، قال.

«صباح الخير» شددتُ قامتي، «أنا سو-لِنْ لي-سِغال، الإداريّة الجديدة».

«سعيد بلقائك»، ومدّ يده.

«لقد التقينا من قبل. ابني -لنكولن- في صفّ بي في مدرسة غايلر ستريت»

«اعذريني» قال، «أجل بالطبع».

مدّ بابلو مهندس البرمجة رأسه إلى الداخل وقال: «نهارٌ جميل يا جاري!». كلّ أفراد الفريق يغيظون إيلجن بالإشارة إلى مستر روجرز[1]، فمن عادات إيلجن الغريبة كما يبدو هو أن يخلع حذاءه ما إن يدخل مكتبه تماماً مثل مستر روجرز... حتّى عندما ألقى خطابه في TED -وقد شاهدتُه مرّة ثانية لتوّي- وقف هناك مرتدياً جوربيه فقط، أمام آل غور وكاميرون دياز!

«سنعمل في فترة الظهيرة» تابع بابلو، «لدينا اجتماعُ طرفٍ ثالث في ساوث لايك يونيون، ما رأيكَ لو حوّلناه إلى غداء عمل في المدينة؟ في وايلد جنجر؟».

«رائع!» أجابه إيلجن. «إنّه قريب من محطّة القطار، يمكنني الانطلاق منه مباشرة إلى المطار».

سبق ورأيتُ في مفكّرة سامانثا 2 أنّ إيلجن سيقّدم عرضاً خارج المدينة غداً.

استدار بابلو صوبي، فقدّمتُ نفسي. «هـورررااي!!» قال، «إداريّتُنا الجديدة! يا إلهي! نحن نموت هنا من دونكِ. ما رأيك لو انضممتِ إلينا على الغداء؟».

«لا بدّ أنّك سمعتَ معدتي تقرقر!» ضحكتُ، «لديّ سيّارة، يمكننا أن نستقّلها إلى مركز المدينة».

«لنذهب بالباص 888» قال إيلجن، «يلزمني واي - فاي لإرسال بعض الإيميلات».

1- Fred McFeely Rogers 1928-2003، شخصيّة تلفزيونيّة أمريكيّة رائدة، كتب وقدّم العرض التلفزيوني الشهير الموّجه للأطفال ما قبل مرحلة المدرسة «ضاحية مستر روجرز» الذي تشير إليه الرواية، استمرّت حلقاته من عام 1968 إلى 2001. م

«الباص 888 إذن» قلتُ وأنا أشعر بالمهانة لأنّهما رفضا عرضي، عزائي أنّ الباص 888 مخصّص لنائب المدير ومن هم أعلى مرتبة، وهذه أوّل مرّة سيتاح لي فيها ركوبه. «وايلد جنجر عند الظهر، سأحجز مكاناً».

وهأنذا! خائفة من الذهاب للغداء في اليوم الذي يُفترَض أنّه أسعد أيام حياتي. أوه أودري، آمل أن يكون يومكِ أفضل من يومي!

***

من: أودري غريفن

إلى: سو -لِنْ لي- سِغال

من يبالي بإيلجن برانش؟! المهمّ هو أنتِ. أنا فخورة للغاية بكلّ ما قمتِ به للتغلب على العوائق منذ طلاقك. وأخيراً، حظيتِ بالاعتراف الذي تستحقّينه!

نهاري أنا رائع. هناك آلة تمزّق كلّ دوالي توت العليق في تلّة برناديت، وقد رفعتْ معنويّاتي لدرجة أنّني أضحك من الحادثة التي وقعت في غايلر ستريت، والتي من المفروض أن تثير غضبي.

أمسكتني غوين غودير صباح اليوم، وطلبت منّي أن نتحدّث على انفراد في مكتبها، ومن كان جالساً هناك على كرسيّ جلديّ ضخم وظهره لي؟ كايل! أغلقت غوين الباب، وجلستْ خلف طاولتها، وجلستُ أنا على الكرسيّ الموجود إلى جانب كايل.

فتحت غوين درجها. «وجدنا هذه في خزانة كايل البارحة»، وأرتني قارورة دواء برتقاليّة مكتوب عليها اسمي... إنّه الڤايكودين الذي وصفوه لي عندما حاولت سيّدة ستريت غايت أن تدهسني بسيّارتها.

«ما الذي يفعله هذا الشيء هنا؟»، قلتُ.

«كايل؟»، قالت غوين.

«لا أعرف»، أجاب كايل.

«سياسة غايلر ستريت صارمة لا تتساهل أبداً مع المخدّرات»، قالت غوين.

«لكنّه دواء صُرف بوصفة طبيّة»، قلتُ دون أن أفهم مقصدها.

«كايل» قالت، «لماذا كانت هذه القارورة في خزانتك؟».

لم يعجبني بتاتاً الاتّجاه الذي تسير فيه هذه المحادثة! قلتُ لها: «لقد ذهبتُ إلى قسم الإسعاف، والفضل يرجع إلى برناديت فوكس. غادرتُه على عكّازين، إن كنتِ تتذكّرين، وطلبتُ من كايل أن يحمل حقيبتي، والدواءَ الذي وصفوه لي. يا إلهي!».

«متى أدركتِ أنّ الڤايكودين مفقود؟»، سألتْ.

«الآن فقط»، قلت.

«ولمَ القارورة فارغة؟ دعي كايل يجيب عن هذا السؤال، أودري» والتفتتْ صوب كايل. «كايل، لم القارورة فارغة؟».

«لا أعرف»،أجاب كايل.

«أنا متأكّدة أنّها كانت فارغة عندما استلمناها» قلتُ، «تعرفين كم يعانون من نقص الكوادر في مستشفى يو. دبل يو. ميديكال. لقد نسوا أن يملؤوها على الأغلب. هل انتهينا؟ ربّما لم تسمعي بالخبر، لكنّني سأستضيف غداً حفلة لستّين شخصاً من الأهالي المرتَقَبين»، ثمّ نهضتُ وغادرتُ.

والآن، وأنا أكتب لكِ، أريد أن أعرف ماذا الذي كانت غوين غودير تفعله في خزانة كايل. ألا توجد أقفال للخزائن؟ ألا يسمّونها خزانة مقفلة لهذا السبب؟

***

كلّ الخزائن لها أقفال توافقيّة مثبّتة بالباب. محاولة فتحها مضيعة للوقت، إذ يتوجّب عليكم أن تديروا الأرقام الصغيرة إلى الأمام وإلى الخلف مليون مرّة في كلّ مرّة تحتاجون فيها شيئاً ما. الجميع يكرهونها، لكنّ كايل وعصابته ابتكروا طريقة للتغلّب عليها، وهي تهشيم القفل إلى أن يتحطّم. باب خزانة كايل موارب دوماً...

هذا ما كانت السيّدة غودير تفعله في الخزانة.

***

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

إنّها المرّة الأولى التي آتي بها إلى مركز المدينة منذ سنة، وتذكّرتُ لماذا على الفور: عدّادات مواقف السيّارات المأجورة.

ركْنُ السيّارة في سياتل هو عمليّة تتألف من ثماني خطوات: الخطوة الأولى، اعثري على بقعة فارغة تركنين فيها سيّارتكِ (حظاً سعيداً!)، الخطوة الثانية: ارجعي بالسيّارة للخلف ضمن منطقة الركْن المائلة (يجب أن يُحكَم بالسجن على من اخترعها)، الخطوة الثالثة: اعثري على عدّاد لا يطوّقه موزاييك قذرٌ مرعبٌ من الشحّاذين / المشرّدين / المدمنين / الفارّين، وهذا يتطلّب الخطوة الرابعة: عبور الشارع... أوه، إضافة إلى أنّكِ نسيتِ مظلّتك (وهذا يقودنا إلى شَعركِ، الذي توقّفت عن القلق بشأنه منذ نهاية القرن الماضي، وبالتالي نسيان المظلّة غير مهمّ). الخطوة الخامسة: مرّري بطاقة ائتمانك على الآلة (ستكون معجزة صغيرة إن وجدتِ واحدة لم يملأها شخص ساخط مجنون بالصمغ). الخطوة السادسة: عودي إلى سيّارتك (ستعبرين مجدّداً بالصفّ النتن سابق الذكر من الأشخاص، والذين سيزعجونكِ لأنّك لم تعطيهم مالاً في طريقك. أوه، وهل ذكرتُ لكِ أنّهم جميعاً يمتلكون كلاباً مرتجفة؟). الخطوة السابعة: ثبّتي التذكرة على النافذة الصحيحة (هل هي نافذة الراكب الأمامي عندما تركنين سيّارتكِ بالطريقة التي ذكرتُها، أم نافذة السائق؟ كنتُ سأقرأ التعليمات على الوجه الخلفيّ للتذكرة، لكنّني لا أستطيع. تبّاً! من يجلب معه النظّارة التي يستعملها للقراءة عندما يركن سيّارته؟!) الخطوة الثامنة: صلّي لربٍّ لا تؤمنين به أن يهبكِ القدرة العقليّة على تذكّر لماذا جئتِ بنفسك إلى مركز المدينة في المقام الأوّل.

أتمنّى لو يطلق متمرّد شيشانيّ الرصاصَ عليّ الآن!

صيدليّة تركيب الأدوية هي عبارة عن كهف مُلبَّس بالخشب فيه رفوف عليها القليل من الأدوية، وتوجد في منتصفها كنبة منجّدة بالبروكار، تتأرجح فوقها ثريّا من طراز شيهولي. المكان غير منطقيّ على الإطلاق، وأنا شبه محطّمة أصلاً!

اقتربتُ من الكاونتر. هناك فتاة تضع غطاء رأس أبيض يشبه ذاك الذي تضعه الراهبات، لكن دون أجنحة. لا أملك فكرة عن الإثنيّة التي يشير إليها هذا الزيّ، إنّما هناك الآلاف من أمثال تلك الفتاة هنا، ويعملون بشكل خاصّ في أماكن تأجير السيّارات. يوماً ما سأستعلم عن ذلك.

«برناديت فوكس» قلتُ.

التقت عيناها بعينيّ، ثمّ بَرَقَتا بشقاوة. «لحظة واحدة» قالت. صعدت إلى منصّة وهمست بشيء ما إلى صيدلانيّ آخر، فأطرق برأسه وتفحّصني بحدّة من فوق إطار نظّارته، قبل أن ينزل هو والفتاة عن المنصّة. أيّاً كان ما سيحصل، فقد سبق لهما أن قرّرا أنّه يحتاج إلى شخصين لتنفيذه.

«تلقّيتُ وصفة من طبيبك» قال الرجل، «للدوار البحر، من أجل رحلة ستقومين بها؟».

«سنذهب إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة في الكريسماس» قلتُ، «وهذا يتطلّب اجتياز معبر درايك. ستصدمك الإحصائيّاتُ عن سرعةِ الدوّامات البحريّة وارتفاعِ الأمواج لو أخبرتك بها لكنّني لا أستطيع، لأنّني فاشلة كلّياً فيما يتعلّق بحفظ الأرقام، فضلاً عن أنّني أحاول جاهدة إبعادها عن عقلي. أنا ألوم ابنتي، إنّها السبب الوحيد لذهابي».

«الوصفة من أجل ABHR» قال، «ABHR يتركّب بشكل أساسيّ من هالْدول ممزوج بالقليل من البنادْريل، الرغلان، والأتيفان».

«يبدو جيّداً بالنسبة لي»

«الهالدول هو مضادّ للذُهان»، وضع نظّارته في جيب قميصه ثمّ تابع: «استعمله السوڤيات في السجون لتحطيم إرادة السجناء»

«وأنا أكتشف ذلك الآن فقط؟!»

هذا الرجل لا يتأثر بسحري أبداً، أو أنّني لا أتحلّى بالسحر، وهو الواقع غالباً.

تابع كلامه: «كما أنّه يسبّب تأثيرات جانبيّة خطيرة أسوأها عسر الحركيّة المتأخّر. عسر الحركيّة المتأخّر يتميّز بحدوث حركات لا يمكنك التحكّم بها، مثل التكشير، مدّ اللسان، التمطّق بالشفتين...»

«لا بدّ أنّك رأيتِ أولئك الأشخاص» أضافت الراهبة الطائرة بأسى، ورفعت يداً تتلوّى إلى وجهها وميّلت رأسها، من ثمّ أغمضت عيناً واحدة.

«من الواضح أنّكما لا تصابان بدوار البحر» قلتُ، «لأنّ ساعتين ممّا تصفانه هما بمنزلة يوم من المرح على الشاطئ مقارنة مع دوار البحر».

«عسر الحركيّة المتأخّر قد يدوم للأبد» قال.

«للأبد؟» قلتُ بضعف.

«احتمال حصوله هو 4% تقريباً» قال، «يرتفع إلى 10% عند النساء الأكبر سنّاً».

زفرتُ بعنف، «أوه، يا رجل!».

«لقد تحدّثتُ مع طبيبكِ وكتب لكِ وصفة أخرى: لصاقة سكوبولامين لدوار الحركة، وزاناكس للقلق».

لديّ زاناكس! خلال معركة بي مع الأطبّاء، كنتُ أعود إلى المنزل دائماً مع زاناكس، أو بعض الأقراص المنوّمة (هل ذكرتُ لكِ أنّني لا أنام؟). لم أتناولها مطلقاً بعد أن أخذتها مرّة واحدة، فسبّبت لي الغثيان وجعلتني أشعر أنّني لستُ أنا (أعرف، هذه النقطة يجب أن تكون ميزة تسويقيّة، ماذا بوسعي أن أقول؟ لقد اعتدتُ على الوضع)، لكنّ المشكلة بالزاناكس ومئات الأقراص الأخرى التي أخفيتُها هي التالي: إنّها مخلوطة حالياً في كيس له سحّاب. لماذا؟ حسناً، فكّرتُ ذات مرّة أن آخذ جرعة زائدة، لذلك أفرغتُ محتويات كلّ القوارير التي وصفوها لي في راحة يدي -لكثرتها، لم تتسع لها يداي- فقط كي أحدّق بها، وأرى بنفسي إن كنتُ أستطيع ابتلاعها كلّها أم لا. صرفتُ النظر عن الفكرة برمّتها بعد ذلك، ورميتُ الأقراص في الكيس الذي تقبع فيه حتّى اليوم. لعلّك تتساءلين لماذا أردتُ أن آخذ جرعة زائدة؟ حسناً، أنا أتساءل بدوري، لم أعد أتذكّر.

«هل تملك صورة توضيحيّة ما لشكل الأقراص؟» سألتُ الصيدلانيّ. ربّما أستطيع تمييز أقراص الزاناكس عن غيرها! وإعادتها إلى قواريرها. بدا المسكين مشدوهاً، ومن يلومه؟

«لا بأس» قلتُ، «أعطني الزاناكس وتلك اللصاقة».

جررتُ نفسي إلى الكنبة التي كانت غير مريحة على نحو فظيع! رفعتُ ساقيّ وأسندتُ ظهري، هكذا مريح أكثر. إنّها كنبة للذين يغمى عليهم! أدركتُ ذلك الآن، وأردتُ أن أستلقي عليها. فوق رأسي تتأرجح ثريّا شيهولي. شيهولي هو نوع الحمام الذي يستوطن سياتل، الحمام في كلّ مكان هنا، ولا تستطيعين إلّا أن تتبنّي نوعاً من العداء تجاهه، حتّى ولو لم يعترض طريقك.

هذه الثريّا مصنوعة بالكامل من الزجاج بالطبع، بيضاء ومليئة بالكشاكش والزوائد التي تشبه القطيرات، وتتوهّج من داخلها بضوء أزرق بارد دون وجود منبع ضوئيّ صريح. المطر ينهمر في الخارج، إيقاعه يجعل هذا الوحش الزجاجيّ الذي يتأرجح فوقي سحريّاً كأنّه وصل مع العاصفة، كأنه هو بذاته صانع المطر، وبدأ يغنّي لي: شيهولي شيهولي. في السبعينيّات، كان دايل شيهولي قد اكتسب شهرة كنافخ زجاج، عندما تعرّض لحادث سيّارة وفقد إحدى عينيه، لكنّ هذا لم يوقفه. بعد عدّة سنوات، تعرّض إلى حادث أثناء ركوب الأمواج وأصيب كتفه إصابة بالغة، لم يعد قادراً أبداً على إمساك أنبوب نفخ الزجاج، ولم يوقفه هذا أيضاً. ألا تصدقينني؟ اركبي زورقاً إلى بحيرة يونيون، وألقي نظرة من نافذة استوديو دايل شيهولي. إنّه على الأغلب هناك في هذه اللحظة، بالرقعة التي تغطّي عينه وبذراعه الميتة، يعمل على أفضل أعماله الهذيانيّة على الإطلاق.

كان عليّ أن أغمض عينيّ.

«برناديت؟» قال صوت.

فتحتُ عينيّ. لقد غفوتُ، وهذه هي المشكلة بعدم النوم، أنّك تنامين حقّاً أحياناً لكن في أسوأ الأوقات، كما فعلتُ الآن بالنوم في مكان عامّ.

«برناديت» كان هذا إيلجي، «لماذا تنامين هنا؟!».

«إيلجي...» مسحتُ اللعاب الذي سال على وجنتي، «لم يعطوني هالدول وكان عليّ انتظار الزاناكس».

«ماذا؟!» واسترق نظرة عبر النافذة. بالكاد ميّزتُ بعض الأشخاص من مايكروسوفت يقفون في الشارع. «وما هذا الذي تلبسينه؟!»

كان يشير إلى سترة الصيد. «أوه هذه! طلبتُها عبر الإنترنت».

«هل يمكنكِ الوقوف من فضلك؟» قال، «لديّ غداء عمل. هل عليّ أن ألغيه؟».

«يا إلهي لا!» قلتُ، «أنا بخير، لم أنم الليلة الماضية ولذلك غفوتُ. اذهب، اعمل، عِش حياتك».

«سآتي إلى المنزل عند العشاء. ما رأيك أن نتعشى في مطعم اليوم؟»

«ألستَ مسافراً إلى واشنطن العاصمة؟»

«يمكن أن أؤجل السفر» قال.

«أجل بالطبع» أجبت، «سننتقي مكاناً أنا وباز».

«أنا وأنتِ فقط»، وغادر.

وعندها بدأ الموقف يتّضح لي: أقسم أنّ واحدة من بعوضات غايلر ستريت كانت بين من ينتظرونه في الخارج. ليس تلك التي تزعجنا بموضوع توت العليق، وإنّما واحدة من أتباعها. فتحتُ عينيّ وأغلقتهما كي أتأكّد، لكنّ إيلجي وجماعته اختفوا في زحام ساعة الغداء.

قلبي يخفق بعنف. يجدر بي البقاء وابتلاع واحد من أقراص الزاناكس، لكنّني لم أتحمّل البقاء في الصيدليّة أكثر محاصَرةً بنذير الشؤم الزجاجيّ الجليديّ ذاك. الذنب ذنبكَ، دايل شيهولي!

هربتُ. لا أعرف أيّ طريق اخترتُ، ولا إلى أين اتّجهتُ، لكن لا بدّ أنّني عبرتُ الجادّة الرابعة، لأنّني وجدتُ نفسي واقفة أمام مكتبة رِمْ كولاس العموميّة.

كنتُ واقفة على ما يبدو، لأنّ هناك شاباً يقترب منّي، لا بدّ أنّه طالب في صفّ التخرّج، لطيف للغاية، ولا يلوح عليه إطلاقاً أنّه خَطِر أو شرّير.

لكنّه عرفني!

مانجولا، لا أعرف كيف! الصورة الفوتوغرافيّة الوحيدة لي في الإنترنت هي صورة التُقِطَتْ قبل عشرين عاماً، مباشرة قبل تلك المحنة الكبرى البشعة. كنتُ جميلة، والثقة تشعّ من وجهي، وابتسامتي عريضة تعبّرعن مستقبل من اختياري.

«برناديت فوكس» هتفتُ.

أنا في الخمسين من عمري، وبدأتُ أفقد عقلي!

لن يبدو هذا منطقياً بالنسبة لكِ مانجولا، ليس من الضروريّ أن يكون كذلك. لكن هل رأيتِ ماذا يحدث عندما أحتكّ بالناس؟ هذا لا يبشّر بالخير بالنسبة لموضوع القارّة القطبيّة الجنوبيّة برمّته.

***

لاحقاً ذلك اليوم، جاءت ماما لتأخذني من المدرسة. كانت صامتة نوعاً ما، لكنّ هذا يحصل أحياناً لأنّها تستمع في طريقها إلى المدرسة لبرنامج «العالَم» الذي تعدّه بي. آر. آي، وهو برنامج يبعث على الكآبة عادةً. حلقة اليوم لم تكن استثناءً: تقرير عن الحرب في جمهوريّة الكونغو الديمقراطيّة، وكيف يُستَخدَم الاغتصابُ كسلاح. كلّ الإناث هناك يتعرضنّ للاغتصاب، بدءاً من الرضيعات بعمر ستّة أشهر، وصولاً إلى الجدّات الثمانينيّات، وكلّ الفئات العمريّة ما بينهما. أكثر من ألف طفلة وامرأة تُغتَصَب شهريّاً، وهذا الأمر مستمرّ منذ اثني عشر عاماً، ولا أحد يتحرّك لوقفه. هيلاري كلينتون زارت الكونغو ووعدت بالمساعدة، لكن كلّ ما فعلته كان تقديم الأموال إلى الحكومة الفاسدة.

«لا يمكنني أن أستمع إلى هذا!» وأطفأتُ الراديو بحدّة.

«أعرف أنّه مرعب» قالت ماما، «لكنّك كبيرة بما يكفي الآن. نحن نعيش حياة الرفاهية في سياتل، وهذا لا يمنحنا الحقّ بعدم الاستماع إلى نساءٍ ذنبهنّ الوحيد هو أنّهنّ وُلِدن في الكونغو خلال الحرب الأهليّة. يجب أن نكون شهوداً»، من ثمّ شغّلتِ الراديو مجدّداً.

انزلقتُ في مقعدي غاضبة.

«الحرب في الكونغو مستعرّة،ولا تلوح بوادر انتهائها في الأفق» أعلن المذيع، «تنتشر أخبار عن حملة جديدة يشنّها الجنود للبحث عن النساء اللواتي اغتُصِبن للتوّ، كي يتمّ اغتصابهنّ مرّة أخرى».

«يا يسوع المسيح المعلّق على الصليب!» هتفت ماما، «ينتهي الموضوع بالنسبة لي عند تكرار الاغتصاب» وأطفأت إذاعة إن. بي. آر.

تابعنا الطريق بصمت، لكن عند الساعة الرابعة وعشر دقائق كان لا بدّ أن

نشغّل الراديو مجدّداً، لأنّنا نستمع كلّ يوم جمعة في ذلك التوقيت بالضبط إلى شخصيّتنا المفضّلة في العالم: كليف ماس. إن كنتم لا تعرفون من هو كليف ماس، حسناً، إنّه ذاك الذي نحبّه أنا وماما، مجنونُ الطقس الرائع الذي يحبّ الطقسَ حبّاً جمّاً، لدرجة أنّك لا تملك الخيار إلّا أن تحبّه –أقصد كليف ماس– بالمقابل.

مرّة –أعتقد أنّني كنتُ في العاشرة– بقيتُ في المنزل مع جليسة الأطفال، بينما ذهب بابا وماما إلى دار البلديّة لحضور محاضرة ما. في الصباح التالي أرتني ماما صورة على كاميرتها الرقميّة، «أنا واحزري مَن؟!» لم تكن لديّ فكرة. «ستغارين منّي بشدّة عندما تكتشفين!» قالت، فرسمتُ تعبيراً لئيماً على وجهي يسمّيه بابا وماما «وجه كوبريك[1]»، لأنّه التعبير الذي كان يلوح على وجهي وأنا صغيرة عندما أغضب.

أخيراً صرخت ماما: «كليف ماس!!»

أوه يا إلهي! ليوقفني أحدكم أرجوكم قبل أن أكتب أكثر عن كليف ماس!

ها هي وجهة نظري: بالطبع لم نتحدّث كثيراً في طريق العودة إلى المنزل يومها، أوّلاً بسبب موضوع الاغتصاب المتكرّر، وثانياً لأنّني أنا وماما نعشق كليف ماس، وبالتالي ما كان ممكناً أن أعرف أنّها في حالة صدمة.

توقّفنا في ممرّ السيّارات. هناك العديد من الشاحنات الضخمة في الشارع الفرعيّ، واحدة منها مركونة أمام بوّابتنا كي تبقيها مفتوحة، وهناك عمّال يدخلون ويخرجون. من الصعب معرفة ماذا يجري فعلاً من خلال زجاج السيّارة الذي يغطّيه المطر.

«لا تسأليني» قالت ماما، «طلبت أودري غريفن أن نتخلّص من توت العليق».

عندما كنتُ صغيرة، اصطحبتني ماما لرؤية «الجميلة النائمة» في باسيفِك نورثويست باليه. تلقي ساحرة شرّيرة لعنةً على الأميرة تجعلها تنام مئة عام، لكنّ جنّيّة لطيفة تحمي الأميرة النائمة بإحاطتها بغابة ورد برّيّ. خلال عرض

1- Stanley Kubrick 1928–1999 مخرج أمريكيّ من أفلامه المشهورة د. سترانجلوف، ولوليتا. م

الباليه، تنام الأميرة بينما تنمو الأغصان الشوكيّة حولها أكثف فأكثف... هذا هو شعوري في غرفتي. أعرف أنّ دوالي توت العليق في حديقتنا تسبّب التواءَ أرضيّة المكتبة، وظهورَ كتلٍ غريبة في السجّادة، كما أنّها تحطّم نوافذ القبو، لكنّني أبتسم كلّ ليلة لأنّ هناك غابة تحميني عندما أنام.

«ليس كلّها!» صرختُ، «كيف أمكنكِ فعلُ ذلك؟!».

«لا تكوني بغيضة» قالت ماما، «أنا من ستأخذكِ إلى القطب الجنوبيّ».

«ماما!» قلتُ، «لن نذهب إلى القطب الجنوبيّ!».

«لحظة، لن نذهب؟!»

«المكان الوحيد الذي يزوره السيّاح هو شبه الجزيرة القطبيّة الجنوبيّة، وهي أشبه بسلسلة جزر كيز في فلوريدا بالنسبة للقارّة القطبيّة الجنوبيّة». صُدِمتُ!صدقاً لا يبدو أنّ ماما تعرف هذه المعلومة. «مع ذلك، درجة الحرارة هناك صفر» أضفتُ، «وهي جزء صغير صغير من القارّة القطبيّة الجنوبيّة. كلامك أشبه بأن تسألي شخصاً يقول إنّه سيذهب إلى كولورادو في الكريسماس عن نيويورك عندما يعود. بالطبع، كلاهما في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، لكنّه جهل مطبق لا غير! من فضلكِ قولي إنّك كنتِ تعرفين ماما، لكنّكِ نسيتِ لأنّك متعبَة».

«متعَبَة وجاهلة» أجابت ماما.

***

من: سو -لِن لي- سِغال

إلى: أودري غريفن

قبل أن تحذفيني لأنّني الفتاة التي تصرخ «خبر عاجل يحدث الآن!» اسمعي هذا!

كما أخبرتكِ، كان لدينا غداء عمل في مركز المدينة أنا وإيلجن وبابلو. أصرّ إيلجن أن نذهب بالباص 888، والذي لا يختلف كثيراً عن الباص الذي أستقلّه صباحاً كما اكتشفتُ، بينما كنتُ أتخيّل طوال تلك السنوات أنّ أبوابه تُفتح على قمقم الجنيّ في الداخل (أو ما شابه!).

الازدحام خانق في مركز المدينة، وتوقّفت حركة المركبات تماماً عندما وصلنا إلى تقاطع الجادّة الخامسة مع سِنِكا. قال إيلجن إنّ المشي أسرع، وعلى الرغم من أنّ المطر ينهمر بغزارة لكنّني لستُ في موقع يخوّلني الجدال معه، لذلك تبعتُهما ونزلتُ من الباص.

الآن يا أودري، أنتِ تتحدّثين دائماً عن خطط الربّ، وللمرّة الأولى فهمتُ ما تقصدين. اعتقدتُ أنّ الربّ نبذني عندما تركني أمشي مسافة ثلاثة أحياء تحت المطر الغزير، لكن اتّضح لي أنّ هناك مشهداً في الحيّ الثالث يريدني الربّ أن أراه.

كنّا أنا وبابلو وإيلجن نهرول في الجادّة الرابعة مطرقين برؤوسنا، ونحن نشدّ قبعاتنا على وجوهنا. رفعتُ رأسي بالصدفة، ومن رأيتُ؟ برناديت فوكس نائمة في صيدليّة! أكرّر: برناديت فوكس مغمضة العينين تستلقي على كنبة داخل صيدليّة تركّب أدوية. كان ممكناً أيضاً أن تنام في واجهة نوردستروم كي تراها كلّ سياتل! كانت تضع نظّارات قاتمة، وترتدي بنطالاً وحذاءً مسطّح الكعب، وقميصاً رجّالياً بأزرار فضيّة على كمّيه، وسترةً ما تحت معطفها المطريّ، وتمسك حقيبة فاخرة ربطتْ بها واحداً من أوشحتها الحريريّة.

بابلو وإيلجن سبقاني إلى الزاوية، وأخذا يدوران في دوائر وهما يتساءلان أين ذهبتُ. لمحني إيلجن فمشى نحوي، والانزعاج بادٍ عليه.

«أنا... أنا...» غمغمتُ، «أنا آسفة...». هذا هو يومي الأوّل في العمل، ولا أريد أن أكون جزءاً من المشكلة بينه وبين برناديت مهما كانت. ركضتُ كي ألحق بهما، لكن فات الأوان! نظر إيلجن من النافذة، فشحب وجهه تماماً ثمّ فتح الباب ودخل. أثناء ذلك، وصل بابلو. «زوجة إيلجن نائمة في الداخل» شرحتُ له. «إنّها تمطر بغزارة بالفعل!» قال بابلو، وابتسم رافضاً أن يدير رأسه صوب الصيدليّة.

«لقد قرّرتُ ماذا سأطلب للغداء» قلتُ، «كالاماري بالملح والفلفل. هذا الطبق ليس مذكوراً في القائمة، لكنّهم سيحضّرونه لك لو طلبْتَه». «يبدو جيّداً» قال، «سأتفحّص القائمة قبل أن أقرّر». أخيراً، خرج إيلجي مضطرباً.

«غيّري موعد الطائرة إلى واشنطن دي سي» قال، «سأغادر صباحاً».

لم يكن من صلاحيّاتي تعديل جدول عمل إيلجن، لكنّني أعرف أنّ عرضه في واشنطن دي سي يبدأ في الرابعة بعد الظهر، فتحتُ فمي لأشرح له أنّه مع فارق التوقيت...

«غيّريه» قال.

«حسناً» قلتُ.

من ثمّ، من حيث لا أدري، مرّ أحد باصات الشركة. اندفع إيلجن بين السيّارات وأوقفه، تناقش مع السائق ثمّ أشار إليّ بالقدوم. «سيعيدك إلى ريدموند» قال، «أرسلي لي مسار الرحلة الجديد عبر تطبيق S – Plus».

ماذا كان بوسعي أن أفعل؟! ركبتُ الباص. فيما بعد، أحضر لي بابلو وجبة كالاماري بالملح والفلفل، لكنّ الأمر لم يسر على ما يرام.

***

من: أودري غريفن

إلى: سو –لِن لي– سِغال

سأكتب بسرعة لأنّني مشغولة حتّى أذنيّ بتحضيرات الحفلة. «الخبر العاجل» الحقيقيّ هو أنّك بدأتِ تدركين أن الربّ هو من يسوق الباص (حرفيّاً في حالتكِ. توت، توت!). أحبّ أن نتحدّث حول هذا الموضوع في وقت ما، قهوة ربّما؟ يمكنني أن آتي إلى مايكروسوفت.

***

إيميل من الشابّ الذي كان واقفاً عند المكتبة، إلى بروفيسور هندسة العمارة في جامعة ساوث كاليفورنيا.

من: جايكوب رايموند

إلى: بول جيلينِك

عزيزي السيّد جيلينك،

هل تتذكّر عندما أخبرتك أنّني سأحجّ إلى سياتل كي أرى مكتبتها

العموميّة، ومزحتُ قائلاً إنّني سأبلغك لو لمحتُ برناديت فوكس؟ حسناً، احزر من رأيتُ أمام المكتبة العموميّة؟

برناديت فوكس! إنّها في الخمسين تقريباً، وشعرها بنيّ مشعّث. السبب الوحيد الذي شدّ انتباهي إليها هو أنّها تلبس سترة صيد، ممّا يلفت النظر دون شكّ.

هناك صورة واحدة لبرناديت فوكس التُقِطَتْ قبل عشرين عاماً عندما ربحتِ الجائزة، ونحن نسمع كلّ تلك التكهّناتِ عنها، وكيف أنّها انتقلت إلى سياتل واعتزلت العالَم، أو أنّها جُنَّت. كان حدسي قويّاً بأنّها هي، وقبل أن أقول أيّ شيء بادرتْني هي فجأة: «برناديت فوكس».

بدأتُ أثرثر بحماس. أخبرتها أنّني طالب في سنة التخرّج في جامعة ساوث كاليفورنيا، وأنّني أزور بيَر بايْفوكال في كلّ مرّة يُفتَح فيها للجمهور، وأنّ مشروعنا الشتويّ هو مسابقة لإعادة تشييد منزلِ العشرين ميلاً.

أدركتُ فجأة أنّني قلتُ الكثير. نظرتها كانت خاوية... تلك المرأة تشكو من خطب ما خطير! أردتُ أن ألتقط صورة مع برناديت فوكس المراوغة (أضعها كصورة لبروفايلي مثلاً!) من ثمّ خطر لي أنّه من الأفضل ألّا أفعل. لقد وهبتْني الكثير للتوّ، وهذه العلاقة أحاديّة الاتّجاه لكنّني مصرٌّ أن آخذ منها المزيد! انحنيتُ لها ويداي مضمومتان بوضعيّة الصلاة، ثمّ دخلتُ المكتبة وتركتُها واقفة خارجاً في المطر.

أشعر بالذنب فلربّما سبّبتُ لها الاضطراب! بأيّ حال، إن كنتَ تتساءل، برناديت فوكس تتجوّل في سياتل مرتدية سترة صيد سمك في منتصف الشتاء.

أراكَ في الصفّ،

جايكوب.

***

خرج بابا وماما لتناول العشاء في تلك الليلة من دوني، في مطعم مكسيكيّ في بالارد. لا بأس، يوم الجمعة هو اليوم الذي يذهب فيه عدد منّا إلى «مجموعة الشباب»، حيث يقدّمون لنا القريدس المقليّ، ويعرضون لنا فيلماً، فيلم اليوم كان UP.

غادر بابا في الخامسة صباحاً كي يلحق بالطائرة، لأنّ لديه عملاً يتعلّق بسامانثا 2 في والتر ريد[1]. كلير أندرسن ستقيم حفلة في جزيرة باينبريدج، وأردتُ أن أذهب إلى منزلنا الثاني هناك، كما أنّني أردتُ أن تقضي كينيدي الليلة عندنا. بابا لا يطيق كينيدي، ومن المستحيل أن تنام في بيتنا إن كان بابا موجوداً، لذا كنتُ سعيدة بذهابه.

وضعنا خطّة أنا وماما، سنذهب بعبّارة الساعة 10:10 إلى باينبريدج، من ثمّ تستقلّ كينيدي عبّارة نقل المسافرين، وتلحقنا بعد انتهاء تمارين الجمباز التي حاولت أن تتملّص منها، لكنّ والدتها لم تسمح لها.

***

السبت، 11 كانون الأوّل
منشور من مدوّنة كليف ماس

العاصفة تتحوّل إلى حدث جوّي معقّد، وأحتاج بعض الوقت كي أشرحها، لأنّ وسائل الإعلام لم تستوعب أبعادها تماماً. حزام الغيوم الذي يتقدّم المنظومة الجويّة المقتربة منّا ضرب غرب واشنطن البارحة بعد الظهر. أحدث نماذج الكمبيوتر عالية التباين تُظهِر رياحاً مستمرّة، تتراوح سرعتها ما بين 40–50 ميلاً / الثانية مع هبّات نشطة تصل إلى 70–80 ميلاً / ثانية، ومنطقة من الضغط الجويّ المنخفض ستمرّ إلى شمالنا، عوضاً عن اتّباع المسار الجنوبيّ الذي تنبّأتْ به النماذج سابقاً.

البارحة في الراديو عبّرتُ عن شكّي العميق بمسار مركز الضغط الجويّ المنخفض، كما أكدّت صورُ الأقمار الصناعيّة الأخيرة أنّ مركز الضغط

1- أنا لا أنتهك مُلكيّة معلومات مايكروسوفت عندما أقول ذلك. مايكروسوفت تقوم على الأفكار، ولا يمكنك أن تفشي هذه الأفكار حتّى لعائلتك، لأنّ أحد أفرادها قد يثرثر حولها أمام كينيدي التي تفشيها بدورها لوالدها، الذي يعمل في أمازون حاليّاً لكنّه كان موظّفاً في مايكروسوفت، ويعرف أشخاصاً هناك يخبرهم بالموضوع، ويدري بابا بذلك وهكذا تتعلّم درسك. عادة، أنا لا أقول إلى أين يذهب بابا في عمله، لكنّني بحثتُ في الإنترنت، ورأيتُ ڤيديو عن العرض الذي قدّمه في مستشفى والتر ريد ذلك المساء، أي أنّ المعلومة مشاع 100%. بي

الجويّ المنخفض سيمرّ إلى الجنوب من جزيرة ڤانكوڤر، ويتحرّك إلى بريتش كولومبيا. هذا التموضع سيسمح للهواء الدافئ الرطب بالتحرّك مباشرة إلى غرب واشنطن، مع احتمال هطول أمطار غزيرة.

يوم أمس، رفضت وسائل الإعلام تحذيري الخطير عن طقس سياتل، وعدّته نوعاً من تحذير «الدجاجة الحمراء[1]» الزائف. هذا ليس تحذيراً زائفاً! مسار العاصفة غير المتوقّع سمح بانتقال منظومة الضغط الجويّ المنخفض إلى شمال مضيق بوجِت، ودرجات الحرارة سوف ترتفع. في سياتل، ارتفاعُ درجات الحرارة المترافق مع هواء «قطار الأناناس السريع[2]» الرطب تسبّب بهطول إنشين من المطر ما بين السابعة مساء والسابعة صباحاً. سأخاطر الآن وأقول: إنّ هذا الهطول سيستمرّ دون تغيير فوق مضيق بوجت، كما سيستمرّ الطوفان لساعات.

نحن وسط عرض جويّ مميّز للغاية.

***

أترَون؟ هذا ما أحبّه في كليف ماس: بشكل أساسيّ، كلّ ما يقوله هو إنّها ستمطر.

***

من: أوللي – أو
إلى: لجنة فطور الأهالي المرتقَبين
خبر عاجلٌ يحدث الآن!

اليوم هو يوم فطور الأهالي المرتقَبين. لسوء الحظّ، غنيمتنا الكبرى، الشمس، لن تحضر. ها ها! هذه مزحة.

من الضروريّ أن نلتزم بالخطّة بدقّة. سيكون حكماً بالموت على غايلر

1- الدجاجة الحمراء الصغيرة التي أرادت تحذير العالَم من أنّ السماء تسقط عندما وقعت على رأسها حبّة بلوط. م

2- Pineapple Express مصطلح غير تقنيّ يُطلق على ظاهرة مناخيّة تتميّز بالتدفّق المستمر القويّ للرطوبة والتبخّر الشديد لمياه المحيط حول مجموعة جزر هاواي، والذي يمتدّ من هذه الجزر إلى أيّ مكان على سواحل أمريكا الشماليّة المتاخمة للمحيط الهادئ، أي أنّه يُعد بمنزلة نهر مناخيّ. م

ستريت إنّ أحسّ الأهل المرتقبون أنّنا نضيّع وقتهم، خاصّة خلال موسم التسوّق للأعياد. هدفنا هو أن يشاهدنا الأهلُ المرسيدس، وأن يراهم الآخرون، من ثمّ نطلِقُهم كي يهجموا على يونيڤرسيتي - ڤيلج، ويغتنموا فرصة حسومات 50% المذهلة على كلّ بضائع ذلك المتجر الضخم.

10-10.45: وصول الأهل المرسيدس، تقديم الأطعمة والمشروبات.

10.45: وصول مستر كانغانا والوالدة هيلين ديروود مع أطفال صفّ الروضة، الذين سيدخلون صامتين كفئران الكنيسة من الباب الجانبيّ، ثمّ يجهّزون أنفسهم من أجل عرض الماريمبا[1].

10.55: تلقي غوين غودير خطاباً ترحيبيّاً قصيراً، من ثمّ تأخذ الأهل المرسيدس إلى الغرفة المشمسة، حيث يقود مستر كانغانا الأطفال في عرض الماريمبا.

11.15: ملاحظات ختاميّة.

ستتمركز غوين غودير عند الباب كي تودّع الأهل المرسيدس، وتعطيهم هدية مدرسة غايلر ستريت التذكاريّة، وهذه الهديّة في غاية الأهميّة. كونُهم من الأهل المرسيدس لا يعني أنّهم لايحبّون الخراء المجّانيّ (اعذروني!).

تحيّاتي.

***

من: سو -لِنْ لي- سغال

إلى: أودري غريفن

أتمنّى لكِ التوفيق اليوم! تحدّثتُ مع بيتزا نوڤو للتوّ، وقالوا لي إنّ المطر لا يؤثّر على فرنهم الذي يعمل بالحطب، وسينصبون خيمة في الحديقة. أنا عالقة في ريدموند، لأنّ إيلجن يقدّم عرضاً في مدينة أخرى، ويريدني أن أتواجد في مكتبي كي أتدارك أيّ خلل طارئ. لا تعليق!

***

1- آلة إيقاعيّة تشبه السنتور، مصنوعة من الخشب، يُعزف عليها بمطرقتين خشبيّتين أيضاً. م

من: أوللي – أو

إلى: لجنة فطور الأهالي المرتقَبين

أزمة طارئة! هناك لوحة عملاقة تطلّ على منزل أودري، نُصِبَت خلال ليلة وضحاها من قبل **الجارة المجنونة** (هل هي والدة أحد الطلّاب في غايلر ستريت؟). أودري هستيريائيّة، وزوجها يتصلّ مع المدّعي العامّ. **أنا لا أتعامل مع المفاجآت الطارئة!**

***

من: البروفيسورة هيلين ريدوود

إلى: أهالي أطفال صفّ الروضة في غايلر ستريت

cc: كلّ قائمة غايلر ستريت البريديّة

أعزّائي الأهل،

أفترض أنّ صغاركم أخبروكم نتفاً من الأحداث المهولة التي حصلت اليوم أثناء الفطور، ولاشكّ أنّكم قلقون ومحتارون. باعتباري الوحيدة التي حضرت الفطور ممّن لديهم أطفال في صفّ الروضة، انهالت الاتّصالات عليّ للاستفسار عمّا حدث فعلاً.

كما يعلم العديد منكم، أنا استشاريّة في المركز الطبيّ السويسريّ، ومتخصّصة في اضطراب الكرب النفسيّ ما بعد الصدمة PTSD. لقد ذهبتُ إلى نيوأورليانز بعد أن ضربها الإعصار كاترينا، وما زلتُ أقوم برحلات متكرّرة إلى هاييتي. بموافقة غوديير مديرة المدرسة، أنا أكتب لكم الآن بصفتي أمّاً، وبصفتي استشاريّة PTSD في الوقت نفسه.

من المهمّ أن ندعم نقاشنا بالوقائع. لقد أوصلتم أولادكم إلى مدرسة غايلر ستريت، ومن هناك ركبنا الباص جميعنا، وتولّى مستر كانغانا القيادة إلى أن وصلنا إلى منزل أودري غريفن في كوين آن. المنزل جميلٌ على الرغم من المطر، الزهور الملوّنة تملأ الأحواض، ورائحة الخشب الذي يشتعل تفوح في الجوّ.

استقبلنا رجل يدعى أوللي – أو ودلّنا على المدخل الجانبيّ، حيث طُلِبَ منّا أن نخلع معاطفنا المطريّة وأحذيتنا.

كان الفطور قد بدأ قبل وصولنا، يوجد خمسون ضيفاً تقريباً يبدو عليهم جميعهم أنّهم يستمتعون بوقتهم. لاحظتُ توتّراً محسوساً على كلّ من غوين غودير، أودري غريفن، وأوللي – أو، لكن لا شيء يمكن لتلميذ روضة أن يستشعره.

أخذونا إلى الغرفة المشمسة حيث نصب مستر كانغانا آلات الماريمبا الخاصّة به في اليوم السابق. الأطفال المضطّرون لاستعمال دورة المياه قضوا حاجتهم، ثمّ ركعوا خلف آلاتهم. الأباجورات كانت مغلقة والغرفة معتمة، وبالكاد استطاع الأطفال رؤية المطارق، لذلك اتّجهتُ للأباجورات وأردتُ أن أفتحها إلّا أنّ أوللي – أو ظهر فجأة، وأمسك يدي قائلاً: «هذه ليست طريقة نبدأ بها»، من ثمّ أضاء الأضواء.

احتشد الضيوف في الداخل من أجل العرض. بعد مقدّمة قصيرة من قبل غوين غودير، بدأ الأطفال بغناء «سمكة الشبّوط العملاقة»... كنتم ستفخرون بهم وبأدائهم المبهج أشدّ الفخر، لكن بأيّ حال، بعد دقيقة، اندلع الهرج والمرج في الحديقة حيث يوجد الفرن.

«اللعنة على...!» صاح أحدهم في الخارج.

ضحك بعض الضيوف ضحكة بريئة، لكنّ الأطفال لم يلاحظوا ما يجري لأنّهم مستغرقون في الموسيقا. انتهت الأغنية، كلّ العيون الصغيرة مثبّتة على مستر كانغانا الذي بدأ يعدّ كي يبدؤوا الأغنية التالية: واحد... اثنان... ثلاثة.

«تباً!» صاح شخص آخر.

هذا ليس مقبولاً! اندفعتُ عبر غرفة الغسيل إلى الباب الخلفيّ، وفي نيّتي أن أطلب من عمّال البيتزا الصاخبين خفض أصواتهم. أدرتُ المقبض، وإذ بضغط قويّ ثابت مستمرّ يدفع الباب صوبي. شعرتُ بقوّة الطبيعة الرهيبة في الجهة الأخرى، فحاولتُ أن أغلق الباب على الفور، لكنّ القوّة الجبّارة منعتني. ثبّتُّ أسفل الباب بقدمي، وأنا أسمع طقطقة لا تبشّر بالخير. بدأت مفصلات الباب تنخلع!

قبل أن أتمكّن من التفكير بأيّ شيء، انقطعت موسيقا الماريمبا فجأة، وتعالت الأصوات في الغرفة المشمسة، وصرخ أحد الأطفال خائفاً.

تركتُ الخطر الذي يتهدّدنا عند الباب، وأسرعتُ إلى الغرفة المشمسة لأجد أمامي زجاجاً يتحطّم. صرخ الأطفال وركضوا بعيداً عن آلاتهم، وبسبب عدم وجود أيّ شخص من أهلهم يواسيهم، اندفعوا جماعيّاً صوب حشد الأهالي المرتقبين الذي تدافعوا للهرب من الباب الصغير الوحيد المؤدّي إلى غرفة الجلوس. معجزةٌ أنّ أحداً لم يُسحَق تحت الأقدام!

ابنتي جيني ركضت صوبي واحتضنت ساقيّ. كان ظهرها رطباً يغطّيه الوحل. نظرتُ إلى أعلى، الأباجورات انفتحت على نحو غريب من تلقاء ذاتها...

ومن ثمّ كان الوحل! انهال عبر النوافذ المكسورة... وحْلٌ كثيف، وحل مائع، وحْلٌ وصخور، وحْلٌ مع شظايا الزجاج المهشّم الحادّة، وحْلٌ مع أجزاء من هيكل النوافذ الخشبيّ، وحْلٌ مع عشب، وحْلٌ مع عدّة الشواء، وحْلٌ مع حوض استحمام للطيور مزيّن بالموزاييك. اختفت نوافذ الغرفة المشمسة بلمح البصر، وحلّت مكانها فجوة فاغرة ينهال منها الوحل.

البالغون، الأطفال، جميعهم... كانوا يتسابقون مع الحطام الذي جرف معه الآن الأثاث أيضاً. بقيتُ مع مستر كانغانا الذي يحاول إنقاذ آلات الماريمبا التي جلبها معه وهو صبيّ صغير، عندما هاجر من بلده الحبيب نيجيريا.

من ثمّ، وفجأة كما بدأ، توقّف انهيار الوحل. استدرتُ، هناك لافتة مقلوبة رأساً على عقب أغلقتِ الفجوة في الغرفة المشمسة أفقيّاً وكأنّها سدّ. لا أعرف من أين جاءت تلك اللّافتة، لكنّها كانت حمراء فاقعة، وعريضة بما يكفي لتغطية واجهة من النوافذ تمتدّ على طول الجدار.

أملاك خاصّة

ممنوع الدخول

بعوضات غايلر ستريت

سيعرضنّ أنفسهنّ للاعتقال،

والترحيل إلى سجن البعوضات

بحلول هذه اللحظة، كان الضيوف يفرّون من الباب الأماميّ، وينطلقون مسرعين بسيّاراتهم. الندل والطبّاخون الذين يغطّيهم الوحل يتجوّلون هنا وهناك وهم يقهقهون بعنف، وكأنّ ما حدث هو أطرف شيء رأوه في حياتهم. مستر كانغانا يسبح في الوحل ويلتقط آلات الماريمبا، غوين غودير في البهو تتظاهر بالشجاعة، وهي توزّع هدايا غايلر ستريت التذكاريّة، أوللي – أو نصفُ متخشّب يغمغم عبارات لا معنى لها مثل «هذا ليس قابلاً للتحلّل العضويّ، تداعيات السيل هائلة، الخصائص البصريّة تعوّض عن الانزلاق الوعر، التقدّم للأمام»، قبل أن تعلق جملة «فشل ملحميّ» على لسانه ويبدأ بترديدها دون توقّف.

الجزء الأصعب تصديقاً، هو أنّ أودري غريفن كانت تركض عبر الشارع مبتعدة عن منزلها. ناديتها، لكنّها انعطفت عند الزاوية واختفت.

وهكذا، تركني جميعهم كي أهتمّ وحدي بثلاثين طفلاً مصدوماً من أطفال الروضة! «حسناً» جمعتهم، «ليبحث كلّ منكم عن حذائه ومعطفه». أدرك الآن أنّ ذلك لم يكن قولاً صائباً، لأنّه يلفت نظرهم إلى استحالة تلك المهمّة. فضلاً عن ذلك، الأطفال يرتدون جواربهم فقط، ومنهم من كان دون جوارب، بينما يتناثر الزجاج المهشّم في كلّ مكان.

«لا تتحرّكوا!» رتّبتُ كلّ الوسائد التي عثرتُ عليها بشكل صفّ إلى الباب الأماميّ، ومن ثمّ إلى الرصيف. «امشوا على هذه الوسائد، واصطفّوا بجوار السور». إن كان هناك ما يستوعبه الأطفال في مرحلة الروضة، فهو كيفيّة أن يشكّلوا صفّاً! واحداً تلو الآخر، حملتُ الأطفال عبر الشارع إلى الباص، وقدته عائدة إلى غايلر ستريت.

وهكذا، عرفتم لماذا عاد أطفالكم إليكم دون أحذية أومعاطف، يغطّيهم الوحل، ويروون حكايات خياليّة.

أمّا الآن، دعوني أتحدّث إليكم بصفتي خبيرة في اضطراب الكرب النفسيّ ما بعد الصدمة PTSD.

«الصدمة» تصف عموماً أيّ حدث يتعرّض له المرء ويعدّه تهديداً لحياته، ويستغرق حدوثها وقتاً لا يتجاوز جزءاً من الثانية. قد يُبدي الأطفال مباشرة

بعد الصدمة شعوراً بالخوف، أو الارتباك. لقد أخذتُ وقتي بحمل الأطفال واحداً واحداً إلى الباص، لذلك تسنّت لي فرصة أن أترابط معهم جسديّاً، فقد أظهرت الأبحاث الأهميّةَ الشفائيّة التي تتحلّى بها اللمسة مباشرة بعد الصدمة، وخصوصاً عند الأطفال.

خلال السير باتّجاه الباص، كنتُ قادرة على الاستماع لهم وإبداء فضولي وأن «أكون معهم» ببساطة، وبالتالي تمكّنتُ من فحصهم بحثاً عن مؤشّرات PTSD الباكرة. يسرّني إعلامكم أنّ أطفالكم كانوا يتأقلمون مع ما حدث بشكل جيّد جدّاً، وانصبّ قلقهم الأكبر حول ما إذا كانوا سيستعيدون معاطفهم وأحذيتهم، وكيف ستصل إليهم. أجبتُ عن أسئلتهم بصدق قدر الإمكان، وقلتُ لهم إنّنا سنبذل ما في وسعنا لاستعادة أغراضهم، والتي ستكون متّسخة على الأغلب، لكنّ الماما ستحاول تنظيفها.

الخبر الجيّد هو أنّ ما حدث يمثّل صدمة نفسيّة واحدة، لذلك احتمال تطوّره إلى PTSD ضئيل للغاية. الخبر السيّء هو أن أعراض PTSD قد تظهر بعد أشهر أو سنوات من الحادثة، لذلك أشعر أنّه من واجبي كطبيبة أن أبلغكم ببعض أعراض اضطراب الكرب النفسيّ ما بعد الصدمة التي قد يُبديها طفلكم:

- القلق من الموت.
- تبليل الفراش، الكوابيس، الأرق.
- العودة إلى مصّ الإبهام، الحديث كطفل صغير، ارتداء الحفاضات.
- شكايات جسديّة ليس لها سبب عضويّ.
- الانسحاب من العائلة ومن الأصدقاء.
- رفضُ الذهاب إلى المدرسة.
- سلوكٌ ساديٌّ عنيف.

إن لاحظتم أيّاً ممّا سبق، سواء الآن أو خلال السنوات القادمة، من المهمّ أن تستشيروا اختصاصياً على الفور، وتخبروه بما حدث في منزل أودري غريفن. أنا لا أقول إنّ هذا سيحصل قطعاً، الاحتمالُ ضئيل للغاية.

لقد عرضتُ على غوين غودير تقديم خدماتي الاستشاريّة لصفّي

الروضة كليهما، ونحن ما زلنا نقيّم إن كان من الأفضل لو نعقد اجتماعاً لكلّ المدرسة، أو لطلّاب مرحلة الروضة فقط، أو لقاء مع الأهل، كي نعمل بشكل جماعيّ على تجاوز هذه الصدمة.

بانتظار آرائكم.

المخلصة،

البروفيسورة هيلين ديروود

***

وهكذا، فهمتم تماماً كم كان الطقس بشعاً ذلك الصباح: إنّها المرّة الأولى منذ أحداث 11 / 9 التي تُعلّق فيها خدمات العبّارة.

تناولنا الفطور أنا وماما في ماكرينا، ثمّ انطلقنا إلى سوق بايك بلايس في جولة يوم السبت المعتادة. انتظرتني ماما في السيّارة، بينما ركضتُ إلى بائع السمك لشراء السلمون، وإلى متجر بيتشر لشراء الجبنة، وإلى اللحام لشراء العظام للكلبة.

كنتُ أمرّ بطور «آبي رود» لأنّني أنهيتُ للتوّ قراءة كتاب عن آخر أيّام فرقة البيتلز، وأمضيتُ معظم الفطور وأنا أحكي لماما عنه. مثلاً، الميكس الموجود على الوجه الثاني للأسطوانة كان عبارة عن أغانٍ متفرّقة في الأصل، من ثمّ خطرت لبول فكرة جمعها معاً في الاستوديو، كما أنّه كان يعرف تماماً ماذا يجري عندما كتب «يا رجل، ستتحمّل ذلك العبء»: كان يقصد جون الذي أراد أن تتفكّك الفرقة، أمّا بول فعارض ذلك وكتب «يا رجل، ستتحمّل ذلك العبء» خصّيصاً لجون، كأنّه يقول له: «نحن نقوم بعمل جيّد معاً، إن تفكّكت هذه الفرقة فالذنب ذنبكَ يا جون. هل أنت مستعدّ للتعايش مع ذلك؟».

وتلك المقطوعة في الختام، حين يتبادل البيتلز الدورَ في عزف جزء الغيتار الرئيس ويُسمَع فيها سولوالدرامز الوحيد الذي عزفه رينغو! هل تشعرون أنّها تبدو دائماً كوداع تراجيديّ مقصود للمعجبين، وتتخيّلون البيتلز بملابس الهيبيّين، وهم يعزفون ذلك الجزء الختاميّ من آبي رود وكلّ منهم ينظر إلى الآخر؟ وعندها تتساءلون: «آه يا إلهي، لا بدّ أنّهم كانوا

يكون بكاء مرّاً». حسناً، تلك المعزوفة بأكملها ركّبها بول في الاستوديو بعد انفصال الفرقة، أي أنّها مجرّد حفنة من المشاعر الكاذبة.

بأيّ حال، عندما وصلنا إلى ميناء العبّارة كان صفّ السيّارات المنتظرة طويلاً جدّاً، يمتدّ على طول رصيف التحميل، تحت القناة، وعبر الجادّة الأولى. لم يسبق لنا أن رأينا مثله من قبل! انضمّت ماما إلى الصفّ، ثمّ أطفأت المحرك، وسارت تحت وابل المطر إلى الكشك. عندما عادت قالت إنّ واحداً من مجارير تصريف مياه الأمطار في باينبريدج قد فاض وأغرق ميناء العبّارة في الجزيرة، وإنّ هناك ثلاث عبّارات بحمولتها القصوى من السيّارات تنتظر التفريغ. إنّها فوضى مطلقة، لكن كلّ ما تستطيعون فعله حيال العبّارات هو الانضمام إلى صفّ السيّارات التي تنتظر، والتحلّي بالأمل.

«متى موعد عرض الفلوت ذاك؟» سألت ماما، «أريد أن آتي وأشاهدكِ».

«لا أريدكِ أن تأتي» كنتُ آملُ أنّها نسيت الموضوع.

فغرت فمها مصدومة.

«الكلمات التي ترافق المعزوفة شديدة العذوبة» شرحتُ لها، «قد تقتلكِ بعذوبتها».

«أريد أن أموت من العذوبة! الموت بسبب العذوبة هو أكثر شيء أحبّه»

«لن أخبرك بالموعد»

«أنتِ لئيمة»، قالت.

وضعتُ سي دي آبي رود –الذي سبق ونسخته ذلك الصباح تاركة فواصل ما بين الأغاني– في المسجّلة، وشغّلت مكبّرات الصوت الأماميّة فقط، لأنّ آيس كريم نائمة في المقعد الخلفيّ.

بالطبع، الأغنية الأولى هي come together والتي تبدأ بـ «تشومب» غريبة عظيمة وبالجزء الجهير، من ثمّ يشرع جون بغناء Here come old flattop وما حدث... ماما تعرف الأغنية كلمة كلمة! لا الكلمات فقط، وإنّما كلّ نبرة وكلّ «حسناً» وكلّ «أووو» وَ «ياااا»، وتابعتُ ذلك أغنية تلو أغنية. عندما بدأت Maxwell’s silver hammer علّقتْ «مقرفة! اعتقدتُ

دائماً أنّها أغنية صبيانيّة بحتة»، مع ذلك ماذا فعلتُ؟ غنّت تلك الأغنية كلمة كلمة أيضاً.

كبستُ زرّ التوقّف، «كيف تعرفين هذا أصلاً؟» سألتُها.

«آبي رود؟» هزّت كتفيها، «لا أعرف. تعرفينه فحسب!» وشغّلتِ السي دي من جديد.

من ثمّ بدأت أغنية «ها قد أشرقت الشمس» Here comes the sun وماذا حدث؟ كلّا، لم تشرق الشمس فعلياً، لكنّ ماما أشرقت كأنّها شمس تنبثق من بين الغيوم. تعرفون تلك النغمات الأولى من الأغنية، وكيف يبدو غيتار جورج فيها مفعماً بالأمل؟ إنّها تشبه ماما عندما غنّت، أصبحتْ مفعمة بالأمل أيضاً، فضلاً عن أنّها صفّقت ذلك التصفيق العشوائيّ الذي يرافق سولو الغيتار بمنتهى الدقّة.

عندما انتهت الأغنية، أوقفت ماما السي دي. «أوه يا بي!» قالت، «هذه الأغنية تذكّرني بكِ»، وامتلأت عيناها بالدموع.

«ماما!!». هذا هو السبب في أنّني لا أريدها أن تأتي لحضور رقصة الفيل التي سيؤدّيها طلّاب الصفّ الأوّل، حتّى أتفه الأمور تجعلها مفعمة بالحبّ.

«أريدكِ أن تفهمي كم أنّ الوضع صعب بالنسبة لي أحياناً» قالت وهي تضع يدها فوق يدي.

«ما هو الصعب؟»

«تفاهة الحياة» قالت، «لكنّها لن تمنعني من أخذك إلى القطب الجنوبيّ».

«لسنا ذاهبين إلى القطب الجنوبيّ»

«أعرف. درجة الحرارة تبلغ مئة تحت الصفر في القطب الجنوبيّ. العلماء وحدهم يذهبون إلى هناك، أعرف، باشرتُ بقراءة أحد الكتب»

سحبتُ يدي وشغّلتُ السي دي. ها هو الجزء المضحك: عندما نسختُ السي دي، أبقيتُ على إعدادات iTunes المعياريّة التي تترك فاصلاً مقداره ثانيتان بين أغنية وأخرى، لذلك، عندما بدأت المعزوفة المدهشة انطلقنا أنا وماما بغناء You never give me your money، من ثمّ Sun King والتي

تحفظها ماما عن ظهر قلب، بما في ذلك المقاطع الإسبانيّة، على الرغم من أنّها لا تعرف تلك اللغة، ماما تتحدّث الفرنسيّة.

من ثمّ، بدأت فواصلُ الثانيتين.

إن لم تفهموا كم هذأ تراجيديّ ومزعج، جدّياً، غنّوا إذن مع Sun King. نحو نهايتها، ستبدؤون بغناء ناعس باللغة الإسبانيّة، مستعدّين للاندماج مع أغنية .Mean Mr. Mustard. ما يجعل خاتمة Sun King عظيمة للغاية هو أنّكم تنجرفون معها، لكنكم في الوقت نفسه تنتظرون أن يبدأ رينغو بعزف الدرامز معلناً بداية Mean Mr. Mustard ، ويصبح الإيقاع سريعاً... لكن إن لم تنتبهوا إلى إعدادات iTunes، ستصل أغنية Sun King إلى النهاية ومن ثمّ...

صمتٌ رقميٌّ فظّ يدوم ثانيتين!

وخلال Polythene Pam مباشرة بعد Look Out يحلّ الصمتُ ذاته، قبل أن تنطلق She came in through the bathroom window!... جدّياً، هذا تعذيب!

غنّينا بأعلى صوتنا أنا وماما طوال الوقت، وأخيراً انتهى السي دي.

«أنا أحبّك بي!» قالت ماما، «أنا أحاول، أحياناً ينجح الأمر وأحياناً لا».

صفّ السيّارات التي تنتظر العبّارة لم يتحرّك بعد، «أظنّ أنّ علينا العودة إلى المنزل» قلتُ، وانزعجتُ لأنّ كينيدي لن ترغب أبداً بقضاء الليل في سياتل، منزلنا يخيفها.

ذات مرّة، أقسمت كينيدي أنّها رأت كتلة تتحرّك تحت إحدى السجّادات... «إنّها حيّة!!إنّها حيّة!!» صرختْ، فشرحتُ لها أنّه عرق من عروق توت العليق ينمو عبر ألواح الأرضيّة، لكنّها كانت مقتنعة أنّه شبح واحدة من طالبات سترايت غايت.

انطلقنا أنا وماما لأعلى تلّة كوين آن. مرّة علّقت ماما أنّ عقدة أسلاك الباص الكهربائيّ فوقنا تشبه سلّم يعقوب[1]، لذلك كلّما مررنا تحتها أتخيّل

1- سلّم يقود إلى السماوات، رآه يعقوب في حلمه عندما كان فارّاً من أخيه عيسو. م

أنني أمدّ أصابعي المبسوطة نحو الشبكة، وأجذبها إلى الداخل عبر سقف السيّارة، كأنّها لعبة «الخيط المشدود[1]».

انعطفنا إلى معبر السيّارات الخاصّ بيتنا، وكنّا على وشك الدخول من البوّابة عندما رأينا أودري غريفن تسير نحونا.

«آه يا إلهي!» قالت ماما، «ديجا – فو يتكرّر! ماذا الآن؟».

«احذري أن تدهسي قدمها!» مزحتُ.

«أوه لا!» بدا صوت ماما وكأنّها تتقيّأ الكلمات، ثم دفنت وجهها بين يديها.

«ماذا؟» قلتُ، «ماذا؟».

أودري غريفن حافية ولا ترتدي جاكيتاً، بنطالها ملطّخ بالوحل حتّى ركبتيها، والوحل يغطّي شعرها أيضاً. فتحت ماما بابها دون أن تطفئ المحرّك، وعندما نزلتُ أخيراً من السيّارة كانت أودري غريفن قد بدأت بالصراخ: «تلّتكِ انزلقت إلى بيتي!».

لم أفهم! حديقتنا كبيرة للغاية، ومرجنا يمتدّ بعيداً جدّاً إلى أسفل التلّة. لم أستطع رؤية ما تتحدّث عنه.

«خلال الحفلة» تابعت أودري، «حفلة أهالي غايلر ستريت المرتَقبين».

«لم تكن لديّ فكرة...» صوتُ ماما يرتجف.

«أصدّقكِ» قالت أودري، «لأنّك تعزلين نفسك تماماً عن شؤون المدرسة. صفّا الروضة كلاهما

كانا موجودَين».

«هل تأذّى أحد؟» سألت ماما.

«الحمد للربّ، لا» هناك ابتسامة مجنونة على وجه أودري. أنا وماما نتشاطر انبهاراً بمن نسمّيهم السعداء – الغاضبين، وأداء أودري غريفن الآن هو النسخة الأفضل على الإطلاق.

1- من أقدم ألعاب الأطفال في العالم، يلعبونها بتمرير خيط طويل جيئة وذهاباً بين أصابع اليدين المفتوحتين، لصنع أشكال معقّدة.م

«حسناً، هذا جيّد» قالت ماما مع تنهّيدة عميقة، «هذا جيّد». أدركتُ أنّها تحاول إقناع نفسها بذلك.

«جيّد؟!» زعقت أودري، «حديقتي مطمورة تحت ستة أقدام من الوحل، الانهيار حطّم نوافذي ودمّر نباتاتي وأشجاري وأرضيّاتي الخشبيّة، وانتزع غسّالتي ونشّافتي من الحائط!». أودري تتكلّم بسرعة رهيبة الآن وهي تشهق مراراً وتكراراً، ومع كلّ عنصر تذكره على قائمتها ينزاح المؤشّر على مقياس سعيد - غاضب أكثر فأكثر نحو اليسار. «شوّايتي اختفت، زخارف نوافذي دُمِّرَت، بيتي الزجاجيّ تحطّم، بذوري ماتت، عيّنات أشجار التفّاح التي استغرقتْ زراعتُها خمسة وعشرين عاماً اقتُلِعَت من جذورها، أشجار القيقب اليابانيّ سُحِقَت، الورد الجوريّ اختفى، الموقد الذي رصفتُ أحجاره بيدي اختفى!».

ماما كانت تمصّ طرفي فمها نحو الداخل كي تكبح ابتسامتها، أمّا أنا فكان عليّ أن أطرق برأسي فوراً كي لا أضحك، لكن سرعان ما تلاشى أيّ أثر للهزل الحقير من المشهد.

«وتلك اللّافتة!» قالت أودري مزمجرة.

شحب وجه ماما، وبالكاد استطاعت أن تغمغم: «اللّافتة؟».

«أيّة لافتة؟»، سألتُ.

«أيّ نوع من الأشخاص ذاك الذي ينصب لافتة...» قالت أودري.

«سأزيلها اليوم»، قالت ماما.

«أيّة لافتة؟»، كرّرتُ سؤالي.

«الوحل تكفّل بذلك نيابة عنكِ» قالت أودري لماما. لم ألاحظ من قبل أنّ عينيها خضراوان فاتحتان إلّا عندما سلّطتْهما على ماما.

«سأدفع تكاليف كلّ الأضرار»، قالت ماما.

هاكم صفة من صفات ماما: لا تجيد التعامل مع الإزعاجات، لكنّها عظيمة في الأزمات. إن لم يملأ النادل كأسها مجدّداً بعد أن تكرّر طلبها ثلاث مرّات، أو عندما تنسى نظّارتها الداكنة في يوم مشمس... احترسوا!

أمّا عندما يحصل شيء ما رهيب حقّاً، تتبنّى ماما أقصى الهدوء. أعتقدُ أنّها اكتسبت ذلك من خلال كلّ السنوات التي أمضتها شبه مقيمة في مشفى الأطفال بسببي. ما أقصده هو: عندما تسوء الأمور،أفضل من يقف في صفّكم هو ماما.

لكنّ هدوءها ذاك استثار غضب أودري غريفن أكثر.

«هل هذا كلّ شيء بالنسبة لكِ؟! المال؟!». كلّما تعاظم جنون أودري غريفن، تصبح عيناها برّاقتين أكثر. «تجلسين هنا في منزلك العملاق، وتنظرين بتعالٍ إلينا كلّنا، تكتبين الشيكات، ولكنّك لا تتنازلين أبداً بالنهوض عن عرشك وتشريفنا بحضورك؟».

«من الواضح أنّك منفعلة» قالت ماما، «تذكّري أنّ ما قمتُ به على سفح التلّة كان بناء على إصرارِكِ أنتِ أودري. لقد استخدمتُ رَجُلَكِ، وجعلتُه ينفّذ المهمّة في اليوم الذي حدّدتِه أنتِ».

«إذن فأنت غير مسؤولة عن شيء؟» زعقت أودري، «هذا من مصلحتكِ بالطبع. لكن ماذا عن اللافتة؟ هل جعلتكِ أنا تضعينها هناك؟ حقّاً، أشعر بالفضول لسماع الجواب».

«أيّة لافتة؟!» بدأتُ أشعر بالخوف مع كلّ هذا الحديث عن اللافتة.

«باز» التفتت ماما صوبي، «لقد قمتُ بتصرّف غبيّ بالفعل، سأخبرك به».

«هذه الطفلة المسكينة!» قالت أودري بمرارة، «مع كلّ ما مرّت به...».

«مااااذذذا؟!» قلتُ.

«صدقاً، أنا آسفة بشأن اللافتة» أكّدت ماما لأودري، «نصبتُها دون تفكير، بعد أن شاهدتكِ أنتِ والبستانيّ في مرجي».

«هل تلومينني أنا؟!!» قالت أودري، «أليس هذا فاتناً؟!». يبدو أنّ إبرة مؤشّر السعادة لديها تجاوزت المنطقة الخطرة، وهي تدخل الآن نطاقاً غير مُصنَّف لم يزره أيّ سعيد – غاضب من قبل.

هذه المرّة، خفتُ!

«أنا ألوم نفسي!» قالت ماما، «أقصد أنّ هناك سياقاً أكبر لما حدث اليوم».

«هل تعتقدين أن قدوم رجل إلى بيتك كي يعطيك كلفة تقديريّة للعمل الذي تتطلّبه حديقتك، علماً أنّ البستنة مفروضة بالقانون وفق نظام المدينة، يكافئ أن تنصبي لافتة، وتتسبّبي بصدمة نفسيّة لتلامذة الروضة في كلا الصفّين، وتهدّدي بإفساد انتساب الطلّاب الجدد إلى غايلر ستريت، وتدمّري منزلي؟!».

«اللّافتة كانت ردّ فعل على ذلك، أجل»، قالت ماما.

«واااااااوووو!» قالت أودري وصوتها يعلو وينخفض، كأنّ الكلمة أرجوحة أفعوانيّة في مدينة ملاهي. صوتها مشبع بالكراهيّة والجنون لدرجة أنّه ثقَبَ جلدي، بدأ قلبي يخفق بطريقة مخيفة لم أعهدها من قبل.

«هذا جدير بالاهتمام حقّاً!» اتّسعت عينا أودري، «إذن أنت تعتقدين أنّ نصب لافتة تعبّر عن الكراهية فوق منزلي، هو ردّ فعل مناسب لحصولك على كلفة تقديريّة للعمل المطلوب في حديقتك»، وأشارت بإصبعها في ثمانية اتّجاهات مختلفة وهي تقول الجملة الأخيرة: «أظنّ أنّني فهمتُ».

«كان ردّ فعل مبالغاً به» قالت ماما لأودري بهدوء متجدّد، «لا تنسي أنّك تعدّيتِ على أملاكي».

«إذاً من حيث المبدأ» انفجرتْ أودري، «أنت مجنونة!» بدأت عيناها ترمشان بتشنّج، «عجباً! كنتُ أتساءل دائماً، أمّا الآن فقد عرفتُ الجواب». تجمّد وجهها في دهشة مختلّة، وبدأت تصفق بيديها تصفيقاً سريعاً قصيراً.

«أودري» قالت ماما، «لا تقفي هنا وتدّعي أنّكِ لم تلعبي هذه اللعبة بدورك».

«أنا لا أقوم بالألاعيب»

«ماذا عن جعل غوين غودير ترسل تلك الرسالة بأنّني دهستُ قدمكِ؟ ما كان ذلك؟»

«أوه برناديت!» قالت أودري وهي تهزّ رأسها بحزن، «يجب حقّاً أن تتخلّصي من جنون الارتياب الذي تعيشينه. ربّما لو تفاعلتِ أكثر مع الناس، ستدركين أنّنا لسنا زمرة من الغيلان المخيفة التي تريد النيل منكِ»، ورفعت يديها في الهواء وحرّكتهما كالملاقط.

«أعتقد أنّنا انتهينا» قالت ماما، «مجدّداً، أعتذر بخصوص اللافتة. كانت غلطة غبيّة وأنا أنوي أن أتحمّل المسؤوليّة كاملة، بما يخصّ المال، بما يخصّ الوقت، بما يخصّ غوين غوديير وغايلر ستريت». استدارت ماما ومشتْ من أمام السيّارة، وحين أوشكتُ على فتح بابي استأنفت أودري غريفن الكلام من جديد، وكأنّها وحش سينمائيّ يعود للحياة.

«ما كانت بي لتُقبَل في غايلر ستريت لو عرفوا أنّها تعيش في هذا المنزل» قالت، «اسألي غوين. لم يدرك أحد أنّكم أولئك الأشخاص من لوس أنجلس الذين جاؤوا إلى سياتل، واشتروا عقاراً مساحته اثنا عشر ألف قدم مربّعة وسط ضاحية سكنيّة رائعة، وادّعوا أنّه بيتهم. أين نقف الآن؟ على بعد أربعة أميال يوجد المنزل الذي ترعرعتُ أنا فيه، المنزل الذي نشأت فيه أمّي، المنزل الذي نشأت فيه جدّتي».

«أصدّقكِ» قالت ماما.

«جدُّ جدّي كان تاجر فراء في ألاسكا» قالت أودري، «جدُّ وارِن الأكبرُ كان يشتري الفراء منه. مقصدي هو أنّك جئت إلى هنا بنقود مايكروسوفت، وتعتقدين أنّك تنتمين إلى هذا المكان، لكنّك لم ولن تنتمي إليه».

«قولي آمين»

«ولا واحدة من الأمّهات تحبّكِ برناديت. هل تعرفين أنّنا أقمنا حفلة عيد شكر لطالبات الصفّ الثامن وأمّهاتهن في جزيرة ويدباي، ولم نوجّه لك دعوة لا أنتِ ولا بي؟ لكنّني سمعتُ أنّك قضيت إجازة رائعة في دانيال برويلر!»

انقطع تنفّسي في تلك اللحظة، كنتُ واقفة هناك، لكنّني أحسستُ أنّ أودري غريفن سحبت كلّ الهواء من صدري. مددتُ ذراعي لأستند على السيّارة.

«يكفي أودري!» تقدّمت ماما نحوها نحو خمس خطوات، «تبّاً لكِ!».

«لا بأس» قالت أودري، «اشتمي أمام الطفلة. آمل أنّ ذلك يجعلك تشعرين أنّك قويّة».

«سأقولها مجدّداً» قالت ماما، «تبّاً لكِ لأنّك تقحمين بي في هذه المسألة».

«نحن نحبّ بي» قالت أودري غريفن، «بي طالبة مدهشة وفتاة رائعة، وهذا يبيّن لكِ مدى مرونة الأطفال، لأنّها وصلت إلى ما هي عليه على الرغم من كلّ الظروف. لو كانت بي ابنتي أنا، وأنا أتكلّم هنا نيابة عن كلّ أمّهات جزيرة ويدباي، لن أرسلها أبداً إلى مدرسة داخليّة».

أخيراً تمكّنتُ من التقاط أنفاسي كي أقول: «أريد أن أذهب إلى مدرسة داخليّة».

«بالطبع تريدين!» وجّهت أودري كلامها لي بصوت يقطر شفقة.

«لقد كانت فكرتي أنا!» صرختُ باهتياج، «سبق وأن أخبرتكِ بهذا!».

«كلّا بي» قالت ماما دون أن تنظر إليّ حتّى، وإنّما مدّت يدها صوبي. «الأمر لا يستحقّ».

«بالطبع كانت فكرتكِ أنتِ» قالت أودري وهي تومئ برأسها صوب ماما، وعيناها تقفزان من محجريهما، «بالطبع تريدين أن تهربي. ومن يلومكِ؟!».

«لا تتجرّئي على الحديث معي بهذه الطريقة!» صرختُ، «أنت لا تعرفينني!». كنتُ مبلّلة تماماً والمحرّك ظلّ يعمل طوال الوقت –وهو هدر للوقود– البابان مفتوحان والمطر ينهمر إلى داخل السيّارة ويفسد فرشها الجلديّ، فضلاً عن أنها مركونة في آخر المعبر، والبوّابة تصدم بنا ثمّ تُفتح من جديد، وشعرتُ بالقلق من أنّ المحرّك سوف يحترق. آيس كريم تتفرّج علينا بغباء من المقعد الخلفيّ بفمها المفتوح ولسانها الذي يتدلّى، وكأنّها لم تشعر أنّنا بحاجة للحماية! سي دي آبي رود يصدح بأغنية «ها قد أشرقت الشمس»، الأغنية التي تقول ماما إنّها تذكّرها بي، وعندها عرفتُ أنّني لن أستمع إلى آبي رود بعد ذلك أبداً.

«أوه يا إلهي بي! ما خطبكِ؟!» لقد التفتت ماما وانتبهت أنّ ثمّة مشكلة ما. «تحدّثي معي باز! هل هو قلبكِ؟».

دفعتُ ماما بعيداً عنّي، ثمّ صفعتُ أودري على وجهها المبلّل. أعرف! لكنّني كنتُ أستشيط غضباً!

«أنا أصلّي من أجلكِ» قالت أودري.

«صلّي من أجل نفسك!» قلتُ، «أمّي أرقى بكثير منكِ ومن بقيّة الأمّهات.

أنتِ من يكرهها الجميع، كايل جانح لا يلعب الرياضة، ولا يقوم بأيّ من النشاطات خارج المنهاج، ولديه أصدقاء فقط لأنّه يوزّع عليهم المخدّرات، ولأنّه طريفٌ عندما يسخر منكِ. زوجكِ سكّير واجه ثلاث تهم بقيادة السيّارة تحت تأثير الكحول، لكنّه يفلت من العقاب كلّ مرّة لأنّه يعرف القضاة. كلّ ما يهمّكِ هو ألّا يكتشف الناس ذلك لكنّكِ تأخّرتِ، كايل أخبر جميع من في المدرسة بكلّ شيء».

ردّت أودري بسرعة: «أنا امرأة مسيحيّة ولذلك سأسامحكِ».

«اصمتي!» قلتُ، «المسيحيّون لا يتحدّثون بالطريقة التي كلّمتِ بها والدتي».

ركبتُ في السيّارة، أغلقتُ الباب، أطفأتُ سي دي آبي رود وبدأتُ بالعويل. كنتُ جالسة في إنش من الماء لكنّني لم أكترث. سببُ خوفي ليس له علاقة بلافتة، أو انهيارٍ طينيّ غبيّ، أوأنّنا لم نتلقّ دعوة أنا وماما إلى جزيرة ويدباي الغبيّة، وكأنّنا كنّا سنرغب بالذهاب إلى أيّ مكان مع أولئك الحقيرات ولو بعد مليون سنة! خفتُ لأنّني عرفتُ، عرفتُ فحسب، أنّ الأمور ستتّخذ مساراً مختلفاً الآن.

ركبت ماما السيّارة وأغلقت الباب. «أنتِ سوبر رائعة!» قالت، «هل تدركين ذلك؟».

«أنا أكرهها» قلتُ.

ما لم أقله، لأنّني لستُ بحاجة لقوله، لأنّه مفهوم ضمنيّاً، حقّاً أنا لا أستطيع إخباركم لماذا، لأنّنا لم نخفِ عنه أسراراً من قبل، لكن أنا وماما أدركنا للتوّ: لن نخبر بابا.

بعد تلك الحادثة، تغيّرت ماما. النهار الذي قضتْه في صيدليّة تركيب الأدوية ليس السبب، لقد استرجعت قواها بعده، والدليل هو أنّنا كنّا معاً في السيّارة وكانت تغنّي مع آبي رود. لا يهمّني ماذا يقول بابا أوالأطبّاء أوالشرطة أو أيّ كان... أودري غريفن التي تصرخ في وجه ماما هي السبب في أنّها لم تعد الشخص ذاته بعد ذلك أبداً... وإن كنتم لا تصدّقون:

***

إيميل أرسلته ماما بعد خمس دقائق

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

لا أحد يمكنه أن يقول إنّني لم أبذل قصارى جهدي، لكنّني لا أستطيع خوض هذا الأمر. لا أستطيع الذهاب إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة. لستُ واثقة كيف سأنسحب، لكنّني أؤمن بنا أنا وأنتِ مانجولا، معاً يمكننا أن نفعل أيّ شيء.

***

من بابا إلى د.جانِل كورتز،
طبيبة الأمراض النفسيّة في مادرونا هِل

عزيزتي الدكتورة كورتز،

صديقتي هانا ديلارد تمدحك بحماس فيما يتعلّق بإقامة زوجها فرانك في مادرونا هِل. وفق ما فهمتُ، مرّ فرانك بوقت عصيب بسبب الاكتئاب، لكنّ دخوله إلى مستشفى مادرونا هِل، تحت إشرافك، قدّم له المعجزات.

أكتب إليك لأنّني قلق للغاية بشأن زوجتي. اسمها برناديت فوكس، وأخشى أنّها مريضة للغاية.

(اغفري لي رداءة خطّي. أنا أمسك بالقلم للمرّة الأولى منذ سنوات، لأنّني في الطائرة وبطّاريّة اللابتوب فارغة. سأتابع لأنّني أعتقد أنّه من المهمّ كتابة كلّ شيء وهو ما يزال طازجاً في عقلي).

سأبدأ ببعض الأساسيّات. التقيتُ برناديت قبل نحو خمسة وعشرين عاماً في لوس أنجلس، عندما قامت دار الهندسة المعماريّة التي تعمل معها بتجديد مقرّ شركة الأنيميشن التي كنتُ أعمل فيها. كلانا من الساحل الشرقيّ، وكلانا ارتاد مدرسة نخبة. نجم برناديت كان قد بدأ بالسطوع، وفُتِنتُ بجمالها، بحبّها للاختلاط بالناس، بعدم مبالاتها...وتزوّجنا. كنتُ أعمل على فكرة في مجال الأنيمشين عنما اشترت مايكروسوفت الشركة

التي أعمل فيها، ثمّ واجهتْ برناديت مشكلات في المنزل الذي كانت تبنيه آنذاك، والذي أعلنتْ من خلاله عن حضورها القويّ في مشهد هندسة العمارة في لوس أنجلس. ما فاجأني هو أنّ برناديت هي من سعت لانتقالنا إلى سياتل! سافرتْ بالطائرة إلى سياتل كي تلقي نظرة على المنازل، ومن ثمّ اتّصلت وقالت إنّها عثرت على المكان المثاليّ: مدرسة سترايت غايت للبنات في كوين آن. بالنسبة لأيّ شخص آخر، مدرسة إصلاحيّة متداعيّة ستبدو خياراً غريباً كَئِيباً، لكنّها برناديت، وهي متحمّسة. برناديت وحماسها مثل فرس النهر والماء: ادخلي بينهما، وستُسْحَقين حتّى الموت.

انتقلنا إلى سياتل حيث استحوذت مايكروسوفت عليّ كليّاً، من ثمّ أصبحت برناديت حاملاً، وتعرّضت إلى أوّل إجهاض من سلسلة إجهاضات متكرّرة. بعد ثلاث سنوات تمكّنتْ من اجتياز الثلث الأوّل للحمل بسلام، وألزمها الأطباء بالبقاء في سريرها منذ بداية الثلث الثاني. المنزلُ، اللوحةُ البيضاء التي تنتظر سحر برناديت، كان يعاني، وهذا منطقيّ: تسرّبٌ للمطر، تيّاراتٌ هوائيّة غريبة، أعشاب تبزغ من بين ألواح الأرضيّة أحياناً... قلقي كان منصبّاً على صحّة برناديت، لا يلزمها تحمّلُ مجهود الترميم بل أن تبقى مرتاحة، لذلك كنّا نلبس معاطفنا داخل المنزل، وننقل قدور السباغيتي من مكان إلى آخر عندما تمطر، ونحتفظ بزوج من مقصّات تقليم النباتات في مزهريّة غرفة الجلوس... كم كان ذلك رومانسيّاً!

ابنتنا بي وُلِدت قبل أوانها، وكانت زرقاء اللون عندما جاءت إلى هذا العالم لأنّها مصابة بمتلازمة نقص تصنّع القلب الأيسر. كنتُ أتخيّل أنّ الطفل المريض إمّا أن يقرّب الزوجين أو أن يفرّقهما، في حالتنا لم يحدث أيّ منهما: برناديت كرّست نفسها كليّاً لشفاء بي، وهو ما أصبح جوهر حياتها، أمّا أنا فعملتُ ساعات إضافيّة، وبدا لي ذلك نوعاً من الشراكة: برناديت تخطّط وأنا أدفع.

تعافت بي بحلول الوقت الذي دخلت فيه الروضة، على الرغم من أنّها بقيت صغيرة الحجم بشكل غير عاديّ بالنسبة إلى عمرها. كنتُ أعتقد دائماً أنّ برناديت ستعود عند شفاء بي إلى ممارسة هندسة العمارة، أو أنّها سترمّم منزلنا على الأقل. أماكن التسرّب تحوّلت إلى فجوات في السقف، النوافذ

ذات الشقوق الصغيرة أصبحت ألواحاً من الكرتون والشريط اللّاصق، فضلاً عن البستانيّ الذي يأتي مرّة في الأسبوع لإزالة الأعشاب الضارّة من تحت السجّادات. منزلنا يتحوّل حرفيّاً إلى تراب! مرّة، عندما كانت بي في الخامسة وأنا ألعب معها لعبة «المطعم» في غرفتها، سألتني ماذا أريد أن آكل، وبعد كثير من النشاط المحموم في مطبخها المصغّر، جلبت لي «غدائي» الذي كان بنيّاً ورطباً ورائحته كالتراب، لكنّ قوامه إسفنجيّ أكثر. «لقد نبشتُه»، علّقت بي بفخر، وهي تشير إلى الأرضيّة الخشبيّة المشبعة بالرطوبة بفعل سنين من الأمطار، لدرجة أنّها حفرتْها بالملعقة.

بعد أن استقرّت بي في الروضة، لم تُظهِر برناديت أيّ اهتمام بإصلاح المنزل أو بأيّ نوع آخر من الأعمال. كلّ تلك الطاقة التي وجّهتها قديماً بجسارة نحو هندسة العمارة، وجّهتها الآن إلى السخط على سياتل، وتظاهر سخطها ذاك بثرثرة صاخبة تتطلّب ما لا يقلّ عن ساعة حتّى تشرح ماذا تريد تماماً. خذي كمثال آخر تقاطعَ خمسة شوارع معاً. في المرّة الأولى التي علّقت فيها برناديت عن كثرة العقد المروريّة التي تتقاطع فيها خمسة شوارع معاً في سياتل، بدا الأمر منطقيّاً ولم أكن سألاحظه شخصيّاً. في الحقيقة، هناك عدد كبير من العقد التي يتفرّع منها شارع إضافيّ، ممّا يضطرّكِ للانتظار فترة أطول أمام إشارة المرور. لا شكّ أنّ هذا يستحقّ اعتباره موضوعاً للحديث بين زوج وزوجة، لكن في المرّة الثانية التي تطرّقت فيها برناديت إلى القصّة ذاتها، تساءلتُ: هل هناك شيء جديد تريد أن تضيفه؟ لا، تذمّرتْ فقط بشراسة متجدّدة، وطلبت منّي أن أسأل بيل غيتس: لماذا ما يزال مقيماً في مدينة تحتوي على كلّ هذا العدد من التقاطعات السخيفة؟ حتّى إنّها سألتني عندما عدتُ إلى المنزل يومها إن كنتُ قد سألتُه أم لا! ذات مرّة، أحضرتْ خريطة لسياتل القديمة، وشرحت لي كيف كانت هناك ستّ منظومات مستقلّة من الطرق المتقاطعة، اندمج بعضها ببعض مع مرور الوقت دون أن ينسّقها مخطّط بعيد المدى. بعدها، ونحن ذاهبان إلى أحد المطاعم ليلاً، قادتِ السيّارة لأميال عديدة بعيداً عن وجهتنا كي تريني أين تتقاطع ثلاث من تلك المنظومات. بالفعل، كانت أمامنا عقدة مروريّة مكوّنة من سبعة شوارع متقاطعة، من ثمّ حسبت برناديت الوقت الذي قضيناه عند إشارة المرور.

تخطيط شوارع سياتل العشوائيّ هو أحد أهمّ اكتشافات برناديت! أحياناً، عندما أكون نائماً في السرير تقول برناديت «إيلجي! هل أنت مستيقظ؟».

«لقد أيقظتِني»

«أليس بيل غيتس صديقاً لوارن بوفِت؟» ستقول، «ألا يملك وارن بوفت متجر سيز كاندي؟».

«أظنّ ذلك»

«عظيم! يجب أن يعرف ماذا يحصل في ويستلايك بلازا. هل تعرف أنّ سيز كاندي يتبع سياسة توزيع قطع شوكولاتة مجّانيّة لتذوّقها؟ حسناً، أولئك المشرّدون الرهيبون جميعهم يستغلّون ذلك. اليوم، كان عليّ الانتظار ثلاثين دقيقة في طابور خارج المتجر، وراء المشرّدين والمدمنين على المخدّرات الذين لا يشترون شيئاً، بل يطالبون بالقطع المجّانية، من ثمّ يعودون للوقوف في آخر الطابور مجدّداً للحصول على المزيد».

«لا تذهبي إذن إلى سيز كاندي بعد اليوم»

«لن أذهب صدّقني. لكن إن رأيتَ وارن بوفت في مكان ما في مايكروسوفت عليكَ إخباره، أوأخبرني وأنا أخبره»

جرّبتُ أن أعِدَها، أن أتوقّف عن الإصغاء إليها، أن أطلب منها أن تكفّ عن ذلك، لكن لم ينفع شيء! خاصّة الخيار الأخير الذي لا يقودنا إلّا إلى عشر دقائق إضافيّة من الثرثرة الساخطة إيّاها. بدأتُ أشعر كأنّني فريسة محاصَرة في الزاوية، غير قادرة على الدفاع عن نفسها.

تذكّري: في السنوات الأولى لانتقالنا إلى سياتل كانت برناديت إمّا حاملاً أو أنّها أجهضت للتوّ، وعلى حدّ علمي تقلّبات مزاجها تلك هي إمّا وسيلة للتغلّب على الأسى، أو ناجمة عن تذبذب الهرمونات.

شجّعتها على اتّخاذ أصدقاء، وهو ما حرّض ردّاً لاذعاً عن أنّها حاولتْ، لكنّ الآخرين لم يحبّوها. يقال إنّ سياتل هي واحدة من أصعب المدن بالنسبة لتشكيل صداقات، واخترع الناس اسماً لذلك: «جمود سياتل». لم أمرّ به من قبل، لكنّ زملائي في العمل يدّعون أنّه حقيقيّ، وأنّه ناجم عن كثرة الدم الاسكندنافيّ هنا. ربّما واجهت برناديت صعوبة بالاندماج في البداية،

لكن ماذا عن أنّها ما زالت تضمر كراهية غير عقلانيّة للمدينة بأسرها بعد ثمانية عشر عاماً؟!

عملي حافل بالضغوطات يا دكتورة كورتز، أحياناً كنتُ أصل إلى الشركة في الصباح مستنزفاً تماماً من اضطراري إلى تحمّل برناديت وهياجها. أخيراً، صرت آتي إلى العمل بباص مايكروسوفت، ممّا قدّم لي عذراً لمغادرة المنزل قبل ساعة كاملة كي أهرب من المناوشات الصباحيّة.

لم أتقصّد أن تكون رسالتي طويلة، لكنّ النظر عبر شبّاك الطائرة يجعلني انفعاليّاً. دعيني أنتقل مباشرة إلى حوادث البارحة التي حرّضتني على الكتابة.

كنتُ أنا وبعض الزملاء ذاهبين مشياً على الأقدام لتناول الغداء، عندما أشارت إحداهنّ إلى برناديت النائمة على كنبة في صيدليّة. لسبب من الأسباب، كانت ترتدي سترة صيّاد سمك وهذا بالتحديد غريب للغاية! برناديت تصرّ عادة على ارتداء الملابس الأنيقة احتجاجاً على الذوق الرديء لجميع الناس -ما عداها- بما يتعلّق بالموضة (سأعفيك من تفاصيل تلك الثرثرة المبهجة). اندفعتُ للداخل، وعندما تمكّنتُ من إيقاظها أخيراً قالت لي بجدّيّة إنّها بانتظار وصفة هالدول.

د. كورتز، لا حاجة لإخبارك، الهالدول هو مضادّ للذُهان. هل تخضع زوجتي لرعاية أحد الأطباء النفسيّين الذي يصف لها هالدول؟ أم أنّها تحصل عليه بطريقة غير قانونيّة؟ لا فكرة لديّ. فزعتُ لدرجة أنّني أجّلتُ رحلة عمل كي يتسنّى لنا تناول العشاء أنا وزوجتي على انفراد. التقينا في مطعم مكسيكيّ، طلبنا ما نريد، وتطرّقتُ مباشرة إلى موضوع الهالدول.

«فوجئتُ برؤيتكِ اليوم في الصيدليّة» قلتُ.

«هسسسس!» كانت تتنصّت على الطاولة خلفنا، «إنّهم لا يعرفون الفرق بين التاكو وبين الإنشيلادا!». انقبض وجهها وهي تحاول الإصغاء جاهدة، «آه يا إلهي؟» همستْ، «لم يسمعوا أبداً بالمولي[1]! كيف يبدو شكلهم؟ لا أريد أن أستدير».

1- Mole صلصلة بنيّة اللون سميكة كثيفة حلوّة الطعم، تتكوّن من الشوكولا والفلفل والتوابل الحارّة والأعشاب المكسيكيّة. م

«أناس... عاديّون»

«ماذا تقصد؟ أيّ نوع من...؟» لكنّها لم تقدر على ضبط نفسها، والتفتت التفاتة خاطفة. «الوشوم تغطّيهم! ماذا، تظنّ أنّك رائع لذلك تدمغ نفسك من رأسك حتّى أخمص قدميك، لكنّك لا تعرف الفرق بين الإنشيلادا والبوريتو؟!».

«بخصوص اليوم...» بدأتُ.

«آه أجل» قالت، «ألم تكن برفقة واحدة من تلك البعوضات؟ من غايلر ستريت؟».

«سو – لِنْ هي الإداريّة الجديدة لفريقي» قلتُ، «ابنها في صفّ بي».

«آه يا إلهي!» قالت برناديت، «الأمر انتهى بالنسبة لي».

«ما الذي انتهى؟» سألتها.

«أولئك البعوضات يكرهنني دائماً. ستحاول أن تحرّضكَ ضدّي»

«هذا سخيف!» قلتُ، «لا أحد يكرهكِ...».

«هسسس!» قالت، «النادل على وشك تسجيل طلباتهم». مالت بظهرها للخلف واليسار، مالت أكثر، وأكثر، جسدها أشبه برقبة زرافة، إلى أن انقلب كرسيّها ووقعت على الأرض. التفت كل من في المطعم صوبنا وحدّقوا بنا، قفزتُ لأساعدها لكنّها وقفتْ وأرجعت الكرسيّ إلى مكانه، ثمّ ها نحن ذا من جديد! «هل رأيتَ الوشم على باطن ذراعه؟ يشبه بكرة شريط لاصق» قالت.

ارتشفتُ رشفة من المارغريتا ولجأتُ إلى الخيار البديل، وهو انتظار أن تنتهي.

«هل تعرف ما هو الوشم الموجود على عضد أحد العاملين في قسم طلبات السيّارات في ستار باكس؟» قالت برناديت، «مشبك ورق! سابقاً كان الوشم نوعاً من الجسارة، أمّا الآن فالناس يرسمون اللوازم المكتبيّة على أجسادهم. هل تعرف ماذا أقول أنا؟!».

بالطبع، كان هذا سؤالاً مجازيّاً!

«أقول لا تتجرّأ على وشم جسدك» ثمّ التفتت للخلف من جديد وشهقتْ. «آه يا إلهي! ليس أيّ شريط لاصق، بل بكرة سكوتش تايب

بنقوشها الخضراء والسوداء! مضحك جدّاً: إن كنتَ سترسم بكرة شريط لاصق على ذراعك، اختر ماركة أصليّة عتيقة الطراز! ماذا حصل برأيك؟ هل وصل كتالوج ستايلز[1] بالبريد إلى صالون الوشم يومها؟»، وغمست رقاقة الشيبس في صلصلة الغواكامولي، فانكسرت تحت ضغط يدها. «يا إلهي! أكره الشيبس هنا»،ثمّ غمست شوكتها في الغواكامولي وتناولت لقمة. «ماذا كنت تقول؟».

«الدواء الذي لم يصرفوه لكِ في الصيدليّة أثار فضولي».

«أعرف!» قالت، «كتب طبيبٌ لي وصفةً واتّضح أنّها هالْدول».

«هل الأرق هوالسبب؟» سألتُ، «ألا تنامين مؤخّراً؟».

«النوم؟!!» قالت، «ما هو النوم؟!!».

«لماذا كتب لك تلك الوصفة؟».

«للقلق» أجابت.

«هل تراجعين طبيباً نفسيّاً؟» سألتُها.

«كلّا!!»

«هل ترغبين باستشارة طبيب نفسيّ؟»

«يا إلهي! لا!» قالت، «أنا متوتّرة بسبب الرحلة، لا أكثر».

«وما هو بالتحديد الأمر الذي يسبّب لكِ التوتّر؟»

«معبر درايك، الناس... تعرف الوضع»

«في الحقيقة» قلتُ، «أنا لا أعرف».

«سيرافقنا الكثير من الأشخاص، وأنا لا أجيد التعامل مع الناس»

«أعتقد أنّ علينا إيجاد شخص تتحدّثين معه»

«أنا أتحدّث معك، أليس كذلك؟»

«أقصد خبيراً»

«جرّبتُ مرّة، وكان الأمر مضيعة للوقت»، ثمّ مالت صوبي وهمست:

1- Staples catalogue كتالوج مشهور يعرض القرطاسيّة واللوازم المكتبيّة. م

«حسناً، هناك رجل يرتدي بدلة ويقف عند النافذة. إنّها المرّة الرابعة التي أراه فيها خلال ثلاثة أيّام! كن واثقاً من شيء واحد: لو استدرتَ الآن، سيختفي!».

استدرتُ للخلف، هناك رجل يرتدي بدلة يختفي في آخر الرصيف.

«قلتُ لك!!»

«هل تقولين إنّك مُراقَبَة؟»

«لستُ متأكّدة»

سترات صيد، النوم في مكان عامّ، دواء مضادّ للذُهان، والآن رجلٌ يترصّدها؟!

عندما كانت بي في الثانية من عمرها، تعلّقت تعلّقاً غريباً بكتاب اشتريناه أنا وبرناديت قبل سنوات عديدة من بسطة في أحد شوارع روما:

روما الماضي والحاضر

دليلكَ

إلى المركز الأثريّ لروما القديمة

مع صور مركّبة للشواهد الأثريّة

يعرض الكتاب صوراً للآثار بوضعها الراهن، مع صور تتراكب فوقها وتبيّن حالتها في أوج ازدهارها. اعتادت بي أن تجلس في سرير المشفى موصولة إلى المونيتورات، وتقلّب صفحات ذلك الكتاب للأمام وللخلف، وهي تمضغ غلافه السميك المصنوع من البلاستيك الأحمر.

أدركتُ الآن أنّني أنظر إلى برناديت الماضي والحاضر. هناك شرخ مرعب بين المرأة التي وقعتُ في حبّها، وبين هذه المرأة الجالسة أمامي الآن، والتي لا يمكن كبحها.

عدنا إلى المنزل. عندما نامت برناديت، فتحتُ خزانة أدويتها واكتشفتُ أنّها غاصّة بقوارير وصفها لها أطبّاء متنوّعون: زاناكس، كلونوبِن، أمبيان، هالسيون، ترازودون... إلخ، وكلّها فارغة!

د. كورتز، لا أدّعي أنّني أفهم حقّاً ما خطب برناديت. هل هي مصابة

بالاكتئاب؟ بالهوس؟ بجنون الارتياب؟ هل هي مدمنة على الأدوية؟ لا أعرف ما هو تعريف الانهيار العصبيّ، لكنّني أعتقد أنّه من الإنصاف القول إنّ زوجتي بحاجة إلى رعاية طبيّة جدّيّة، مهما كان تشخيصكِ.

هانا ديلارد تمدحكِ أنت على وجه الخصوص يا دكتورة كورتز، وتمدح كلّ ما قدّمتِه لمساعدة فرانك خلال أزمته الصعبة. إن كان ما أتذكّره صحيحاً، عارض فرانك العلاج في البداية من ثمّ استجاب لبرنامجك، وأبهر هذا هانا لدرجة أنّها أصبحت عضواً في مجلس إدارة مشفاك.

خطّطنا أنا وبرناديت وبي للذهاب في رحلة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة بعد أسبوعين. من الواضح أنّ برناديت لا تريد الذهاب، وأظنّ أنّ الأفضل لو ذهبنا أنا وبي وحدنا إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، بينما تدخل برناديت إلى مشفى مادرونا هِل. لا أتخيّل أنّها سترحّب بالفكرة، لكن من الواضح بالنسبة لي أنّها تحتاج إلى فترة من الراحة والاسترخاء تحت إشراف طبّيّ.

أتوق لسماع رأيك

المخلص،

إيلجي برانش

***

الجزء الثاني

برناديت
في
الماضي والحاضر

مسابقةُ العمارة
برعاية البنّائين الخضر في أمريكا

للنشر فوراً:

يعلن

البنّاؤون الخضر في أمريكا، ومؤسّسة تورنر

20×20×20

منزل العشرين ميلاً بعد عشرين عاماً، وإلى عشرين عاماً في المستقبل

تُقبَلُ الطلباتُ حتّى الأوّل من شباط.

منزل العشرين ميلاً الذي بنتْه برناديت فوكس لم يعد موجوداً، صوره الباقية قليلة، ويقال إنّ السيّدة فوكس أتلفت جميع مخطّطاته. مع ذلك، تتزايد أهميّة المنزل مع كلّ سنة تمرّ. للاحتفال بالذكرى العشرين لمنزل العشرين ميلاً، البنّاؤون الخضر في أمريكا بالتعاون مع مؤسّسة تورنر، يدعون مهندسي العمارة والطلّاب والبنّائين إلى تقديم تصاميم تعيد بناء منزل العشرين ميلاً من جديد وابتكاره. بقيامنا بذلك، نحن نفتتح حواراً حول معنى «العمارة الخضراء» في العشرين عاماً المقبلة.

التحدّي: قدّم تصميماً لبناء منزل مخصّص لعائلة واحدة، مؤلّف من ثلاث غرف نوم، مساحته 4200 قدم مربّعة، في 6528 مولهولاند درايف في لوس أنجلس. الشرط الوحيد المفروض هو ذاك الذي فرضتْه السيّدة فوكس على نفسها: كلّ الموادّ المستعمَلة في البناء يجب أن تُجلَب من مسافة لا تتعدّى العشرين ميلاً من الموقع.

الرابح: ستُعلَن النتائج في احتفال المعهد الأمريكيّ لهندسة العمارة / تحالف البناء الأخضر في غيتي سنتر، وسيحصل الرابح على جائزة مقدارها أربعون ألف دولار.

***

السبت، 11 كانون الأوّل

من بول جيلينك بروفيسور العمارة في جامعة ساوث كاليفورنيا، إلى الشابّ الذي صادفَتْه ماما خارج المكتبة

جايكوب،

بما أنّك مهتمّ ببرناديت فوكس، أرسل إليك مقتطفاً من سيرتها الذاتيّة غير المنشورة بعد، والتي ستظهر في عدد شباط من آرت فورُم. لقد طلبوا منّي تدقيقها تلافياً للأخطاء الفاضحة. في حال ساورتك الرغبة بالاتّصال مع كاتب المقال وإخباره عن لقائك ببرناديت فوكس، من فضلك لا تفعل. من الواضح أنّ برناديت فوكس اتّخذت قراراً بالتواري عن الأنظار، ويبدو لي أنّ علينا احترام قرارها.

بول.

***

نسخة بي. دي. إف من مقال آرت فورم

«القدّيسة برناديت: أعظم مهندسة معماريّة لم تسمعوا بها»

مؤخّراً، طرحت رابطة البنّائين ومهندسي العمارة الأمريكيّين استبياناً على ثلاثمئة طالب من طلّاب مرحلة التخرّج في هندسة العمارة، وسألتهم عن المعماريّ الأعظم برأيهم. القائمة هي ما تتوقّعونه: فرانك لويد رايت، لو كوربوزيه، ميز ڤان در روه، لويس كان، ريتشارد نيوترا، رودولف شنايدر... مع استثناء وحيد: بين الرجال العظماء هناك امرأة غير معروفة في الحقيقة. برناديت فوكس فريدةٌ لأسباب متعدّدة: كانت امرأة شابّة تعمل بمفردها

في مهنة يسيطر عليها الرجال، تلقّت منحة ماك آرثر في سنّ الثانية والثلاثين، الأثاث الذي صنعته يدوياً معروض حالياً في المجموعة الدائمة الموجودة في متحف الفنون الشعبيّة الأمريكيّة، تُعدّ رائدة حركة البناء الأخضر، المنزل الوحيد الذي بنته لم يعد قائماً، كما أنّها انسحبت من هندسة العمارة قبل عشرين عاماً، ولم تصمّم أيّ بناء منذ ذلك التاريخ.

كلّ صفة بمفردها من الصفات السابقة كفيلة بلفت الأنظار إلى أيّ مهندس معماريّ، أمّا اجتماعها معاً في شخصيّة واحدة، فهذا يعني أنّنا أمام أيقونة. لكن من كانت برناديت فوكس؟ هل مهّدت الطريق للنساء في هندسة العمارة؟ هل كانت عبقريّة؟ هل كانت خضراء قبل أن يُوجد الخضر؟ وأين هي الآن؟

تحدّثنا في آرت فورم مع عدد من الأشخاص الذين عملوا مع برناديت فوكس عن قرب، وما يلي هو محاولتنا لحلّ لغز حقيقيّ من ألغاز هندسة العمارة.

مثّلت برِنستون في منتصف الثمانينيّات الجبهةَ الأماميّة في المعركة من أجل مستقبلٍ هندسة العمارة. المدرسة الحداثيّة كانت راسخة، وأتباعها مُبجّلون ومؤثرون، بينما واجهت المدرسة ما بعد الحداثيّة التي قادها مايكل غريفس عضو الهيئة التدريسيّة في برنستون تحدّياتٍ صعبة. كان غريفس قد انتهى لتوّه من مبنى الخدمات العامّة في بورتلاند، والذي مثّل بتصميمه الذكيّ وزخارفه ومزجه بين أفكار التيّارات المتنوّعة رفضاً شجاعاً لأسلوب الحداثيّين الصارم المتقشّف الفقير بالعناصر. في تلك الأثناء، اتّحدَ أنصارُ الحركة التفكيكيّة -وهم زمرة أشدّ تمرّداً- معاً، ورفضوا تحت قيادة بيتر إيزنمان بروفيسور برنستون السابق كلّاً من الحركتين الحداثيّة وما بعد الحداثيّة، وفضّلوا التجزّؤ والعشوائيّة الهندسيّة. الرأي السائد كان أنّ على الطلّاب اختيارُ من سينحازون، وأن يخوضوا معارك دامية فيما بينهم.

إيلي سايتو كان في صفّ برناديت فوكس في برنستون.

• إيلي سايتو: موضوع أطروحة تخرّجي كان تصميمَ دارٍ للشاي في مركز

الزوّار في جبل فوجي، تتألّف بشكل أساسيّ من زهرة كرز متفتّحة مقسّمة، مصنوعة من أشرعة ورديّة اللّون. أثناء دفاعي عن التصميم خلال العرض ومناقشته من جميع النواحي، رفعتْ برناديت رأسها عن الحياكة وسألتْ: «أين سيضعون أحذيتهم؟». حدّقنا بها، «ألا يُفترَض أن يخلع الناس أحذيتهم قبل الدخول إلى دار الشاي؟» قالت برناديت، «أين سيضعونها؟».

– انشغال فوكس بالتوافه استقطب انتباه البروفيسور مايكل غريفس، الذي وظّفها كي تعمل في مكتبه في نيويورك.

• إيلي سايتو: برناديت هي الوحيدة التي وظّفها غريفس من بين جميع أفراد الدفعة. كانت صدمة كبرى!

• مايكل غريفس: لا أبحث عن مهندس معماريّ من ذوي الغرور الضخم والأفكار الضخمة! أنا صاحب الغرور الضخم والأفكار الضخمة هنا! أريد شخصاً يتمتّع بالقدرة على تنفيذ أفكاري وحلّ المشكلات التي أرميها له، وما صعقني في برناديت كان تلك المتعة التي تجدها في تنفيذ مهامّ يرى معظم الطلّاب أنّها لا تليق بمستواهم. هندسة العمارة ليست مهنة يختارها المجدّون معدومو الطموح، لذلك عندما تبحث عن شخص توظّفه وترى مهندسة موهوبة، فإنّك تختطفها.

– كانت فوكس أصغر عضو في المجموعة التي تولّت تصميم مبنى فريق ديزني في بوربانك. مهمّتها الأولى كانت من تلك المهمّات الوضيعة التقليديّة، وهي تصميم دورات مياه لجناح المديرين التنفيذيّين.

• مايكل غريفس: دفعت برناديت الجميعَ للجنون! أرادت أن تعرف مقدار الوقت الذي يمضيه المديرون التنفيذيّون في مكاتبهم، كم مرّة يعقدون اجتماعات وفي أيّ وقت من النهار، كم شخصاً سيتواجد في المكان، ونسبة الرجال إلى السيّدات. رفعتُ الهاتف وسألتها ماذا تفعل بحقّ السماوات. شرحت لي: «يجب أن أعرف ما هي المشكلات التي سأحلّها من خلال التصميم الذي سأعدّه»، فقلتُ لها: «مايكل إيزنر يريد أن يتبوّل دون أن يتفرّج عليه الآخرون».

أتمنّى لو أقول إنّني أبقيتها بجانبي لأنّني ميّزتُ موهبتها التي ستبزغ فيما بعد، لكن في الحقيقة، أحببتُ الكنزات! حاكت لي أربع كنزات، وما زلتُ أحتفظ بها كلّها. يحاول أولادي سرقتها، وتريد زوجتي التبرّع بها لجمعية غوذويل، لكنّني لن أتخلّى عن كنزاتي!

– تأجّل مشروع بناء فريق ديزني مراراً بسبب إجراءات التراخيص. في خلال اجتماع لكلّ أفراد الشركة، عرضت برناديت فوكس مخطّطاً عن كيفيّة التلاعب بدائرة البناء، وعلى الفور أرسلها مايكل غريفس إلى لوس أنجلس كي تعمل في الموقع.

• مايكل غريفس: كنتُ الوحيد الحزين لذهابها.

– بعد ستّة أشهر، انتهت مهمّة فريق ديزني. عرض غريفس على فوكس وظيفة أخرى في نيويورك، لكنّ حريّة المشهد المعماريّ في لوس أنجلس أعجبتها أكثر، وعثرت بتوصية من غريفس على وظيفة في شركة ريتشارد ماير التي كانت تعمل في ذلك الوقت على تصميم مركز غيتي. فوكس كانت واحدة من ستّة مهندسين شباب كُلِّفوا بعملية البحث والاستيراد والتحقّق من جودة ستّة عشر ألف طنّ من رخام الترافرتين الإيطاليّ الذي سيُستَخدم لإكساء المتحف.

عام 1988 التقت فوكس إيلجن برانش وهو خبير أنيميشن، تزوّجا في العام التالي، وأرادت فوكس أن تبني منزلاً. جودي تول كانت وكيلتهما العقاريّة.

• جودي تول: كانا زوجين يافعين لطيفين! كلاهما ذكيّ جدّاً وجذّاب. حاولتُ أن أعرض عليهما منزلاً في سانتا مونيكا أو باليسادس، لكنّ برناديت أصرّت على شراء قطعة أرض تبني عليها منزلاً تصمّمه بنفسها، فعرضتُ عليهما مصنعاً مهجوراً في شاطئ ڤينيس، يُباع لقاء قيمة الأرض لا غير.

تأمّلت برناديت المكان وقالت إنّه مثاليّ. ما صدمني هو أنّها كانت تتحدّث عن المبنى بالذات، لا عن الأرض! الشخص الوحيد الذي فوجئ

أكثر منّي هو زوجها، لكنّه يثق بقدراتها. الزوجات هنّ من يتّخذن هذه القرارات بأيّ حال.

– اشترت فوكس وبرانش مصنع بيّبر بايفوكال للنظّارات سابقاً، وبعد ذلك بفترة وجيزة دُعيا إلى حفل عشاء حيث التقيا بأهمّ شخصيّتين في مسيرة فوكس المهنيّة: بول جيلينك وديفيد ووكر. جيلينك كان مهندساً معماريّاً وبروفيسوراً في معهد جنوب كاليفورنيا لهندسة العمارة.

• بول جيلينك: كان ذلك هو اليوم الذي أنهت فيه فوكس وإيلجي صفقة شراء بيبر بايفوكال. حماستها أشعلت الحفلة، قالت إنّ المعمل ما يزال مليئاً بصناديق النظّارات القديمة والآلات التي «تريد أن تصنع منها شيئاً ما». يا لطريقتها في الحديث بجنون وحماس! لم يكن لديّ فكرة آنذاك عن أنّها مهندسة معماريّة مجازة، ولا أنّها مُدَلَّلةُ غريفس.

– ديفيد ووكر كان بنّاءً

• ديفيد ووكر: ونحن نتناول التحلية طلبت منّي برناديت أن أعمل لصالحها، أجبتُ أنّني سأزكّي لها بعض الأشخاص لكنّها قالت: «لا. لقد أعجبْتَني»، من ثمّ طلبت منّي أن آتي يوم السبت مصطحباً بعض العمّال.

• بول جيلينك: عندما قالت برناديت إنّها تتولّى موضوع رخام متحف غيتي، فهمتُ الوضع بدقّة. أحد أصدقائي كان يعمل بالتراڤرتين أيضاً، يجلبون مهندسي العمارة الموهوبين هؤلاء ويختزلونهم إلى ما يشبه المفتّش 44 على خطّ تجميع آليّ. إنّه عمل يدمّر الروح، لذلك كان مصنع بيبر بايفوكال طريقة برناديت بالتواصل مع ما تحبّه في هندسة العمارة، أي بناءُ الأشياء.

– مصنع بيبر بايفوكال عبارة عن مكعّب من البلوك الإسمنتيّ، مساحته ثلاثة آلاف قدم مربّعة، ارتفاع سقفه أحد عشر متراً، جدرانه متوّجة بنوافذ عالية، وسقفه عبارة عن سلسلة من الكوّات الزجاجيّة. تحويل هذه المساحة الصناعيّة إلى منزل استغرق سنتين من حياة فوكس. البنّاء ديفيد ووكر تواجد هناك يوميّاً.

• ديفيد ووكر: من الخارج، يبدو المكان عبارة عن خردة، لكنّ الضوء يغمرك بمجرّد أن تدخله. في ذلك السبت الذي جئتُ فيه مع العمّال بناء على طلب برناديت، لم يكن معها مخطّطات ولا تراخيص وإنّما مكانس ومماسح، وبدأنا جميعاً نكنس الأرض ونمسح النوافذ والكوّات السقفيّة. سألتها إن كان عليّ إحضار حاوية قمامة لكنّها -حرفيّاً- صرخت: «لا!».

أمضت برناديت الأسبوعين التاليين بجمع كلّ ما يوجد داخل المعمل وترتيبه على الأرض، آلاف وآلاف من إطارات النظّارات القديمة وصناديق العدسات ورزم الصناديق الكرتونيّة، إضافة إلى كلّ الآلات التي تستخدم لقطع العدسات وتلميعها.

في الصباح، كانت تصل قبلي وهي تحمل حقيبة ظهر وضعتْ فيها كبب الصوف، كي تتمكّن من الحياكة واقفة، وكانت بالفعل تقف وتحوك لا غير وهي تتأمّل كلّ شيء. ذكّرتني بنفسي عندما كنتُ صبيّاً صغيراً، يرمي مجموعة ليغو على السجّادة، من ثمّ يجلس ويحدّق فيها فحسب، دون أن يكون لديه فكرة عمّا سيبني منها.

يوم الجمعة، أخذت برناديت معها إلى منزلها صندوقاً من إطارات النظّارات المعدنيّة، ثم عادت يوم الاثنين وقد حاكتها جميعاً بوساطة سلك، وحوّلتها إلى نسيج معدنيّ رائع تتخلّله النظّارات. كان قويّاً أيضاً! عهدت برناديت بالعمل إلى الشباب، فحوّلوا آلافاً من إطارات النظّارات القديمة باستخدام القرّاطات والكلّابات إلى شبكات، استخدمتْها برناديت كجدران داخليّة.

كم كان مضحكاً رؤية أولئك الشباب المكسيكيّين العتاة جالسين على الكراسي وهم يحوكون في الشمس، لكنّهم أحبّوا ذلك العمل! يستمعون إلى موسيقا الرانشيرا في الراديو، ويثرثرون كمجموعة سيّدات.

• بول جيلينك: لم يكن لدى برناديت فكرة كبيرة تعمل وفقها، ولذلك تطوّر بيبر بايفوكال بالتدريج. بدأ بحياكة النظّارات معاً، من ثمّ تصنيع سطوح الطاولات من العدسات، وبعدها تصنيع قواعد الطاولات من أجزاء الآلات. تبّاً! كان مشروعاً عظيماً! بدأتُ أجلب تلامذتي عندما أزور برناديت،

وأعطيهم درجات إضافيّة إن تطوّعوا بالمساعدة. كانت هناك كاتالوجات مكدّسة من الأرض إلى السقف في إحدى الغرف الخلفيّة، ألصقتْها برناديت بالصمغ، وحوّلتها إلى مكعّبات صلبة قياسها 4×4 قدم. في إحدى الليالي حين سكرنا جميعاً، أمسكنا منشاراً كهربائيّاً وقصصناها على شكل مقاعد، وهكذا تحوّلت المكعّبات إلى أثاث غرفة الجلوس.

• ديفيد ووكر: سرعان ما توضّح لنا أنّ الهدف هو تجنّبُ الركض إلى متجر الخردوات، والاكتفاءُ باستخدام الموادّ المتوافّرة في المكان فقط. تحوّل ذلك إلى ما يشبه اللعبة، لا أعرف إن كان ممكناً تسميتها بهندسة العمارة، لكنّها ممتعة.

• بول جيلينك: آنذاك، هندسة العمارة كانت تعني التكنولوجيا، الجميعُ ينتقلون من رسم المخطّطات يدويّاً على الألواح إلى استخدام برنامج أوتوكاد، ولم يشغلهم إلّا البيوت مسبقة الصنع، فضلاً عن بناء منازل ماك مانشن بحيث لا يفصل جدرانها عن حدود العقار أكثر من ستّة إنشات. ما قامت به برناديت كان خارجاً تماماً عن التيّار السائد، وبشكل ما أو بآخر، جذور بيبر بايفوكال ترتكز على فنّ الهوبو[1]. إنّه منزل مشغول بدقّة باليد! ستقتلني النسويّاتُ لما سأقوله، لكنّ برناديت فوكس مهندسة معماريّة بالغة الأنوثة! عندما تدخلون بيبر بايفوكال يغمركم الاهتمام والصبر اللذان وُضِعا فيه، وكأنّكم تدخلون حضناً كبيراً.

– خلال عملها النهاريّ في غيتي، كان غضب برناديت يتفاقم بسبب عبثيّة شحن أطنان وأطنان التراڤرتين من إيطاليا، فقط كي يرفضها رؤساؤها بسبب عدم تجانس لا يُذكر.

• بول جيلينك: في أحد الأيّام، أخبرتها أنّ دائرة الشؤون الثقافيّة في المدينة ابتاعتْ للتوّ قطعة أرض خالية بجانب أبراج واتس، وبدأتْ بإجراء المقابلات مع المهندسين المعماريّين من أجل تصميم مركز للزوّار.

1- Hobo art نوع من فنون حفر الخشب، ظهر في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. م

– أمضت فوكس شهراً وهي تصمّم سرّاً نافورةً ومتحفاً ومجموعة من منصّات العرض، مصنوعة من رخام الترافرتين الذي رفضوه في غيتي.

• بول جيلينك: استنبطت برناديت الفكرة من أن أبراج واتس مشادة بالكامل من قمامة الآخرين، فصمّمت منصّات عرض بشكل رخويّات نوتيلوس التي تشبه الأحافيرَ الموجودة في الترافرتين، والأشكالَ المغزليّة في الأبراج.

– عندما عرضت فوكس خطّتها على إدارة غيتي، رفضوها على الفور رفضاً قاطعاً.

• بول جيلينك: في غيتي، كانوا مهتّمين بأمر واحد فقط، ألا وهو الانتهاء من بناء المتحف. لا تلزمهم موظّفة ذات مرتبة دنيا تملي عليهم ماذا يفعلون بموادّهم الفائضة. إضافة إلى ذلك، هل تتخيّلون العلاقات العامّة؟ رخامٌ لا يليق بمستوى غيتي، لكنّه مناسبٌ لساوث سنترال؟ من المستعدّ لتحمّل ذلك الصداع؟

– ريشتارد ماير وشركاؤه لم يتمكّنوا من إيجاد مخطّطات فوكس في أرشيف غيتي.

• بول جيلينك: أنا واثق أنّ برناديت رمتْها. النقطة الأهمّ التي تمخّض عنها الموضوع –كما أدركتُ– هي أنّها عرضتْ وجهة نظر محدّدة، وهي ببساطة عدم هدر أيّ شيء.

– انتقلت فوكس وبرانش إلى منزل بيبر بايفوكال عام 1991، لكنّ فوكس كانت تسعى للحصول على مشروع آخر.

• جودي تول: صرفت برناديت وزوجها جميع مدّخراتهما على مصنع النظّارات ذاك، ولم يكن بمقدورها إنفاق الكثير، لذلك وجدتُ لها قطعة أرض صغيرة في مولهولاند، هوليوود، بالقرب من رَنيون كانيون، فيها جزء مستوٍ، وتطلّ إطلالة رائعة على المدينة. قطعة الأرض المجاورة لها كانت معروضة للبيع أيضاً، ونصحتُهما بشرائها، لكنّهما لم يملكا مالاً كافياً.

– ألزمت برناديت نفسها بناء المنزل، اعتماداً على الموادّ الموجودة في دائرة قطرها عشرون ميلاً فقط، وهذا لا يشمل الذهابَ إلى أحد فروع هوم ديبوت على بعد ميل، وابتياعَ فولاذ مستورد من الصين، كلّ الموادّ يجب أن تكون محليّة الصنع.

• ديڤيد ووكر: سألتني إن كنتُ جاهزاً لقبول التّحدّي، وأجبتها «أجل دون شكّ!».

• بول جيلينك: ارتباط برناديت مع ديڤ كان من أذكى الخطوات التي قامت بها، معظم البنّائين لا يعرفون كيف يعملون دون مخطّطات على عكس ديڤيد. إن وضّح لنا منزل العشرين ميلاً أيّ شيء، فهو عبقريّة برناديت في الحصول على التراخيص.

بما يتعلّق ببرناديت، الجميع يُدَرِّسون عن بيبر والعشرين ميلاً، أمّا أنا فقد علّمتها كيف تحصل على التراخيص. من المستحيل أن تلقوا نظرة على المخطّطاتِ التي قدّمتْها إلى قسم تدقيق مخطّطات البناء دون أن تنفجروا بالضحك. إنّها عبارة عن صفحات وصفحات ممّا يشبه الوثائق الرسميّة، لكنّها لا تحتوي عمليّاً على معلومات. الوضع كان مختلفاً آنذاك، قبل الفورة العمرانيّة وقبل الزلازل، كان بوسعكم الذهاب إلى دائرة البناء والتحدّث مباشرة مع صاحب الكلمة العليا.

– علي فهد كان صاحب الكلمة العليا في دائرة البناء والسلامة في لوس أنجلس.

• علي فهد: بالطبع أنا أتذكّر برناديت فوكس! إنّها ساحرة، ولم تقبل التعامل مع أيّ شخص سواي. جاءت ومعها بطانيّات وقبّعات حاكتْها بيديها للتوءمين اللذين رُزقنا بهما للتوّ أنا وزوجتي آنذاك. كانت تجلس وتتناول الشاي، ثمّ تشرح لي ما الذي تريد تنفيذه في بيتها، وأخبرها أنا كيف تقوم بذلك.

• بول جيلينك: أرأيتم! المرأة فقط هي من تستطيع القيام بأمر مماثل!

- هندسة العمارة كانت دوماً مسرحاً يهيمن عليه الذكور، سيعاني المرء صعوبة بالغة كي يسمّي مهندسة أنثى مشهورة قبل أن تظهر زها حديد عام 2005. تردّد اسم إيلين غراي وجوليا مورغان أحياناً، لكنّ المهندسات المعماريّات عموماً حُجِبنَ خلف ظلّ شركائهنّ الذكور المشهورين: آن تينغ خلف لويس كان، ماريون غريفن خلف فرانك لويد رايت، دينيس سكوت براون خلف روبرت ڤنتوري.

• إيلي سايتو: هذا ما أثار جنوني في برنستون! أن تكوني واحدة من امرأتين في كلّ قسم هندسة العمارة، ومع ذلك تمضين وقتكِ بالحياكة؟! هذا سيءٌ مثل أن تبكي خلال الدفاع عن أطروحتك بالضبط. شعرتُ أنّه من المهمّ بالنسبة لبرناديت كامرأة أن تجابه الرجال وجهاً لوجه، لكنّها لم تكترث مهما ناقشتُها بهذا الصدد.

• ديڤيد ووكر: إن احتجنا إلى لحام قطعة معدنيّة ما، كنتُ أجلب من يقوم بذلك فتشرح له برناديت ماذا تريد، لكنّ الرجل يوجّه جوابه لي. لم تنزعج برناديت أبداً، أرادت أن تنتهي من بناء منزلها حتّى وإن تطلّب ذلك أن يُقلّلوا من احترامها نوعاً ما، لا مشكلة!

• بول جيلينك: ولذلك ديڤ مهمٌّ للغاية،كانت برناديت ستؤكل حيّة لو أنّها مجرّد امرأة تقف في موقع البناء، وتحاول أن تلحم القطع المعدنيّة! ولا تنسوا، كانت في الثلاثين من عمرها. في الواقع، هندسة العمارة هي إحدى المهن القليلة التي يُعدّ فيها كلّ من العمر والخبرة بمثابة رصيد. امرأة شابّة تبني بمفردها منزلاً دون مخطّطات، هذا ما لم يحدث من قبل! أعني، حتّى آين راند[1] وظّفتْ مهندساً ذكراً.

- بدأت فوكس العمل على منزل العشرين ميلاً، بعد أن حصلت على ترخيص لبناء منزل على شكل صندوق من الفولاذ والزجاج مكوّن من

1- Ayn Rand 1905-1982 روائيّة وفيلسوفة روسيّة - أمريكيّة، أسّست تيّار الفلسفة الموضوعيّة التي ترفض القيود المفروضة على النساء، وتعد العمل فضيلة بالنسبة للنساء مثلما هو للرجال. م

ثلاث غرف نوم، مساحته أربعة آلاف قدم مربّعة، ويُلْحَق به بشكل مستقلّ كراج وقسم للضيوف. زوّدها معمل إسمنت في غارْدِنا بالرمل الذي كانت تمزجه في الموقع، أمّا بالنسبة للفولاذ فقد اتّصل بها مكبّ إعادة تدوير في غليندايل، وأبلغها عن عوارض فولاذيّة وصلته للتوّ (الموادّ من المكبّات اعتُبِرَتْ مقبولة، حتّى لو كان مصدرها الأصليّ خارج قطر العشرين ميلاً). في آخر الشارع كان هناك منزل قيد الهدم شكّلتْ أنقاضه مصدراً رائعاً للموادّ، وزوّدها مقلّمو الأشجار بالخشب لصناعة الخزائن والأرضيّات والأثاث.

• إيلي سايتو: مررتُ بلوس أنجلس في طريقي إلى بالم سبرينغز للقاء مجموعة من مطوّري المنازل مسبقة الصنع، وعرّجتُ على منزل العشرين ميلاً. برناديت كانت في قمّة السعادة، ترتدي أفرولاً وحزاماً للأدوات، وهي تتحدّث بإسبانيّة مكسّرة مع بعض العمّال. حماسها كان معدياً! شمّرتُ كمّي بدلة إيسي مياك[1]،وساعدتُ بحفر خندق.

– ذات يوم، توقّفت قافلة شاحنات في قطعة الأرض المجاورة. اشترى العقار قطبُ التلفاز البريطانيّ نايجل ميلز موراي المشهور بعرض الألعاب «التقطه، خذه» الذي حقّق نجاحاً ساحقاً، ووظّف مهندس عمارة بريطانيّاً كي يصمّم له منزلاً على الطراز التيودوريّ، مساحته أربعة عشر ألف قدم مربّعة من الرخام الأبيض، لقّبته برناديت بالقلعة البيضاء.

كانت العلاقة بين الجارين وديّة في البداية، أحياناً تذهب فوكس إلى القلعة البيضاء وتستعير كهربائيّاً لمدّة ساعة. مرّة كان المفتّش على وشك أن يلغي رخصة تسوية التربة[2] الخاصّة بالقلعة البيضاء،لكنّ برناديت أقنعته بتغيير رأيه.

• ديڤيد ووكر: بناء القلعة البيضاء كان أشبه بفيلم يُعرَض بالحركة السريعة، مئات العمّال يأتون إلى الموقع ويعملون حرفيّاً على مدار الساعة،

1– Issey Miake مصمّم أزياء يابانيّ. م

2– رخصة يجب الحصول عليها في عدّة ولايات أمريكيّة من أجل تغيير مستوى التربة في العقار، سواء كان بالحفر أوالترحيل أو إضافة التربة. م

مقتسمين إلى ثلاث فرق بمعدّل ثماني ساعات لكلّ منها يومياً. يقال إنّه خلال تصوير فيلم أبوكاليبس ناو، علّق فرانسيس فورد كوبولا لافتةً على مقطورته كتب عليها: «سريع، رخيص، جيّد: خذ اثنين!» وهكذا الأمر بالنسبة للمنازل. أنا وبرناديت كنّا بالتأكيد نختار «الرخيص» و«الجيّد»، أمّا في القلعة البيضاء فيختارون «السريع» و«السريع».

– أصبحت القلعة البيضاء جاهزة للسكن قبل أن تنتهي فوكس وديڤيد ووكر من جدران منزل العشرين ميلاً.

• ديڤيد ووكر: بدأ رجلُ «التقطه، خذه» بالقدوم كي يتجوّل في القلعة البيضاء بصحبة مصمّم الديكور. في أحد الأيّام قرّر أنّ جميع الإكسسوارات النحاسيّة لا تعجبه، ولذلك جعلهم يبدّلون جميع المقابض وأكرات الأبواب ومفصلاتها وقطع الحمّامات... بالنسبة لنا كان ذلك أشبه بكريسماس مبكّر! في اليوم التالي، عندما جاء الرجل الإنجليزيّ بسيّارة رولز رويس، وجد برناديت حرفيّاً في حاوية القمامة الخاصّة بالقلعة البيضاء.

– لم يستجب نايجل ميلز موراي لطلباتنا العديدة بإجراء مقابلة معه، لكنّ مدير أعماله وافق.

• جون إل. ساير: من سيعجبه أن يعود إلى منزله، ويجد أحد الجيران ينقّب في قمامته؟ لا أحد. ما كان موكّلي سيمانع التفاوض على سعر عادل لقاء الخردة، لكنّ تلك المرأة لم تطلب منه. لقد دخلت إلى أملاكه وسرقته. وفق معلوماتي، تصرّفها غير قانونيّ.

– خلال عشيّة وضحاها، سيّج ميلز موراي منزله بسياج شائك ووضع حراسة طوال 24 ساعة أمام مدخل معبر السيّارات، لأنّ القلعة البيضاء ومنزل العشرين ميلاً يشتركان بممرّ للسيّارات. تقنيّاً، كان ذلك تسهيلاً أعطي للقلعة البيضاء بالانتفاع من أرض منزل العشرين ميلاً، وهو ما سيلعب دوراً مهمّاً في السنة التالية.

أصبحت فوكس مهووسة بالاستيلاء على الخردة النحاسيّة. عندما تصل شاحنة إلى القلعة البيضاء كي تفرّغ حاوية القمامة، تقفز فوكس إلى سيّارتها، وتطارد الشاحنة إلى إشارة المرور، وهناك تنقذ خردة ميلز موراي المعدنيّة لقاء مئة دولار تعطيها للسائق.

• ديفيد ووكر: كانت القطع النحاسيّة سوقيّة برأيها، ولا تليق باستخدامها داخل المنزل، لذلك قرّرت أن تلحمها مع الأسلاك كما في الأيّام الخوالي، وحوّلتها إلى بوّابة أماميّة.

– استدعى ميلز موراي الشرطة، لكنّه لم يوجّه اتّهاماً رسميّاً، وفي اليوم التالي اختفت البوّابة. كانت فوكس متأكّدة أنّ ميلز موراي سرقها لكن لا دليل لديها. مع اقتراب عملها من غيتي من نهايته، استقالت وكرّست كلّ طاقتها للعمل في منزل العشرين ميلاً.

• بول جيلينك: دون أي شكّ، لاحظتُ طاقة مختلفة عندما استقالتْ. كنتُ آتي مع طلّابي، وكلّ ما تتحدّث عنه برناديت كان القلعة البيضاء وكم أنّها قبيحة وكم من المال يهدرون فيها. ذلك صحيح، لكن لا علاقة له بهندسة العمارة.

–انتهى بناء القلعة البيضاء أخيراً، وكانت اللمسة الختاميّة ما قيمته مليون دولار من أشجار نخيل كاليفورنيا المروحيّ، غُرِسَت على طول معبر السيّارات المشترك، بعد أن أنزلتْها هليكوبتر واحدة واحدة في مكانها. استشاطت فوكس غضباً، لأنّ مدخل بيتها أصبح أشبه بفندق ريتز– كارلتون وقدّمت شكوى، عندها أرسل ميلز موراي عقدَ ملكيّة العقار الذي ينصّ بوضوح على حقّه بالانتفاع من أملاك فوكس في «الدخول والخروج»، و«تجميل المشهد الطبيعيّ وأعمال الصيانة».

• ديفيد ووكر: اليوم بعد عشرين عاماً، ما زلتُ أصاب بالغثيان في كلّ مرّة أسمع فيها «انتفاع» و«دخول وخروج». لم تتوقّف برناديت عن التذمّر من الموضوع، لذلك صرتُ أجلب الووكمان كي لا أضطرّ إلى سماعها.

– قرّر ميلز موراي أن يعمّد منزله الجديد بحفلة فخمة بعد توزيع

جوائز الأوسكار، فجلب المغنّي برنس كي يقدّم عرضاً في الحديقة،كما وظّف أناساً يركنون سيّارات الضيوف، لأنّ نقص مواقف السيّارات هو مشكلة دائمة في مولهولاندرايف. قبل يوم من الحفلة، تنصّتت فوكس على مساعِدة ميلز موراي ورئيسِ فريق ركن السيّارات وهما يتجوّلان في الممرّ، ويحاولان إيجاد طريقة لركن مئة سيّارة، من ثمّ أبلغتْ أكثر من عشر شركات متخصّصة بقطْر السيّارات، أنّ مئات المركبات سوف تُركَن بشكل غير قانونيّ في ممرّ بيتها.

خلال الحفلة، عندما تسلّل موظّفو الركْن إلى الحديقة كي يشاهدوا برنس وهو يغنّي Let's go crazy، أشارت فوكس إلى رافعتين بالتسلّل دون صوت، وبلمح البصر قُطِرتْ عشرون سيّارة من سيّارات الضيوف. عندما واجهها ميلز موراي الغاضب، سحبتْ عقد الملكيّة بهدوء، وأرته أنّه ينصّ على حقّ الانتفاع من الممرّ المشترك بـ «الدخول والخروج» لا لركْن السيّارات.

• بول جيلينك: آنذاك، إيلجي وبرناديت كانا يعيشان في بيبر بايفوكال، ويخطّطان للانتقال إلى منزل العشرين ميلاً وإنجاب أطفال، لكنّ استياء إيلجي تفاقم من تأثير الخلاف مع الجيران على برناديت، من المستحيل أن ينتقل إلى ذلك المنزل! قلتُ له أن ينتظر، فربّما تتغيّر الأمور.

– في صبيحة أحد الأيّام في نيسان 1992، تلقّت فوكس اتّصالاً هاتفيّاً. «هل أنتِ برناديت فوكس؟» سألها المتصّلُ، «هل أنتِ وحدكِ؟» وأبلغها أنّها فازت بمنحة ماك آرثر «للعبقريّة» وهي المرّة الأولى التي تُمنَح فيها لمهندس معماريّ. الجائزة البالغة خمسمئة ألف دولار تُمنَح إلى «الأفراد الموهوبين الذين أظهروا أصالة غير عاديّة، وتفانياً في مسيرتهم الإبداعيّة، ومقدرةً ملحوظة على التوجّه الذاتيّ».

• بول جيلينك: أحد أصدقائي في شيكاغو كان يعمل مع مؤسّسة ماك آرثر –لا أعرف كيف، الموضوع كلّه غامض جدّاً– وسألني عن أكثر الأمور إثارة التي تدور في عالم هندسة العمارة آنذاك. أخبرته الحقيقة: منزلُ برناديت فوكس! من كان يعرف من هي أصلاً بحقّ الجحيم؟ هل

هي مهندسة معماريّة، أم فنّانة تغرّد خارج السرب، أم سيّدة تحبّ العمل اليدويّ، أم نبّاشة قمامة مُبَجّلة؟ كلّ ما أعرفه هو أنّ منزلها يمدّك بشعور طيّب عندما تدخله. كان عام 1992 ونحن نسمع بالعمارة الخضراء، لكنّ هذا حصل بالطبع قبل وجود «نظام الريادة في تصاميم الطاقة والبيئة LEED» وقبل وجود مجلس البناء الأخضر، وقبل عقد من الزمن على إطلاق دويل Dwell[1]. لا ريب أنّ العمارة البيئيّة كانت موجودة طوال عقود، لكنّ الجمال لم يكن من أولويّاتها.

حضر صديقي ذاك من شيكاغو بصحبة مجموعة كبيرة. لا بدّ أنّهم توقّعوا رؤية يورت[2] قبيح مصنوع من لوحات السيّارات والإطارات، لكنّهم أخذوا يضحكون عندما دخلوا منزل العشرين ميلاً، كان رائعاً إلى تلك الدرجة! صندوق زجاجيّ برّاق خطوطه واضحة، لا يحتوي إنشاً من الجبس أو الطلاء، أرضيّاته إسمنتيّة، جدرانه وسقوفه من الخشب، الكاونترات مكشوفة مدمجةٌ مع شظايا زجاجيّة بهدف إعطاء شفوفيّة، ويوحي بالخفّة في الداخل أكثر من الخارج، على الرغم من كلّ تلك الموادّ الدافئة.

يومها كانت برناديت تقوم ببناء الكراج، وهي تصبّ الإسمنت في قوالب، وتشيد الجدران المائلة. خلع رجال ماك آرثر جاكيتات بدلاتهم، وشمّروا أكمام قمصانهم، ومدّوا لها يد المساعدة. عرفتُ في تلك اللحظة أنّها ربحتِ الجائزة.

– الحصول على ذلك الامتياز أتاح لفوكس التخلّي عن منزل العشرين ميلاً وعرضه للبيع.

• جودي تول: قالت لي برناديت إنّها تريد عرض المنزل للبيع، والبحث عن قطعة أرض أخرى ذات مدخل مستقلّ. التقطتُ بعض الصور، وقلتُ لها إنّني سأخمّن قيمة العقار، فوجود منزل نايجل ميلز موراي إلى جوارها

1- ماركة للتصميم والتكنولوجيا انطلقت مع مجلّة خاصّة بها عام 2000.

2- Yurt خيمة تقليديّة دائريّة الشكل، تستعملها شعوب آسيا الرحّالة، مصنوعة من جلود الحيوانات والخشب. م

سيرفع السعر. عندما عدتُ إلى مكتبي، وجدتُ على المجيب الآليّ رسالة من مدير أعمال سبق وأن تعاملتُ معه عدّة مرّات، سمع أنّ المنزل معروض للبيع. قلتُ له إنّ المنزل لن يباع قبل شهرين، لكنّه كان من المتحمّسين لهندسة العمارة، وأراد أن يشتري المنزل الذي فاز بـ «جائزة العبقريّة» تلك.

احتفلنا بالمناسبة بتناول الغداء أنا وبرناديت وزوجها الحبيب في سباغو. لو رأيتموهما! كان فخوراً بها أشدّ الفخر لأنّها ربحت جائزة، وباعت المنزل لقاء صفقة ضخمة. ومن الزوج الذي لن يشعر بالفخر في تلك الحالة؟! أخرج من جيبه علبة صغيرة ونحن نتناول التحلية، قدّمها لبرناديت. في داخلها قلادة فضيّة تحمل صورة مصفرّة لفتاة تبدو مضطربة وقاسية.

«إنّها القدّيسة برناديت» قال إيلجي، «سيّدة اللوردس. أتتها الرؤى، ثماني عشرة بالمجمل. أتتِ كان وحيكِ الأوّل عن بيبر بايفوكال، والثاني عن منزل العشرين ميلاً. أتمنّى لكِ ستّة عشر إلهاماً آخر».

بدأت برناديت بالبكاء، بدأتُ أنا بالبكاء، بدأ إيلجي بالبكاء، وكنّا ثلاثتنا غارقين في بركة من الدموع عندما جاءنا النادل بالفاتورة.

قرّرا أثناء الغداء أنّهما سيسافران إلى أوروبا. أرادا أن يزورا اللوردس، موطنَ القدّيسة برناديت. كم كان ذلك لطيفاً! العالم بأسره أمامهما! يتوجّب على برناديت التقاط صور للمنزل كي تحفظها في ملفّ إنجازاتها العمرانيّة، لكنّ الحديقة ستزدهر أكثر لو انتظرت شهراً، بالتالي قرّرتْ أن تلتقط الصور بعد عودتها من أوروبا. اتّصلتُ بالشاري، وسألته إن كان ذلك ممكناً، فأجابني أجل بالطبع.

• بول جيلينك: يعتقد جميعهم أنّني كنتُ مقرّباً للغاية من برناديت، لكن في الحقيقة لم نتبادل الحديث كثيراً لتلك الدرجة. الفصل كان خريفاً، ولديّ زمرة جديدة من الطلبة أردتُ أن أريهم منزل العشرين ميلاً. أعرف أنّ برناديت في أوروبا، مع ذلك فعلتُ ما أفعله دائماً: تركتُ رسالة مفادها أنّني سأمرّ بالمنزل مع صفّي،فالمفتاح معي.

عندما انعطفتُ إلى مولهولاند، رأيتُ بوّابة برناديت مفتوحة، وهو الأمر الغريب الأوّل! تابعتُ القيادة ومن ثمّ نزلتُ من السيّارة. استغرقتُ

ثانية لأستوعب ما أراه: هناك بلدوزر يدمّر المنزل! ثلاثة بلدوزرات في الواقع، تهدم الجدران، وتهشّم الزجاج، وتدمّر العوارض، وتسحق الأثاث والأضواء والنوافذ والخزائن! الضجّة مرعبة ممّا جعل المشهد محيّراً أكثر، لم تكن لديّ فكرة عمّا يحصل، لم أعرف أن برناديت باعت المنزل أصلاً! ركضتُ صوب أحد البلدوزرات، وجررتُ السائق عملياً من كابينة القيادة. «ماذا تفعلون بحقّ الجحيم؟!» صرختُ فيه، لكنّه لم يكن يتكلّم الإنجليزيّة.

لم تكن الهواتف الخليويّة موجودة في ذلك الزمن، لذلك جعلتُ طلّابي يشكّلون سلسلة بشريّة أمام البلدوزرات، وقدتُ سيّارتي بأقصى سرعة إلى بوليفارد هوليود، حيث يوجد أقرب هاتف مدفوع. اتّصلتُ ببرناديت فردّ مجيبها الآليّ. «تبّاً! ماذا تفعلين؟!» صرختُ، «لا أصدّق أنّكِ لم تخبريني! لا يمكنكِ أن تهربي إلى أوروبا، وتدمّري منزلكِ فحسب!»

- لم يكن جيلينك متواجداً في مكتبه عندما تركت برناديت الرسالة التالية على مجيبه الآليّ بعد أسبوعين، والتي ما زال يحتفظ بها. أسمَعَنا إيّاها: «بول» قال صوت نسائيّ، «ما الذي يجري؟ ما الذي تتحدّث عنه؟ نحن عائدان. اتّصل بي»، ومن ثمّ هاتفت فوكس وكيلتها العقاريّة.

• جودي تول: سألتْني إن كانت هناك مشكلة في المنزل، أجبتها أنّني لا أعرف لأن نايجل كان قد قام بشيء ما، فسألتْني «من؟» قلتُ «نايجل»، لكنّها كرّرت السؤال «من؟!» وكانت تزعق هذه المرّة. «الرجل الذي اشترى منزلكِ، جارك نايجل، صاحب البرنامج التلفزيونيّ ذاك حيث يرمون أغراضاً غالية من أعلى السلّم، وإن التقطتْها تصبح لكِ. إنّه بريطانيّ»أجبتها، «انتظري لحظة!» قالت برناديت، «صديقك جون سايرهو من اشترى منزلي» وعندها أدركتُ: بالطبع، برناديت لا تعرف! عندما كانت في أوروبا جعلني مدير الأعمال أنقل ملكيّة العقار إلى نايجل ميلز موراي، لم أكن أعرف أنّ مدير الأعمال اشترى العقار أصلاً من أجل موكّله. هذا يحدث دائماً، يشتري المشاهير البيوت باسم مديري أعمالهم، ومن ثمّ ينقلون الملكيّة إليهم، حفاظاً على خصوصيّتهم كما تعلمون.

«نايجل كان الشاري الفعليّ منذ البداية»، قلتُ لها.

صمتتْ، ثمّ أغلقت الخطّ.

– منزل العشرين ميلاً الذي تطلّب ثلاث سنوات لبنائه، دُمِّر في يوم واحد. صوره الوحيدة الباقية هي تلك التي التقطتها الوكيلة العقاريّة جودي تول بكاميرتها البسيطة، ومخطّطاته الوحيدة الباقية هي تلك المضحكة غير المكتملة التي قدّمتها فوكس لدائرة البناء.

• بول جيلينك: أعرف أنّ جميعهم يعتبرونها الضحيّة في كلّ ما حصل، لكنّ تدمير منزل العشرين ميلاً كان غلطة برناديت وحدها.

– خيّم الحزن على أوساط هندسة العمارة عندما انتشر خبر تدمير المنزل.

• بول جيلينك: اختفت برناديت دون عذر مقبول. جعلتُ ألف مهندس معماريّ يوقّعون عريضة أرسلناها للصحافة، وكتب نيكولاي أوروسوف افتتاحيّة جميلة. بعدها، اتّخذت لجنة المعالم العمرانيّة إجراءات صارمة للحفاظ على العمارة الحديثة، ممّا يعني أنّ شيئاً حسناً تمخّض عن هدم المنزل في نهاية المطاف.

حاولتُ الاتّصال ببرناديت، لكنّها باعت بيبر بايفوكال وغادرت المدينة هي وإيلجي. لا أستطيع تخيّل ذلك! لا أستطيع! مجرّد التفكير به يصيبني بالغثيان. ما زلتُ أقود سيّارتي أحياناً وأمرّ بموقع البيت، لا شيء هناك.

– لم تبنِ برناديت فوكس أيّ منزل آخر. انتقلت إلى سياتل مع زوجها الذي حصل على وظيفة في مايكروسوفت، وعندما كرّمها المعهد الأمريكيّ لهندسة العمارة بمنحها صفة الزمالة، لم تحضر الاحتفال.

• بول جيلينك: أجد نفسي في موقع غريب بما يتعلّق ببرناديت. جميعهم ينظرون إليّ لأنّني كنتُ هناك، ولم أسمح لها بإقصائي. برناديت بَنَتْ منزلين لا غير، وكلاهما لاستعمالها الشخصيّ. كلاهما عظيمان وهو ما لا أنكره، ما أقوله هو أنّ بناء منزل دون زبون، دون ميزانيّة، دون قيود زمنيّة هو أمر مختلف! ماذا لو طُلِب منها تصميم مبنى شركة أو منزل لشخص آخر؟ لا أعتقد أنّها تتحلّى بالشخصيّة اللّازمة لذلك، وهي لا تتأقلم مع معظم الناس.

أيّ نوع من مهندسي العمارة يجعلك ذلك؟! صار بإمكان أيّ شخص أن يعتبرها أيقونة فقط لأنّها أنتجت القليل: القديسة برناديت! المرأة الشابّة في عالم الرجال! المهندسة التي انتهجت أسلوباً أخضر قبل أن يكون هناك خضر! صانعة أثاث ماهرة! نحّاتة! انتقدتْ غيتي علناً بسبب أسلوبهم في الهدر! أنشأتْ حركة قم -بذلك- بنفسك!... يمكنك أن تقول ما تشاء، ما الدليل على العكس؟ الانسحاب في ذلك التوقيت كان أفضل ما يمكنها القيام به للحفاظ على سمعتها. يقول الناس إنّ قيام نايجل ميلز موراي بتدمير منزل العشرين ميلاً دفع برناديت للجنون، أعتقد، أجل، الجنون، كجنون ثعلب[1]!

- البحث في الإنترنت لا يقدّم دليلاً عمّا تقوم به فوكس هذه الأيّام. قبل خمس سنوات، وجدنا بروشوراً لمزاد أقامته مدرسة غايلر ستريت، وهي مدرسة خاصّة في سياتل، ورد فيه العرض التالي: «بيتُ شجرة تقليديّ: والدة الطالبة في الصفّ الثالث برناديت فوكس ستقوم بتصميم منزل شجرة لأولادكم، وستؤمّن جميع اللوازم وتبنيه بيديها». تواصلنا مع مديرة المدرسة حول هذا العرض فكتبتْ لنا ما يلي: «وفق سجّلاتنا، لم يتلقّ العرضُ أيّ طلب ولم يُبَع».

***

الاثنين، 13 كانون الأوّل
من ماما إلى بول جيلينك،

بول،

تحيّاتي من سياتل المشمسة، حيث تُدعى النساء بـ«الصبايا» والناسُ بـ«القوم» والقليلُ بـ«النتفة» والعشّاق بـ«الشركاء». حيث تصبح «البليد» إن كنتَ مُتعَباً، ويصبح الشيء «غيرَ موثوق» إن كان فيه خلل بسيط، حيث لا يمكنك الجلوس بوضعيّة القرفصاء الهنديّة بل «متصالب الساقين»، وحيث

1- تلعب المؤلّفة على اسم فوكس (الثعلب Fox). في اللغة الإنجليزيّة، تعبير «مجنون كثعلب» يعني أنّ تصرفات الشخص قد تبدو جنونيّة أو لا منطقيّة، لكنّها تخفي دهاءً ومخطّطاً أكبر. م

لا تدعى الشمس أبداً بالشمس عندما تشرق بل بـ «أشعة الشمس»، حيث لا يشتم أحدٌ لكنّه قد يرمي أحياناً «قنبلة خـ...»، حيث من المسموح لك أن تسعل فقط بشرط أن تغطّي فمك بمرفقك، وأيّ طلب تطلبه سواء كان منطقياً أم لا يُقابَل بـ «لا تقلق».

هل أخبرتكَ كم أكره هذه المدينة؟

لكنّها عاصمة التكنولوجيا في العالَم، ولدينا هذا الشيء الذي يسمّونه «إنترنت» والذي يتيح لنا أن نقوم بفعلٍ هو «البحث في غوغل». لذلك إن التقينا صدفة بشخص ما عند المكتبة العموميّة، وبدأ يتحدّث عن مسابقة عمارة في لوس أنجلس مستوحاةٍ لِنَقُل، منّا نحن، يمكننا أن نكتب هذه المعلومة في «البحث في غوغل» سابق الذكر ونعرف المزيد.

بول، يا لئيم! بصماتُك موجودة على كلّ جزء من مشروع إحياء منزل العشرين ميلاً ذاك، لماذا تحبّني كثيراً؟ لم أفهم أبداً ما الذي تراه فيّ، يا أجدب!

أفترض أنّني يجب أن أشعر بالفخر أو بالغضب، لكنّ شعوري هنا هو nonplussed على الأصحّ (فتّشتُ عن معناها للتوّ في القاموس، وهل تعرف ما الطريف؟ التعريف الأوّل لها هو «متفاجئ للغاية ومُحرَج لدرجة أنّه لا يعرف كيف يتصرّف»، والتعريف الثاني هو «لم يتأثّر على الإطلاق». لا عجب أنّني لم أعرف يوماً كيف أستخدم هذه الكلمة! في حالتنا الآن، أعتقد أنّني أستخدمها بالمعنى الثاني).

بول جيلينك، اللعنة! كيف حالك؟ هل أنت غاضب منّي؟ مشتاق لي، لأنّ الحياة ليست نفسها من دوني؟ nonplussed سواء بمعناها الأوّل أو الثاني؟

أعتقد أنّني أدين لكَ باتّصال هاتفيّ.

أنت تتساءل على الأغلب ماذا كنتُ أفعل خلال العشرين عاماً الماضية. كنتُ أحلّ الصراع بين الفضاءين العامّ والخاصّ في مسكن لعائلة وحيدة.

أنا أمزح! كنتُ أطلب الخراء عبر الإنترنت!

لا بدّ أنّك استنتجتَ الآن أنّنا انتقلنا إلى سياتل. حصل إيلجي على وظيفة في مايكروسوفت أو MS كما يقول الموظّفون فيها. لن تجد أبداً شركة تسعد بالاختصارات مثل مايكروسوفت.

لم أخطّط لأن أهرم هنا في هذا المكان المملّ، في الزاوية العلويّة اليسرى للولايات المتّحدة الأمريكيّة. كلّ ما أردته كان أن أغادر لوس أنجلس مستاءة، أن ألعق غروري المجروح جرحاً لا يستهان به، وعندما أجد أنّ الجميع يشعرون بالأسف الشديد لما حصل لي، أكشف عن نفسي، وأعود كي أطلق مشروعي الثاني، وأُري هؤلاء الأوغاد من هي إلهة هندسة العمارة الحقيرة الحقيقيّة.

ولكنّ إيلجي أحبّ المكان هنا. من كان يعلم أنّ في داخل إيلجن شخصيّة أخرى تحبّ ركوب الدرّاجات وقيادة السوبارو وانتعال أحذية من ماركة كين، وأنّها كانت بانتظار أن تتفتّح؟ ولقد تفتّحت بالفعل في مايكروسوفت، تلك اليوتوبيا الرائعة للأشخاص العباقرة. لحظة، هل قلتُ إنّ مايكروسوفت رائعة ويوتوبيّة؟! أردتُ أن أقول شرّيرة ومشؤومة.

هناك غرف اجتماعات في كلّ مكان، عددها أكبر من عدد المكاتب، والمكاتب صغيرة للغاية. أوّل مرّة رأيتُ مكتب إيلجن شهقتُ! إنّه بالكاد أكبر من طاولته. إيلجي الآن واحد من أكبر الموظّفين هناك، ومع ذلك ما يزال مكتبه صغيراً، بالكاد يتّسع لأريكة يستلقي عليها إن أراد أخذ غفوة، لذلك سألتُه: «أيّ نوع من المكاتب هذا؟!» أمرغريب آخر: لا وجود للمساعدين. إيلجي يقود فريقاً من مئتين وخمسين شخصاً، وكلّهم يستعينون بمساعد واحد أو «إداريّ» كما يسمّونه. في لوس أنجلس، أيّ شخص بنصف أهميّة إيلجي سيكون لديه مساعدان اثنان، ومساعدون لمساعدي المساعدين، وهكذا حتّى ينتهي الأمر بتوظيف كلّ الأبناء والبنات الأذكياء لجميع القاطنين غرب طريق 405 السريع... لكن ليس في مايكروسوفت، إنّهم يقومون بكلّ شيء بأنفسهم اعتماداً على أنظمة مُشفَّرة خاصّة.

حسناً حسناً، اهدأ، سأخبرك بالمزيد عن غرف الاجتماعات. الخرائط معلّقة على كلّ الجدران وهو أمر طبيعيّ، أليس كذلك، أن تعلّق أيّة شركة خريطة على الجدار، تبيّن الأماكن التي تعمل فيها أو طرق توزيع منتجاتها؟ حسناً، الخرائط المعلّقة على جدران مايكروسوفت هي خرائط العالم، وإن ظلّت الشكوك تراودك عن الأراضي التي تمثّلها، ستجد مكتوباً تحتها

«العالَم». عندما أدركتُ أنّ هدف مايكروسوفت هو السيطرة على العالَم، كنتُ أتناول الغداء مع إيلجي في ريدموند.

«ما هي مهمّة مايكروسوفت بأيّ حال؟» سألتُ وأنا أبتلع قطعة من كعكة عيد ميلاد كوستكو[1]. إنّه يوم كوستكو في الشركة، وكانوا يسجّلون الأسماء للحصول على بطاقة عضويّة تخوّل صاحبها التسوّق بأسعار مخفّضة، وذلك بإغراء الناس بكعكات رقيقة يوزّعونها مجّاناً.

لا عجب أنّني أتشوّش أحياناً وأظنّ المكان يوتوبيا رائعة!

«لزمن طويل» أجاب إيلجي الذي لم يأكل من الكعكة لأنّه صاحب مبدأ، «كانت مهمّتنا هي إدخال كمبيوتر شخصيّ إلى كلّ بيت في العالم، لكنّنا حقّقنا ذلك فعليّاً منذ سنوات».

«إذن، ما هي رسالتكم الآن؟» سألتُ.

«إنّها...» ونظر إليّ بحذر، «حسناً» قال وهو يتلفّت حوله، «لن نتحدّث عن ذلك».

أرأيتَ؟ أيّة محادثة مع أيّ شخص في مايكروسوفت تنتهي بواحدة من طريقتين، وتلك كانت أولاهما: الشكّ والارتياب! إنّهم يخافون حتّى من زوجاتهم! فكما يقولون، مايكروسوفت مبنيّة على الأفكار، والأفكار يمكن أن تهرب من الباب.

أمّا الطريقة الثانية التي تنتهي بها أيّ محادثة مع موظّف في MS (MS! يا إلهي... لقد جعلوني مِثْلَهم!): دعنا نقل إنّني في المنتزه مع ابنتي، وأنا أدفع أرجوحتها، وعيناي غائمتان، وخلف أرجوحة أخرى هناك بابا «نشاطاتيّ» (الآباء جميعهم هنا من طراز واحد وهو: النشاطات خارج المنزل). لمح معي حقيبة مستلزمات الأطفال التي تحمل شعار مايكروسوفت، وهي ليست حقيبة مستلزمات على الإطلاق، وإنّما واحدة من «هدايا المُهمّات» التي لا تُحصى والتي يجلبها إيلجي إلى البيت.

1- Costco Company شركة أمريكيّة تدير سلسلة متاجر يمكن للأعضاء فيها فقط أن يشتروا كمّيات كبيرة من البضائع بسعر رخيص للغاية. م

بابا النشاطاتيّ: هل تعملين في مايكروسوفت؟

أنا: أوه لا، زوجي يعمل هناك.

وبما أنّني أعرف ماذا سيكون سؤاله التالي أضفتُ: في الروبوتات.

بابا النشاطاتيّ: أنا أعمل في مايكروسوفت أيضاً.

أنا (أتصنّع الاهتمام، ففي الواقع، الأمر لا يهمنّي إطلاقاً، لكن واو! هناك شخصٌ يرغب بتبادل الحديث؟!): أوه! في أيّ قسم؟

بابا النشاطاتيّ: أعمل في مسنجر.

أنا: وما هو مسنجر؟

بابا النشاطاتيّ: هل تعرفين ويندوز لايف؟

أنا: امممم...

بابا النشاطاتيّ: هل تعرفين صفحة MSN الرئيسة؟

أنا: نوعاً ما.

بابا النشاطاتيّ (وقد بدأ يفقد صبره): عندما تشغّلين كومبيوترك، ماذا يظهر أوّلاً؟

أنا: نيويورك تايمز.

بابا النشاطاتيّ: حسناً، تظهر صفحة ويندوز الرئيسة عادة.

أنا: تقصد ذلك الشيء المبرمج مسبقاً عندما تشتري كمبيوتراً شخصيّاً؟ أنا آسفة، لديّ ماك.

بابا النشاطاتيّ (وقد اتّخذ موقفاً دفاعيّاً لأنّ الجميع هنا يتوقون لاقتناء آي فون، لكنّ الشائعات تقول إنّ بالمر[1] سيطردك لو رأى الآي فون في يدك. لا دليل على صحّة تلك الشائعة، لكن لا دليل على العكس أيضاً): أنا أتحدث عن ويندوز لايف، إنّها الصفحة الأولى من حيث عدد الزوّار في العالم.

أنا: أصدّقك.

بابا النشاطاتيّ: ما هو محرّك البحث الذي تستعملينه؟

1- Steve Ballmer رجل أعمال أمريكيّ، شغل منصب الرئيس التنفيذيّ لمايكروسوفت من عام 2000 وحتّى 2014. م

أنا: غوغل.

بابا النشاطاتيّ: بينغ أفضل.

أنا: لم يقل أحد إنّه ليس كذلك.

بابا النشاطاتيّ: لو تصفّحتِ مرّة هوت ميل، ويندوز لايف، بينغ، أو MSN سترين زرّاً صغيراً أعلى الصفحة هو «مسنجر»، ذاك هو فريقي.

أنا: رائع! وماذا تفعل في مسنجر؟

بابا النشاطاتيّ: يعمل فريقي على المستخدِم النهائيّ، سي شارب إنترفيس من أجل HTML5...ومن ثمّ ينقطع الحوار. أيّة محادثة ستصل إلى تلك النقطة، عندما لا تجد في العالم كلّه شخصاً يتحلّى بالذكاء لتبسيط ما يتكلّم عنه.

اتضح لي أنّ إيلجي كان طوال الوقت في لوس أنجلس مجرّد شابّ يرتدي جوربين، ويبحث عن ردهة مفروشة بالسجّاد مضاءة بالفلورسنت كي يهيم فيها في ساعات الليل. أمّا في مايكروسوفت فقد عثر على موطنه المثاليّ، وبدا كأنّه رجع إلى أيّام الدراسة في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا حين كان يسهر طوال الليل كي يدرس، ويصوّب أقلام الرصاص على بلاطات السقف،ويلعب لعبة «غزاة الفضاء» الكلاسيكيّة مع مبرمجين فاشلين يتحدّثون بلكنة أجنبيّة. اختارت مايكروسوفت المبنى الجديد الذي شيّدَتْه مقرّاً لإيلجي وفريقه، في قاعة مبناه الجديد ذاك هناك متجر سندويشات علّق لافتة تقول: «أفضل أطايب لحم رأس الخنزير الجاهزة تُقدّم هنا»، عرفتُ أنّني لن أرى إيلجي مرّة أخرى عندما لمحتها.

إذن، ها نحن ذا في سياتل.

أوّلاً، أيّاً كان من وضعوا مخطّط هذه المدينة، فهم لم يتركوا عقدة مروريّة مكوّنة من أربعة طرق إلّا وحوّلوها إلى تقاطع خماسيّ. لم يتركوا شارعاً باتّجاهين، إلّا وحوّلوه إلى شارع وحيد الاتجاه فجأة ودون سبب محدّد. لم يتركوا منظراً جميلاً واحداً إلّا وحجبوه ببناء تقليديّ من عشرين طابقاً، لا يتحلّى بذرّة من الانسجام المعماريّ. لحظة! أظنّ أنّ المرّة الأولى التي استُعمِلت فيها كلمتا «عمارة» و«انسجام» معاً كانت في نقاش عن سياتل.

سائقو السيّارات هنا فظيعون! وما أقصده بالفظاعة هنا هو أنّهم لا يدركون أنّ عليّ التواجد في مكان ما، إنّهم أبطأ السائقين الذين ستراهم في حياتك. يتوقّف المرء عند الإشارة الضوئيّة لتقاطع خماسيّ ويشيخ، بينما ينتظرون هم أن تعطيهم الإشارة الحقّ بالعبور. وأخيراً، أخيراً! ها قد حان وقت الانطلاق! هل تعرف ماذا سيفعلون؟ ينطلقون ثمّ يدوسون الفرامل في منتصف التقاطع! ربّما تظنّ أنّهم أوقعوا نصف سندويشة تحت المقعد، وبدؤوا يبحثون عنها، لكن لا! يخفّفون سرعتهم لأنّهم، هاي، يعبرون تقاطعاً!

أحياناً أرى سيّارات تحمل لوحة آيداهو فأفكّر، ماذا تفعل سيّارة من آيداهو هنا بحقّ الجحيم؟ ثمّ أتذكّر، صحيح، نحن جيران آيداهو. لقد انتقلتُ إلى ولاية بجوار آيداهو، وعندها تتبخّر أيّة حياة ما تزال باقية في أعماقي.

نفّذت ابنتي مشروعاً فنّيّاً هو «كتاب الخطوات» يبدأ بالكون، ثمّ ينفتح على المجموعة الشمسيّة، ثمّ الأرض، ثمّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ثمّ ولاية واشنطن، ثمّ سياتل. صدقاً، خطر لي ما علاقة ولاية واشنطن بالموضوع؟ ثمّ تذكّرتُ، صحيح، نحن نقيم هنا، بوووف.

سياتل!

لم أرَ مدينة يجتاحها المشرّدون والشحّاذون ومدمنو المخدّرات هكذا! سوق بايك بلايس: إنّهم في كلّ مكان، ساحة بايونير: تعجّ بهم، متجر نوردستروم الرئيسيّ: تدوس فوقهم كي تدخل، فرع ستاربكس الأوّل: أحدهم يحتلّ كاونتر الحليب، ويرشّ مسحوق القرفة المجانيّ على رأسه. أوه، وكلّهم لديهم كلاب بِتْبول! تحمل العديد منها لافتة مكتوبة بخطّ اليد، كُتِبَت عليها جمل لمّاحة من قبيل «أراهنك بدولار أنّك ستقرأ هذه اللافتة». لماذا يملك جميع الشحّاذين كلاب بتبول؟ حقّاً، ألا تعرف؟ لأنّهم عنيفون، إيّاك أن تنسى!

عندما ذهبتُ إلى مركز المدينة في الصباح الباكر اليوم، لاحظتُ أنّ الشوارع مليئة بأناس يجرّون حقائب ذات دواليب، ففكّرتُ: واو، مدينة مليئة بالنشيطين! من ثمّ أدركتُ: لا، هؤلاء هم الشحّاذون المشرّدون الذين قضوا ليلتهم في مداخل البنايات، وهم يلملمون أشياءهم قبل أن يُطرَدوا.

سياتل هي المدينة الوحيدة التي تدوس فيها على الخراء وتصلّي: يا ربّ! ليكن هذا خراء كلاب!

إن عبّرتَ عن خوفك من أنّ هذه المدينة الأمريكيّة التي يقطنها عدد من أصحاب الملايين أكثر من أيّة مدينة أخرى نسبة إلى عدد السكّان، هي ذاتها التي تسمحُ للشحّاذين بأن يسيطروا عليها، ستسمع الإجابة نفسها دائماً: «سياتل مدينة تؤمن بالتراحم».

كان هناك رجلٌ يُلَقَّب برجل التوبا، شخصيّة محبوبة يعزف آلة التوبا دائماً في مباريات المارينَرز[1]، اغتالته عصابة من عصابات الشوارع بوحشيّة قرب مؤسّسة غيتس. ردُّ الفعلِ؟ ليس تضييق الخناق على العصابات أو ما شابه، أمرٌ كهذا لن ينمّ عن التراحم! عوضاً عن ذلك، ضاعف سكّان الحيّ جهودهم من أجل «التوصّل إلى جذور عنف العصابات»، ونظّموا «السباق من أجل الجذور» لجمع المال من أجل مجهودهم الغبيّ ذاك. دون شكّ، «السباق من أجل الجذور» كان «ترَيثلون[2]». معاذ الله أن تطلب من أولئك الرياضيّين فاعلي الخير أن يشاركوا في نوع واحد فقط من الرياضة يوم الأحد!

حتّى المحافظ شارك في الحدث. في الحيّ الذي أقطنه يوجد متجر مجلّات مصوّرة أبدى شجاعة عظيمة، فقد وضع في واجهته إعلاناً ينصّ على أنّ أي شخص ينزلق خصر بنطاله تحت مستوى إليتيه لن يُسمَح له بالمشاركة، فقال المحافظ إنّه يريد التوصّل لجذور السبب الذي يجعل الأطفال يلبسون بناطيلهم هكذا. المحافظ اللعين!

ولا تجعلني أبدأ بالكنديّين! إنّه موضوع آخر بحدّ ذاته.

هل تتذكّر عندما شنّت الشرطة الفدراليّة غارة على تلك الطائفة المورمونيّة التي تبيح تعدّد الزوجات في تكساس قبل عدّة سنوات؟ وكيف سيقت عشرات الزوجات في موكب أمام الكاميرا؟ كلهنّ لهنّ الشعر ذاته، طويل بلون الفئران وتشوبه خصل رماديّة. لا تسريحة نتحدّث عنها أصلاً، لا

1- فريق SeattleMariners The لهوكي المحترفين. م

2- Triathlon سباق مؤلّف من ثلاث مراحل متتالية، حيث يتنافس المتسابقون في كلّ من السباحة وركوب الدرّاجات والركض.م

مكياج، بشرتهنّ رماديّة، وجوههنّ تشبه فريدا كالو بنمط الأشعار التي تنمو فيها، وملابسهنّ بشعة؟ وفي اللحظة المناسبة صُعِق الحضور في برنامج أوبرا وارتعبوا؟ حسناً، لم يروا سياتل.

هناك تسريحتان هنا: شعر رماديّ قصير، وشعر رماديّ طويل. ادخل أيّ صالون حلاقة واطلب أن تصبغ شعرك، سيلوّحون بأيديهم ويزعقون: «آه يا إلهي! لا يتسنّى لنا أبداً أن نصبغ شَعراً!».

ما حصل حقّاً هو أنّني جئت إلى هنا، وتعرّضتُ إلى أربعة إجهاضات. مهما حاولتُ، لا يمكنني إلقاء اللوم على نايجل ميلز موراي بصددها.

أوه بول! تلك السنة الأخيرة التي قضيتُها في لوس أنجلس كانت رهيبة جدّاً. أنا أشعر بالخزي من سلوكي، وأحمل معي إلى يومي هذا اشمئزازي من أنّني أصبحتُ حقيرة فقط بسبب منزل تافه. لم أتوقّف عن التفكير بذلك، لكن قبل أن أدمّر نفسي كليّاً أفكّر بنايجل ميلز موراي. هل كنتُ سيّئة حقّاً لدرجة تستحقّ تدمير ثلاث سنوات من حياتي في خدعة نفّذها وغد ثريّ؟ أجل، لقد قطرتُ بعض السيّارات، أجل، صنعتُ بوّابة من مقابض الأبواب الملقاة في القمامة. أنا فنّانة، لقد ربحتُ جائزة ماك آرثر بحقّ الجحيم، ألن أحصل على فرصة؟ عندما أشاهد التلفاز وأرى اسم نايجل ميلز موراي في الختام، أجنّ في أعماقي. أما يزال هو قادراً على الإبداع، أمّا أنا فما زلت محطّمة؟

دعنا نجرد محتويات صندوق الألعاب: العار، الغضب، الحسد، الطفوليّة، تقريع الذات، الرثاء للذات.

كرّمني المعهد الأمريكيّ لهندسة العمارة ذلك التكريم اللطيف قبل سنوات، والآن مسابقة 20×20×20، كما حاول أحد مراسلي آرت فورم أن يتحدّث معي بخصوص مقال ما... هذه الأمور تجعل الوضع أسوأ كما ترى. إنّها جوائز ترضية، يعرف جميعهم أنّني فنّانة لم تستطع التغلّب على فشلها.

في الليلة الماضية فحسب استيقظتُ كي أتبوّل. كنتُ نصف نائمة، دون أن أدرك من أكون، فراغ، من ثمّ بدأت البيانات تعود: برناديت فوكس، منزل العشرين ميلاً مُدمَّر، أستحقّ ما حدث، أنا فاشلة.

أنشب الفشل أسنانه فيّ، ولن يتوقّف عن هزّي.

اسألني عن منزل العشرين ميلاً الآن، سأتظاهر بالهدوء: «ذاك الشيء العتيق؟ من يهتمّ؟». هذه هي واجهتي الكاذبة وأنا ألتزم بها.

عندما بدأت الإجهاضات، كان إيلجي موجوداً كي يساندني.

«الذنب كلّه ذنبي» كنتُ أقول.

«كلّا برناديت» كان يجيب، «إنّه ليس ذنبك».

«أستحقّ هذا» أقول.

«لا أحد يستحقّ هذا».

«لا أستطيع أن أصنع شيئاً دون أن أدمّره» أقول.

«أرجوك برناديت، هذا ليس صحيحاً»

«أنا وحش» أقول، «كيف لك أن تحبّني؟».

«لأنّني أعرفك».

لم يعرف إيلجي أنّني كنتُ أستغلّ كلماته لأساعد نفسي على الشفاء من حزن أعظم من ذاك الذي تسبّبه الإجهاضات، حزن لم أستطع الاعتراف به: حزن على منزل العشرين ميلاً. إيلجي لا يعرف ذلك، وهو ما يزيد شعوري بالعار الحارق عديم القعر، لأنّني أصبحت مجنونة وخائنة وغريبة عن أنبل رجل التقيته دوماً. الشيء الوحيد الذي يلام عليه إيلجي هو أنّه يبسّط الحياة كثيراً: قم بما تحبّه! وهذا يعني بالنسبة له العمل، وقضاء الوقت مع عائلته، وقراءة سيرة حياة الرؤساء.

أجل، جرجرتُ نفسي إلى طبيب، طبيب ماهر، الأفضل في سياتل، واستغرقتُ ثلاث جلسات فقط كي أهزم ذلك الوغد. انتابه شعور رهيب لأنّه خذلني، «أنا آسف» قال، «نحن الأطباء النفسيّين لسنا جيّدين جدّاً هنا».

اشتريتُ منزلاً عندما جئنا، مدرسة إصلاحيّة متداعية للبنات تنطبق عليها جميع القوانين التي تعرقل ترميم الأبنية. تحويلها إلى شيء آخر يتطلّب براعة هاري هوديني، وهو ما راق لي بالطبع. صدقاً، كنتُ أنوي أن أتعافى من صدمة منزل العشرين ميلاً ببناء منزل لي ولإيلجي وللطفل الذي كنتُ

دوماً حاملاً به، لكنّني كنتُ أجلس على كرسي المرحاض وأنظر للأسفل، النصف الأعلى من جسدي مطويّ كحرف C كبير، وها هوالدم على سروالي الداخليّ، ومن ثمّ أنتحب على كتف إيلجي من جديد.

عندما نجحتُ بالاحتفاظ بالحمل أخيراً، لم يتطوّر قلب ابنتنا بشكل تامّ، وتوجّب تصنيعه بسلسلة من العمليّات. فرصها بالنجاة كانت ضئيلة، خاصّة في تلك الحقبة. ما إن وُلِدَت سمكتي الزرقاء المتلويّة تلك حتّى ركضوا بها إلى غرفة العمليّات قبل أن يتاح لي لمسها،وبعد خمس ساعات جاءت إحدى الممرضات وأعطتني حقنة كي ينقطع حليبي. الجراحة فشلت، لكنّ طفلتنا لم تكن قويّة بما يكفي كي تتحمّل عمليّة ثانية.

الوضع الذي لا عزاء له يبدو كالتالي: أنا جالسة في سيّارتي في مرآب مشفى الأطفال، النوافذ جميعها مغلقة، ألبس رداء المشفى وبين ساقيّ فوطة طولها اثنا عشر إنشاً، على كتفيّ معطف إيلجي الذي يقف إلى جانب السيّارة في الظلام، ويحاول إقناعي بالخروج عبر ضباب النوافذ. كنتُ مزيجاً من العذاب والأدرينالين، لا أفكار، لا مشاعر، وفي أعماقي يغلي شيء ما رهيب لدرجة أنّ الربّ عرف أنّ عليه إبقاء طفلتي حيّة، وإلا سينفجر إعصاري في وجه الكون.

في العاشرة صباحاً، سمعتُ طرقة على الزجاج الأماميّ. «يمكننا أن نراها الآن» قال إيلجي، وعندها التقيتُ بي للمرّة الأولى. كانت نائمة بسلام في الحاضنة كرغيف صغير أزرق بقبّعة صفراء، والغطاء مشدود بإحكام فوق صدرها. هناك أسلاك وأنابيب موصولة بكلّ قطعة من جسدها، إضافة إلى ثلاثة عشر جهازاً من أجهزة المونيتور موصولة بها واحداً واحداً أيضاً. «ابنتكِ» قالت الممرضة، «لقد مرّت بالكثير من الصعاب».

فهمتُ لحظتها أنّ بي هي «الآخر» وقد عُهِد بها إليّ. هل تعرف بوسترات الطفل كريشنا أو«بالاكريشنا» كما يلقّبونه، وهو تجسيد لفيشنو الخالق والمدمِّر، سمين وسعيد وأزرق اللون؟ هكذا كانت بي، خالقة ومدمِّرة، كان ذلك واضحاً.

«لن تموت» قلتُ للممرّضات وكأنّهن أغبى الناس على وجه الأرض.

«إنّها بالاكريشنا»، وسُجِّل ذلك الاسم على شهادة ميلادها. السبب الوحيد الذي دفع إيلجي لمجاراتي، هو معرفته أنّ استشاريّ التعامل مع الحزن سيقابلنا بعد ساعة.

طلبتُ أن يتركوني وحدي مع ابنتي. ذات مرّة، أهداني إيلجي قلادة القدّيسة برناديت التي تلقّتْ ثمانية عشر وحياً، وقال لي إنّ بيبر بايفوكال والعشرين ميلاً كانا أوّل وحْيَين بالنسبة لي. ركعتُ أمام حاضنة بي، وأمسكت القلادة بين يدي. «لن أبني مجدّداً أبداً» قلتُ للربّ، «سأتخلّى عن الرؤى الستّ عشرة الباقية إن أبقيتَ ابنتي حيّة». نفع ذلك.

لا أحد يحبّني في سياتل. عندما وصلتها، ذهبتُ إلى متجر مايسي لشراء فرشة، وسألتُ إن كان باستطاعة أحد مساعدتي. «أنتِ لست من هنا، أليس كذلك؟» قالت البائعة، «هذا واضح من طاقتكِ». أيّ نوع من أنواع الطاقة ذاك؟ أن أطلب مساعدة بائعةِ الفرشات في قسم الفرشات؟! لا أستطيع إخبارك عن عدد المرّات التي قال لي فيها أحدهم «قولي لنا رأيكِ بصدق» أو «ربّما يجدر بكِ شرب قهوة دون كافئين» في خضمّ محادثة سطحيّة. ألوم قربنا من كندا، ودعنا نترك الأمر هنا وإلّا سأنتقل إلى موضوع الكنديّين، وهوما لا تملك الوقتَ من أجله بكلّ تأكيد.

مع ذلك، صار عندي مؤخّراً صديقة واحدة: امرأة تدعى مانجولا، تتولّى أموري من الهند. إنّها افتراضيّة، لكنّها بداية أيضاً.

شعار هذه المدينة يجب أن يكون تلك الكلمات الخالدة التي نطقها فيلد مارشال فرنسيّ خلال حصار سباستوبول «J'y suis, J'y reste»: أنا هنا، وهنا سأبقى. الناس يولدون هنا، يكبرون هنا، يرتادون جامعة واشنطن، يعملون هنا، ويموتون هنا، لا رغبة لأيّ منهم بالرحيل. عندما تسألهم: «قولوا لي مجدّداً، ما هو الشيء الذي تحبّونه كثيراً في سياتل؟» سيجيبونك: «لدينا كلّ شيء، الجبال والماء»، هذا هو تفسيرهم، جبال وماء.

أحاول جاهدة ألّا أتجاذب الحديث مع العاملات في المتجر عندما أدفع، مع ذلك لم أستطع المقاومة ذات يوم، عندما سمعتُ إحداهنّ بالصدفة وهي تصف سياتل بمدينة «كوزموبوليتانيّة»، وهو ما شجّعني أن

أسألها: «حقاً؟»، بالطبع، أجابت، سياتل مليئة بأشخاص من كلّ مكان. «من أين مثلاً؟»، فقالت: «ألاسكا. لدي آلاف الأصدقاء من الاسكا». خذ شهيقاً، ها نحن ذا.

دعنا نلعب لعبة. سأقول كلمة، فتجيبني بأوّل ما يخطر في بالك.

أنا: سياتل

أنت: مطر

كلّ ما سمعتَه عن المطر صحيح، ولذلك ستعتقد أنّ المطر أصبح جزءاً من نسيج المدينة، خاصّة بين قاطنيها المؤبّدين. لكن في كلّ مرّة يهطل المطر ويكون عليك أن تتواصل مع شخص ما، لا بدّ أن يقول لك: «هل تتخيّل هذا الطقس؟!»، وعندها سترغب أن تجيب «أجل في الواقع أتخيّل هذا الطقس، ما لا أستطيع تصديقه هو أنّني أخوض محادثة حول الطقس»، لكنّني لا أقول هذا عادة لأنّه سيثير شجاراً، وهو ما أحاول تجنّبه قدر المستطاع، أنجح أحياناً وأفشل أحياناً أخرى.

الشجار مع الناس يجعل قلبي يخفق، عدم الشجار مع الناس يجعل قلبي يخفق، حتّى النوم يجعل قلبي يتسارع. أستلقي في السرير عندما يصل الخفقان مثل غزاة أجانب، كتلة سوداء رهيبة مثل المونوليث في فيلم 2001[1] مُنَظِّمٌ ذاتياً، لكنّه مجهول تماماً، يدخل جسدي ويطلق الأدرينالين، لكنّه يشبه ثقباً أسود يمتصّ كلّ الأفكار الجيّدة التي تدور في رأسي، ويربطها بذعر باطنيّ. مثلاً، خلال النهار قد أفكّر: هاي! أضيفي المزيد من الفواكه الطازجة إلى غداء بي!، أمّا في المساء، مع وصول الخفقان تصبح الفكرة: هاي! **أضيفي المزيد من الفواكه الطازجة إلى غداء بي!** أحسّ بالقلق وعدم العقلانيّة وهما ينضحان كلّ الطاقة المخزّنة في أعماقي، وكأنّني سيّارة سباق تعمل بالبطاريّة وتستهلكها وهي تهدر عالقة في زاوية، وهي بالذّات الطاقة التي تلزمني لتجاوز اليوم التالي، لكنّني أستلقي في السرير فحسب وأراقبها تحترق، ويحترق معها أيّ أمل بغدٍ بنّاء. ها أنا ذا: غسيل الأطباق، تسوّق الحاجيّات، رياضة، إدخال حاويات القمامة، الحدّ الأدنى من اللطف

1- فيلم 2001: أوديسة الفضاء، من إخراج ستانلي كوبرنيك. م

الإنسانيّ. أستيقظ مبلّلة بالعرق لدرجة أنّني أضع إبريقاً من الماء إلى جانبي عندما أنام، كي لا أموت من التجفاف.

أوه بول، هل تتذكّر ذلك المكان في آخر شارع منزل العشرين ميلاً، في لابري، حيث كانوا يقدّمون بوظة بماء الورد، ويسمحون لنا بعقد اجتماعاتنا هناك وباستعمال هاتفهم؟ أودّ أن نلتقي مع بي.

أعرف السؤال الذي يدور في ذهنك: كيف أجد وقتاً للاستحمام؟! لا أجد! قد لا أستحمّ طوال أيّام. أنا حُطام! لا أعرف ما مشكلتي! لقد تورّطتُ في نزاع مع إحدى الجارات -أجل، مجدّداً!- وهذه المرّة نصبتُ على سبيل الانتقام لافتة دمّرتْ منزلها عن طريق الخطأ. تباً! هل تصدّق ذلك؟!

المحنة بدأت في الروضة. إنّهم مهووسون في المدرسة التي ترتادها بي بإشراك الأهل في النشاطات، ودائماً ما يطلبون منّا تسجيل أسمائنا في لجان مختلفة. أنا لا أفعل أبداً بالطبع! إحدى الوالدات، أودري غريفن، اقتربت منّي ذات يوم في الردهة.

«أرى أنّكِ لم تنضمّي إلى أيّة لجنة» قالت مبتسمة وهي مستعدّة لتمزيقي إرباً.

«لا أحبّ اللجان كثيراً» قلتُ.

«وماذا عن زوجك؟» سألت.

«يحبّها أقلّ ممّا أحبّها أنا»

«ألا يؤمن أيّ منكما بالمجتمع المحليّ؟!»، سألتْ.

في تلك الأثناء، أحاطت بنا زمرة من الأمّهات وهنّ يستمتعنّ بهذه المواجهة التي تأخّرت كثيراً مع أمّ الطفلة المريضة المعادية للمجتمع.

«لا أعرف إن كان المجتمع المحليّ أمراً يؤمن به المرء أم لا»، أجبتُ.

بعد عدّة أسابيع زرتُ صفّ بي، وهناك رأيتُ ما يسمّونه «حائط الأسئلة» الذي يعلّق عليه الأطفال أسئلة مثل «أتساءل ماذا يأكل الأطفال الروسيّون على الفطور؟» أو «أتساءل ما الذي يجعل التفاحّة خضراء أو حمراء؟». كانت ظرافتهم تموج في داخلي، إلى أن قرأتُ السؤال التالي: «أتساءل لماذا

يتطوّع جميع الأهالي في الصفّ ما عدا أمّ طالبة واحدة؟» وهو سؤال كتبه كايل غريفن، ابن البغيضة.

لم يعجبني ذلك الفتى كايل قطّ! خلال الروضة كانت هناك ندبة ضخمة تمتدّ على طول صدر بي (تلاشت مع مرور الزمن لكنّها كانت واضحة آنذاك)، وشاهدها كايل ذات مرّة فأخذ ينادي بي بـ «اليرقة». لم أبتهج دون شكّ عندما أخبرتني، لكنّ الأطفال أشرار وبي لم تكن منزعجة جدّاً فتركتُ الموضوع عند هذا الحدّ، إلّا أنّ المديرة التي تعرف أنّ كايل هو بذرة فاسدة، استخدمتْ بي كعذر، وعقدت منتدى حول التنمّر.

بعد سنة، وأنا ما زلتُ مستاءة من حائط الأسئلة، تغلّبتُ على شخصيّتي السيّئة، وسجّلتُ اسمي في عملي التطوّعي الأوّل كوالدة –سائقة في رحلة مدرسيّة إلى مايكروسوفت. كنتُ مسؤولة عن أربعة أطفال: بي وثلاثة آخرون من بينهم ذلك الولد كايل غريفن. مررنا بجوار صفّ من آلات بيع الحلوى– هناك آلات بيع حلوى في كلّ مكان من مايكروسوفت، وهي مبرمجة بحيث تعطيك قطعة بمجرّد الضغط على زرّ، دون الحاجة لوضع قطعة نقديّة فيها – غريفن الصغير الصالح، باعتباره مُبَرمَجاً على وضعيّة معياريّة هي التخريب الخفيف، ضرب واحدة منها فأعطته قطعة حلوى، لذلك أخذ يلكم جميع الآلات بعنف، وانضمّ إليه الباقون بما فيهم بي. تدحرجت علب الصودا وقطع الحلوى على الأرض، والأطفال يصرخون ويقفزون إلى الأعلى وإلى الأسفل... كان مشهداً رائعاً، وكأنّه مشهد من «البرتقالة الآليّة[1]»، وفي تلك اللحظة جاءت مجموعة أخرى من الأطفال ترافقهم المديرة شخصيّاً، ورأوا الفوضى التي سبّبتها عصابتنا الصغيرة.

«من منكم بدأ هذا؟» أرادت المديرة أن تعرف.

«لا أحد» قلتُ، «الذنب ذنبي».

1- A Clockwork Orange فيلم خيالٍ علميّ وجريمة بريطانيّ من إخراج ستانلي كوبرنيك 1971، يركّز على العنف الجنسيّ والجسديّ وجرائم المراهقين والعصابات وموضوعات اقتصادية وسياسية واجتماعية أخرى. ظلّ ممنوعاً في بريطانيا حتّى عام 2000 م.

وما الذي سيقوم به كايل إلّا أن يشي بنفسه؟ «أنا» قال، ومنذ ذلك الوقت تكرهني أمّه أودري وتحرّض الأمّهات ضدّي.

إذاً، لماذا لم أغيّر المدرسة؟ لأنّ المدارس الجيّدة الأخرى التي يمكنني إرسال بي إليها... حسناً، الوصول إليها يتطلّب المرور بجانب بوكا دي بيبو[1]. أنا أكره حياتي بما فيه الكفاية دون أن يتوجّب عليّ أن أقود سيّارتي بجانب بوكا دي بيبو أربع مرّات يومياً.

هل مللتَ؟ يا إلهي! أنا مللتُ.

باختصار: ذات مرّة عندما كنتُ طفلة، أقام النادي الريفيّ حفلة «صيد بيضة عيد الفصح»، فوجدتُ أنا بيضة ذهبيّة ممّا خوّلني ربح أرنب صغير. لم يكن والداي سعيدين على الإطلاق، مع ذلك اشتريا قفصاً بكآبة، ووضعنا الأرنب في شقّتنا في بارك آڤنو، أطلقتُ عليه اسم «بحّار». بعد ذلك ذهبتُ إلى المخيّم الصيفيّ بينما ذهب والداي إلى لونغ آيلاند، وتركنا بحّاراً في الشقّة مع تعليمات للخادمة حول كيفيّة إطعامه. عندما عدنا في نهاية شهر آب، اكتشفنا أنّ غلوريا فرّت منذ شهرين، وأخذت معها أدوات المائدة الفضيّة ومجوهرات ماما. ركضتُ إلى قفص بحّار كي أعرف إن نجا... كان متكوّراً على نفسه، يرتجف في الزاوية، وهو في أسوأ حال: بلغ به سوء التغذية أنّ فروه أصبح طويلاً على نحو رهيب، في محاولة من جسمه للتعويض عن بطء استقلابه وهبوط حرارته. مخالبه بطول إنش، والأسوأ أنّ أسنانه الأماميّة تقوّست فوق شفته السفليّة، لدرجة أنّه بالكاد قادر على فتح فمه. تحتاج الأرانب على ما يبدو إلى شيء صلب تقضمه مثل الجزر وإلّا ستنمو أسنانها. فتحتُ القفص مرتعبة كي أعانق بحّاراً الصغير، لكنّه أخذ يخمش وجهي وعنقي مهتاجاً ومتشنّجاً، ما زالت الندبات موجودة حتّى هذا اليوم. لقد توحّش الأرنب دون وجود من يعتني به...هذا ما حصل لي في سياتل، اقترب منّي حتّى ولو في الحبّ، وسأخمشك وأخمشك.

مصيرٌ مثير للشفقة لعبقريّة ماك آرثر، أليس كذلك؟ بورووف!

---

1 / Buca di Beppo سلسلة مطاعم أمريكيّة متخصصّة بتقديم المأكولات الأمريكيّة – الإيطاليّة. م

لكنّني أحبّك،

برناديت

***

الثلاثاء 14 كانون الأوّل

من بول جيلينك

برناديت،

هل انتهيتِ؟ بصراحة لا أصدّق أيّاً من تلك الترّهات. الأشخاص أمثالك يجب أن يُدعوا، إن لم تبدعي برناديت، ستتحوّلين إلى تهديد للمجتمع.

بول.

***

الجزء الثالث

تهديدٌ للمجتمع

الثلاثاء 14 كانون الأوّل

رسالة تهنئة بالكريسماس من آل غريفن

قبل أسبوع من الكريسماس،
الكثير من الطين انهار
فوق منزلنا،
وطمرَ كلّ أشيائنا

انتقلنا إلى ويستن،
لكنّنا لم نيأس
حين رأينا كم الغرف
فاخرة

وارن بروب الحمّام الفاخر
وأنا بالقبّعة،
نتّجه كلّ ليلة صوب البركة
ونسبح سباحة شتويّة مطوّلة.

ليلاً، نحبّ أن نندسّ
في أسرّتنا ونتدثّر،
بينما تتراقص في رؤوسنا
خيالاتُ خدمة الغرف

لذلك، أيّاً كان ما سمعتموه

وأثار رعبكم
نحن آل غريفن بخير،
ونتمنّى لكم عشيّة كريسماس رائعة!

***

من: سو -لِنْ لي- سغال
إلى: أودري غريفن
أودري،

لقد انهارت أعصابي وأنا أحاول معرفة مكانكِ بعد أن سمعتُ عن الانزلاق الطينيّ، لكنّني استلمتُ للتوّ رسالة الكريسماس الرائعة التي أرسلْتِها. لهذا إذن اختفيتِ، كنتِ مشغولة بتدبير أمورك.

من كان يدري أنّ ويستن فاخر هكذا؟ لا بدّ أنّهم رمّموه منذ أن نزلتُ فيه. أصرّ أن تنتقلوا للإقامة عندي إن شعرتِ بالملل. حوّلتُ مكتب باري بعد الطلاق إلى غرفة نوم للضيوف وضعتُ فيها سريراً من طراز مورفي، يمكن أن تناما فيها أنتِ ووارن على الرغم من أنّها ضيّقة جدّاً بسبب بساط المشي الجديد. يمكن لكايل أن ينام في غرفة لينكولن وألكساندرا، لكنّني أحذّركِ، علينا كلنّا أن نتشارك حمّاماً واحداً.

مشروع سامانثا 2 سينطلق في غضون ثلاثة أشهر، وبالطبع، قرّر إيلجن برانش أنّ هذا هو التوقيت المثاليّ للسفر إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، المكان الوحيد في العالم الذي لا يوجد فيه إنترنت، ويقع على عاتقي الآن أن أتأكّد من سير العمل بسلاسة في غيابه. مع ذلك، لا بدّ لي من الاعتراف: أشعر بالبهجة لأنّني سأرتاح تماماً من طلباته المزاجيّة.

لو رأيتِه صباح اليوم وهو يوبّخ بعض موظّفاتِ قسم التسويق! أنا شخصيّاً لستُ معجبة بفتيات التسويق، يسافرن حول العالم، وينزلن في فنادق خمس نجوم، مع ذلك أخذتُ إيلجن جانباً بعد أن انتهى وقلتُ له: «أعرف أنّك مرّرت بالكثير في عطلة نهاية الأسبوع في منزلك، لكن تذكّر، نحن كلّنا نعمل من أجل الهدف نفسه». يا إلهي! أخرسه ذلك تماماً! هدفٌ لصالحنا، أودري.

***

الأربعاء 15 كانون الأوّل

من: أودري غريفن

إلى: سو -لِنْ لي- سغال

آخ يا سو - لِنْ!

سأعترف: فندق ويستن لا يشبه أبداً ما وصفتُه في تهنئة الكريسماس. من أين أبدأ؟!

طوال الليل، تُصفَق الأبواب التي تُغلَق ذاتياً، تتعالى قرقعة الأنابيب كلّما دُلِق الماء في أحد المراحيض، وكلّما استحمّ شخصٌ ما يعلو صوت الدوش كأنّه غلّاية شاي تصفّر في أذنيّ. عائلات السيّاح الأجانب تؤجّل أحاديثها إلى أن تقف أمام بابي، الثلّاجة الصغيرة تقرقع وتهمهم كأنّ الحياة ستدبّ فيها، وصرير شاحنات القمامة التي تفرّغ حاويات مليئة بالزجاجات تقرقع في الواحدة فجراً. من ثمّ، عندما تُغلَق الباراتُ، تمتلئ الشوارع بأناس يصرخ بعضهم في وجه بعض بأصوات مخمورة مخيفة، وكلّ حديثهم عن السيّارات: «اركب السيّارة»، «لن أركب السيّارة»، «اخرس أو لن أدعك تركب السيّارة»، «لا أحد يمنعني من ركوب سيّارتي».

كلّ ما سبق هو تهويدة أطفال بالمقارنة مع المنبّه. مدبّرة الفندق على ما يبدو تمسح أعلى الساعة بِالخرقة عندما تنظّف، لذلك ينطلق المنبّه في توقيت مختلف كلّ ليلة. أخيراً، فصلْنا ذلك الشيء المزعج.

من ثمّ، البارحة في الساعة 3:45 دوّى إنذار الحريق، لكنّ عامل الصيانة كان متغيّباً دون عذر، وبينما كنّا نحاول التأقلم مع صوت الإنذار الذي يفتّت الأعصاب، صدح الراديو بأعلى صوت في الغرفة المجاورة! نصف البثّ تشويش، والنصف الثاني حوار بالمكسيكيّة. إن تساءلتِ يوماً ممّ صُنِعَتْ جدران ويستن؟ فلديّ الإجابة: مناديل ورقيّة! وارن ينام كحطبة، ولا فائدة ترجى منه.

بدّلتُ ملابسي وخرجتُ للبحث عن شخص ما، أيّ شخص، كي يساعدني. فُتح باب المصعد، ولن تصدّقي كيف خرجت منه عصابة فاسقين! يشبهون أولئك المشرّدين الذين يجتمعون مقابل مركز ويستلايك، ستّة شباب وشابّات أجسادهم مثقوبة بالأقراط في مواضع لا توصف، شعرهم مصبوغ

بألوان وهّاجة ومحلوق على شكل رقع بشعة، والوشوم الضبابيّة تغطّيهم من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم. أحدهم وشم خطّاً يحزّ رقبته ونقَش فوقه: اقطعْ هنا! إحدى الفتيات ترتدي جاكيتاً من الجلد ثبّتتْ دبدوباً بدبوس على ظهره، ومن الدبدوب يتدلّى خيط فوطة تامبون ملطّخة بالدم! أنا لا أختلق ذلك!

أخيراً، تمكّنتُ من العثور على المدير الليليّ، وأبديتُ له عدم رضاي عن الشخصيّات غير المقبولة التي يسمحون لها بالدخول إلى الفندق.

كايل المسكين! إنّه يشعر بالضيق بعد أن اختفت غرفتا نومه، عيناه حمراوان دائماً من قلّة النوم! أتمنّى لو أنّنا نمتلك أسهماً في شركة قطرة ڤيزين.

وفوق هذا كلّه، تحاول غوين غوديير استدعائي أنا ووارن من أجل لقاء آخر حول كايل. آخذين ظروفنا بعين الاعتبار، كنتُ أظنّ أنّها ستعطينا فرصة للراحة قبل أن تنطلق بالنغمة القديمة المملّة ذاتها. أعرف أنّ كايل ليس لامعاً من الناحية الأكاديميّة، لكنّ غوين تكرهه منذ تلك الحادثة مع آلات الحلوى في مايكروسوفت.

آخ سو – لين! مجرّد الكتابة تنقلني إلى الأيّام السعيدة الخوالي حين كنّا سعيدتين، لا همّ لنا إلّا التذمّر من برناديت! كان زمناً بسيطاً!

***

من: سو –لِنْ لي– سغال

إلى: أودري غريفن

هل تريدين العودة بالزمن إلى الوراء؟ حسناً أودري، اربطي حزام الأمان.

لقد خضتُ للتوّ محادثة مروّعة مع إيلجن برانش، وسيصدمكِ ما فعلتُه. كنتُ أرتّب قاعة لإيلجي من أجل اجتماع مع كلّ أعضاء الفريق في الساعة 11، أركض هنا وهناك وأؤمّن أجهزة اللابتوب المطلوبة وأستعير الأثاث وأوافق على طلبات شراء البطّاريّات، حتّى إنّني عثرتُ على كرة لعبة فوزبول مفقودة. كلّ ما أستطيع قوله عن الحياة في «مستر سوفتي[1]» هو: عندما تحدث الأمور السيّئة، فهي تحدث مجتمعة!

1- يشير المتداولون في سوق الأسهم إلى مايكروسوفت بمستر سوفتي Mister Softee. م

عندما عدتُ إلى مكتبي -هل أخبرتكِ؟ أخيراً صار عندي مكتب له نافذة!- أبلغني ستّة على الأقلّ من زملاء العمل أنّ إيلجي شخصيّاً كان يبحث عنّي! كتب ملاحظة علّقها على بابي ورآها الجميع، يطلب فيها منّي أن تناول الغداء معه. وقّعها بـ إ. ب لكن أحد الظرفاء حوّلها إلى إ. دوغ[1] وهو أحد ألقاب إيلجي العديدة.

كنتُ على وشك الخروج عندما ظهر على بابي منتعلاً حذاءً. «فكّرتُ أنّ بإمكاننا ركوب الدرّاجة»، قال. كان يوماً جميلاً، قرّرنا أن نأخذ بعض السندويتشات من دكّان اللحوم الجاهزة في الأسفل،وننطلق على الدرّاجات إلى بقعة جميلة خارج الشركة.

لأنّني جديدة في سامانثا 2، لم أعرف أنّ هناك مجموعة من الدرّاجات مخصّصة لنا. إيلجي بهلوان ماهر! وضع قدمه على إحدى الدوّاستين، وانزلق بالأخرى على الأرض، من ثمّ طوّحها فوق المقعد. أنا لم أركب درّاجة منذ سنوات وأخشى أنّ هذا كان واضحاً.

«هل من مشكلة؟» سأل إيلجي عندما انحرفتُ عن الدرب صوب المرج. «أظنّ أنّ المقبض رخو»، أجبتُ. إنّها المشكلة الأسوأ، لا يمكنني إبقاء الدرّاجة مستقيمة! ريثما ركبتها من جديد، وقف إيلجي على درّاجته وهو يضع قدميه على كلا الدوّاستين، وبدأ يقفز قفزات صغيرة كي لا يسقط. هل تظنّين هذا سهلاً؟ جرّبيه إذاً.

تمكّنتُ أخيراً من السيطرة على الدرّاجة وانطلقنا. لقد نسيتُ الحرّيّة التي يقدّمها ركوب الدرّاجة الهوائيّة! الريح تهبّ بلطف على وجهي والشمس مشرقة، والمطر ما يزال يقطر من الأشجار بعد انتهاء العاصفة. مررنا بالمنطقة المشتركة، حيث يجلس موظّفون يتناولون غداءهم في الخارج، مستمتعين بالشمس وبمشجّعات فريق سيهوكس اللواتي يقدّمن استعراضاً في ملعب كرة القدم. أحسستُ أنّ جميع العيون مصوّبة عليّ بفضول: من هذه؟ ماذا تفعل مع إيلجن برانش؟

على بعد ميل، عثرنا أنا وإيلجي على كنيسة توجد في باحتها نافورة جميلة وبعض المقاعد، وفتحنا السندويتشات.

1- daug تحريف لـ dog أي الكلب، ويعني بالعامية الأمريكيّة رجلاً أو صديقاً. م

«السبب الذي دعوتك من أجله للغداء» قال، «هو ما قلتِه هذا الصباح عن أنّ لديّ ما يكفيني في المنزل. كنتِ تشيرين إلى برناديت، أليس كذلك؟».

«آه...» لقد صُدِمتُ. العمل هو العمل، تبديل الموضوع يسبّب لي الارتباك.

«كنتُ أتساءل إن لاحظتِ أيّ شيء مختلف فيها مؤخّراً» واغرورقت عيناه بالدموع.

«ما المشكلة؟» أمسكتُ يده، وهو ما سيبدو تصرّفاً جريئاً كما أعلم، لكنّني أقدمتُ عليه بدافع التعاطف. نظر إيلجي للأسفل، ثمّ سحب يده من يدي بلطف. لا بأس في الواقع.

«إن كان هناك خطب ما» قال، «فالذنب ذنبي مثلها على حدّ سواء. أنا غير متواجد دائماً، أنا أعمل طوال الوقت. أقصد، برناديت أمٌّ رائعة».

لم تعجبني طريقة إيلجي بالحديث. بفضل «ضحايا ضدّ جعلهم ضحايا»، أصبحتُ خبيرة في اكتشاف العلامات التي يبديها المرء عندما يتحوّل إلى ضحيّة بسبب أذيّة عاطفيّة: الارتباك، الانسحاب، التشكيك بالواقع، تقريع الذات. في ض. ض. ض نحن لا نساعد الضحايا، بل نسحقهم:

نؤكّد: نؤكّد لهم واقعهم.

نكشف: نكشف لهم عن الأذيّة التي أصابتنا نحن.

نوحّدهم: نوحّدهم مع ض. ض. ض.

نودّع: نقول وداعاً للأذى.

نتمنّى: نتمنّى لهم حياة سعيدة!

انطلقتُ بالحديث عن مسلسل فشل باري في عمله، عن رحلاته إلى فيغاس، عن «الاضطراب الانفجاريّ المتقطّع[1]» الذي يعاني منه (لم يُشخّص قطّ لكنّني مقتنعة أنّه مصاب به)، وكيف استجمعتُ قواي أخيراً كي أطلّقه، لكن ليس قبل أن ينجح باستنزاف مدّخرات حياتنا.

1- فترات متكررة وفجائية من السلوك القهريّ أو العدوانيّ أو العنف أو الاحتداد الشفهيّ الغاضب، يكون ردّ فعل المصاب خلالها أشدّ ممّا يقتضيه الموقف، تحدث فجأة دون سابق إنذار، وتستمر عموماً أقل من 30 دقيقة. قد تحدث هذه النوبات بشكل متكرر، أو تفصلها أسابيع أو أشهر من الهدوء. م

«بالنسبة لبرناديت...»، قال.

احمرّ وجهي! لقد تكلّمتُ كثيراً عن نفسي وعن ض. ض. ض، وهو ما أصبح عادة من عاداتي.

«أنا آسفة!» قلتُ، «كيف أستطيع مساعدتكَ؟».

«عندما ترينها في المدرسة، كيف تبدو لكِ؟ هل لاحظتِ شيئاً ما؟»

«حسناً، بصراحة» قلتُ بحذر، «منذ البداية... لم يبدُ على برناديت أنّها تؤمن بالمجتمع المحليّ».

«وما علاقة هذا بأيّ شيء؟»

«مدرسة غايلر ستريت تقوم ضمنيّاً على مبدأ المجتمع المحليّ. ليس مكتوباً في أيّ مكان أنّ على الأهل المشاركة، لكنّ المدرسة قائمة على افتراضات غير معلنة. مثلاً، أنا مسؤولة عن المتطوّعين في الصفوف. برناديت لم تتطوّع ولا مرّة، كما أنّها لا ترافق بي إلى الصفّ»

«ألا يكفي إيصال الأطفال بالسيّارة إلى بوّابة المدرسة؟»، سأل إيلجي.

«يمكنك أن تفعل ذلك، لكنّ معظم الأمّهات يفضّلن مرافقة أطفالهنّ إلى الصفوف، خاصّة الأمّهات غير العاملات»

«أعتقد أنّني لا أفهم ما تقولينه»

«المبدأ الأساسيّ في غايلر ستريت هو مشاركة الأهالي»، وضّحتُ له.

«لكنّنا نتبرّع سنويّاً بمبلغ إضافيّ غير أقساط الدراسة. ألا يعدّ ذلك مشاركة كافية؟»

«إنّها مشاركة ماديّة، هناك مشاركات أخرى ذات قيمة معنويّة أكبر، مثل تنظيم حركة السيّارات عند أخذ الطلّاب، أو إعداد وجبة صحيّة في ليلة المواهب، أو تسريح الشعر في يوم التقاط الصورة»

«أنا آسف» قال، «لكنّني أؤيّد برناديت بهذا الصدد...».

«كلّ ما أحاول فعله هو...» شعرتُ أنّ صوتي يعلو لذلك أخذتُ شهيقاً، «هو وضعُ المأساة التي حدثت في نهاية الأسبوع ضمن السياق».

«أيّة مأساة؟!»، سأل.

أودري! ظننتُ أنّه يمزح! «ألا تتلقّى الإيميلات؟»، سألتُه.

«أيّة إيميلات؟!»

«من غايلر ستريت!»

«يا إلهي لا!» قال، «لقد طلبتُ أن يُشطَب اسمي من القائمة البريديّة منذ سنوات عديدة... انتظري، ما الذي تتحدّثين عنه؟».

لذلك شرحتُ له كيف نصبت برناديت تلك اللافتة ودمّرت منزلكِ. أقسم لكِ: إنّه لا يعرف شيئاً عن الموضوع! ظلّ جالساً وهو يحاول استيعاب ما يسمعه،وفي لحظة ما أوقع سندويتشته على الأرض، ولم يبالِ بالتقاطها.

رنّ منبّه هاتفي. إنّها 2:15. إيلجي لديه اجتماع مع مديريه في 2:30. عدنا على الدرّاجتين، كانت السماء سوداء عدا بقعة جميلة من الغيوم البيضاء تتخلّلها أشعة الشمس. مررنا بضاحية جميلة بيوتها من طراز بانغالو[1] يعانق بعضها بعضاً. أعجبتني الألوان الرماديّة والخضراء والصفراء على خلفيّة أشجار الكرز والقيقب اليابانيّ العاريّة، وشعرتُ ببصلات التوليب والنرجس والبنفسج تحت الأرض، تكتسب القوّة وتتحمّل شتاءنا بصبر، بانتظار أن تبزغ في ربيع سياتل الرائع.

مددتُ ذراعي كي أخترق الهواء الكثيف الصحيّ. أيّة مدينة غيرنا اخترعت طائرة الجامبو النفّاثة، وسوبر ستور، والكمبيوتر الشخصيّ، والهاتف الخليويّ، وحجز التذاكر عبر الإنترنت، وموسيقا الغرانج روك، والمتاجر العملاقة، والقهوة الجيّدة؟ أين تستطيع امرأة مثلي ركوب الدراجة جنباً إلى جنب مع الرجل الذي يحتلّ المرتبة الرابعة في TED من حيث عدد المشاهدات إلّا هنا؟ بدأتُ أضحك.

«ما المشكلة؟» سأل إيلجي.

«أوه لا شيء!». كنتُ أتذكّر كيف تحطّمتُ عندما لم يستطع أبي تحمّل تكاليف إرسالي إلى جامعة ساوث كاليفورنيا، لذلك ذهبتُ إلى جامعة واشنطن... بالكاد غادرتُ ولاية واشنطن (ولم أرَ نيويورك بعد!) فجأة، لم يعد هذا الأمر مهمّاً! فليسافر الآخرون حول العالم. ما تبحثون عنه في لوس أنجلس أو نيويورك وفي كلّ مكان موجود هنا أماميّ في سياتل. أريده كلّه لي!

***

1- بيت من طابق واحد، ذو شرفة أماميّة عريضة وسقف مائل. م

من: أودري غريفن
إلى: سو -لِنْ لي- سغال
هل تظنّين أنّني استيقظتُ صباحاً وشربتُ كأساً كبيرة من الغباء؟ ألم يكن من الأفضل لو ظلّ إيلجن برانش جاهلاً بالدمار الذي أحدثته زوجته؟ أخبرتُ وارن بقصّتكِ، وتولّد لديه الانطباع ذاته مثلي تماماً: إيلجن برانش يحاول أن يحصّن نفسه بالأدلّة، كي يدّعي الجهل بما حدث عندما نقاضيه لقاء جميع أمواله. حسناً، خدعته تلك لن تنفعه!الماذا لا تقولين ذلك لصديقك إ. دوغ في المرّة التالية التي توسّخين فيها بيت الربّ؟ لم يتلقّ أيّ إيميل! يا له من سفيه!

***

من: أودري غريفن
إلى: غوين غوديير
من فضلك تحقّقي من جميع قوائم المدرسة البريديّة وأكّدي لي أنّ إيلجن برانش موجود ضمنها. لا أتحدّث عن برناديت، بل عن إيلجن برانش تحديداً.

***

يومها كان عيد ميلاد كينيدي، وبما أنّ أمّها تعمل في الفترة الليليّة، لذلك قمنا أنا وماما بما نقوم به دائماً، وهو اصطحابها للعشاء احتفالاً بعيد ميلادها.
في الصباح عندما أوصلتني ماما، كانت كينيدي بانتظار أن نركن السيّارة.
«أين سنذهب؟»، سألت كينيدي.
أنزلت ماما زجاج نافذتها: «مطعم الإبرة الفضائيّة».
زعقت كينيدي من البهجة، وأخذت تقفز إلى الأعلى والأسفل.
أوّلاً دانيال برويلر والآن الإبرة الفضائيّة؟! «ماما» قلتُ، «منذ متى أصبحتِ سوبر رائعة بما يخصّ المطاعم؟».
«منذ هذه اللحظة»
بالكاد استطعنا أنا وكينيدي إخفاء شعورنا بالحماس في طريقنا إلى قاعة التجمّع الصباحيّ. «لا أحد يذهب إلى مطعم الإبرة الفضائيّة!» صاحت كينيدي، وهذا صحيح. على الرغم من أنّه مطعم دوّار موجود في أعلى

البرج، ممّا يجعله المطعم الوحيد الذي ترغبون بزيارته، لكنّه معْلَمٌ سيّاحي بحتٌ وأسعاره غالية... من ثمّ زمجرت كينيدي، وانهالت عليّ بالدغدغة.

انقضت عشر سنوات على الأقلّ منذ جئتُ إلى مطعم الإبرة الفضائيّة آخر مرّة، لقد نسيتُ مقدار روعته! طلبنا الطعام، من ثمّ مدّت ماما يدها إلى حقيبتها، وأخرجت قلم رصاص وقطعة من الكرتون الأبيض، كتبتْ في منتصفها بألوان مختلفة: «اسمي كينيدي، واليوم سأبلغ سنّ الخامسة عشرة الرائع!».

«ما هذا؟» سألتْ كينيدي.

«لم تأتِ إلى هنا أبداً، أليس كذلك؟» سألتها ماما، ثمّ التفتت صوبي «وأنتِ،ألا تتذكّرين؟»، هززتُ رأسي بالنفي. «نضع هذه على إفريز النافذة»، ووضعت ماما قطعة الكرتون أمام الزجاج، «ونضع إلى جانبها قلم رصاص، عندما يدور المطعم يكتب جميع الموجودين عبارة ما. وهكذا عندما تكتمل الدورة وتعود قطعة الكرتون إليكِ، ستجدينها مليئة بأمنيات عيد الميلاد».

«رائع جـدّاً!!» هتفنا أنا وكينيدي بصوت واحد، من ثمّ قلتُ «هذا ليس عدلاً!».

«يمكننا القدوم إلى هنا في عيد ميلادك المقبل، أعدكِ»، قالت ماما.

ابتعدت بطاقة عيد الميلاد عنّا ببطء. أوه، حظينا بالكثير من المتعة. قمنا بالشيء الوحيد الذي نفعله أنا وكينيدي عندما نكون مع ماما، وهو الحديث عن «مجموعة الشباب». نشأتْ ماما كاثوليكيّة ثمّ أصبحت ملحدة في الجامعة، ولذلك جنّتْ تماماً عندما بدأتُ أذهب إلى مجموعة الشباب، لكنّني أذهب فقط لأنّها فكرة كينيدي.أمّ كينيدي أمضت نصف حياتها بالعمل في كوستكو، لذلك يوجد في منزلهم أكياس ضخمة من ألواح الحلوى وقطع عرق السوس، فضلاً عن شاشة تلفاز عملاقة واشتراك بجميع القنوات الفضائيّة، ممّا يعني أنّني أمضيتُ أوقاتاً طويلة في منزل كينيدي آكل الحلوى وأتفرّج على مسلسل فريندز. فجأة، خطر لكينيدي ذات يوم أنّها بدينة وقرّرت اتّباع حمية، فقالت: «بي، لا يمكنكِ أكلُ عرق السوس لأنّني لا أريد أن أسمن». كينيدي هكذا، مجنونة كليّاً، ودائماً ما نخوض أكثر النقاشات

جنوناً. بعدها أعلنتْ إعلاناً ضخماً: من غير المسموح لنا أبداً الذهاب إلى منزلها لأنّ هذا يتسبّب لها بالبدانة، وسنذهب إلى مجموعة الشباب عوضاً عن ذلك. أطلقتْ على قرارها اسم: حميةُ مجموعةِ الشباب.

أخفيتُ الموضوع عن ماما قدر المستطاع، وعندما اكتشفتْه أخيراً ثار غضبها ظنّاً منها أنّني سأتحوّل إلى مهووسة بيسوع. لوك وزوجته ماي اللذان يديران مجموعة الشباب لا يسعيان إلى ذلك أبداً. حسناً، أجل، يسعيان قليلاً، لكنّ حديثهما عن الإنجيل يدوم ربع ساعة فقط، وعندما ينتهيان يكون أمامنا ساعتان من التلفاز والألعاب. أشعر بالأسف نوعاً ما تجاه لوك وماي، لأنّهما متحمّسان لاستضافة نصف مدرسة غايلر ستريت في منزلهما يوم الجمعة، ولا يملكان فكرة عن أنّنا نأتي نظراً لعدم وجود مكان آخر نذهب إليه. يوم الجمعة هو الوحيد الذي لا توجد فيه رياضة أو نشاطات خارج المنهاج، وكلّ ما نودّ القيام به حقّاً هو مشاهدة التلفاز.

مع ذلك، ماما تكره مجموعة الشباب، وكراهيّتها تلك برأي كينيدي هي أطرف شيء في العالم. «هاي، يا أمَّ بي» قالت كينيدي، وهو ما تنادي به ماما. «هل سمعتِ عن الخراء في العصيدة؟».

«الخراء في العصيدة؟!» قالت ماما.

«تعلّمنا عنها في مجموعة الشباب» قالت كينيدي، «قدّم لوك وماي عرضَ دمى عن المخدّرات: قال الحمار «حسناً، نَفَسٌ واحد من سيجارة ماريجوانا لن يضرّ» لكنّ الحمل أجابه: «الحياة هي عصيدة والوعاء خراء. إن وضع أحدهم ولو مقداراً ضئيلاً من الخراء في العصيدة، هل سترغب حقّاً أن تأكل منها؟!».

«وهذان الغبيّان يتساءلان لماذا يهرب الناس من الكنيسة! عرض دمى للمراهقين...» وقبل أن تفقد ماما أعصابها أمسكتُ يد كينيدي، «هيّا نذهب إلى دورة المياه مرّة أخرى» قلتُ. دورة المياه موجودة في الجزء الثابت من المطعم، لذلك لن تجدوا طاولتكم حيث تركتموها عندما تعودون. عدنا هذه المرّة كما في المرّات السابقة. «أين اختفت طاولتنا؟!» وأخيراً لمحنا ماما.

بابا كان هناك أيضاً! يرتدي بنطال جينز وبوطاً مريحاً ومعطفاً، وما تزال

شارة مايكروسوفت حول رقبته. أحياناً تعرفون الأشياء دون سبب، وفي تلك اللحظة أدركتُ أنّ بابا اكتشف موضوع انزلاق الطين.

«أبوكِ هنا!» قالت كينيدي، «لا أصدّق أنّه أتى إلى حفلة عيد ميلادي! كم هو لطيف!». حاولتُ إيقافها، لكنّها تمَلصت من قبضتي وركضت صوبهما.

«شجيرات توت العليق تلك كانت الشيء الوحيد الذي يثبّت سفح التلّة» كان بابا يقول في تلك اللحظة، «أنت تعرفين ذلك برناديت، بحقّ السماوات! لماذا عرّيتِ كلّ السفح في منتصف شتاء هو الأغزر مطراً منذ أعوام؟».

«كيف اكتشفتَ الأمر؟» قالت ماما، «دعني أحزر: إداريّتكَ كانت تصبّ السمّ في أذنيك».

«دعي سو – لِنْ خارج الموضوع» قال بابا، «إنّها السبب الوحيد الذي سيجعل غيابي ممكناً طيلة ثلاثة أسابيع».

«إن كنتَ مصرّاً على معرفة الحقيقة» قالت ماما، «لقد أزلتُ شجيرات توت العليق بناء على تعليمات باغز ميني».

«باغز ميني من إنسيكلوبيديا براون[1]؟!» قالت كينيدي، «راااائع!».

«هل لكِ أن تكفّي عن المزاح؟» قال بابا لماما، «أنا أخاف عندما أنظر إليك برناديت. لا تريدين التحدّث معي ولا تريدين استشارة طبيب. أنتِ أفضل من هذا».

«بابا؟» قلتُ، «لا تنفعل!».

«أجل حقّاً» قالت كينيدي، «عيد ميلاد سعيد لي».

سادت لحظة صمت، ثمّ انفجرنا أنا وكينيدي بالضحك. «أنا، وكأنّه، عيد ميلاد سعيد لي!» قالت كينيدي مرّة أخرى، ممّا أثار نوبة أخرى من القهقهة.

«منزل آل غريفن انهار تماماً» قال بابا لماما، «وهم يعيشون في فندق. هل يتوجّب علينا أن ندفع لقاء ذلك؟».

«الانزلاق الطينيّ يُعدّ عملاً من فعل الربّ، لذلك ستغطّيه بوليصة تأمين آل غريفن».

1- Encyclopedia Brown مجموعة قصصيّة للأطفال، تروي مغامرات التحرّي الطفل ليروي براون. باغز ميني هو قائد الأشرار. م

بدا بابا أشبه بمجنون دخل الإبرة الفضائيّة ملوّحاً بسلاح محشوّ، من ثمّ وجّهه عليّ وسألني: «بي، لماذا لم تخبريني؟».

«لا أعرف»، أجبتُ بصوت خافت.

«يا للسعادة!» قالت كينيدي، «ها قد عادت بطاقة عيد ميلادي!» وقبضتْ على ذراعي بقوّة وضغطتْ عليها.

«لمَ لا تأخذين بعض الريتالين[1] وتخرسين؟» قلتُ.

«بي؟» هتف بابا، «ماذا قلتِ للتوّ؟ لا يجوز أن تتحدّثي مع الناس بهذا الأسلوب!».

«لا بأس» قالت ماما، «إنّه الأسلوب الذي تتحدّث به إحداهما إلى الأخرى».

«كلّا، ليس كذلك» ثمّ استدار صوب كينيدي، «كينيدي، أعتذر لكِ نيابة عن ابنتي».

«بخصوص ماذا؟!» سألته، «ها قد وصلت بطاقة عيد ميلادي».

«بابا!» قلتُ، «لماذا تكترث؟ أنت أصلاً لا تحبّ كينيدي».

«لا يحبّني؟!» قالت كينيدي.

«بالطبع أحبّكِ. كيف يمكنكِ أن تقولي شيئاً كهذا بي؟ ماذا يحصل في هذه العائلة؟ جئتُ إلى هنا كي نتحدّث فقط».

«لقد جئتَ إلى هنا كي تصرخ على ماما» قلتُ، «لقد صرخت أودري غريفن بوجهها قبلك، ولم تكن موجوداً حتّى! كان أمراً فظيعاً!».

«أخذتُها! أخذتُها!»، تسلّقت كينيدي فوقي واختطفتْ بطاقة عيد ميلادها.

«أنا لا أصرخ بوجه أمّك» قال بابا باضطراب، «إنّها محادثة بيني وبين والدتك. أخطأتُ بمقاطعة عيد ميلاد كينيدي، لكن لم أعرف متّى ستسنح لي فرصة ثانية».

«لأنّك تعمل طوال الوقت» غمغمتُ.

1- Ritalin دواء يستخدم بشكل أساسيّ لتحسين التركيز والتقليل من النشاط الزائد عند الأطفال المصابين بـ «اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط». م

«ماذا قلتِ؟» سأل بابا.

«لا شيء».

«أنا أعمل من أجلك ومن أجل ماما، ولأنّ العمل الذي أقوم به قد يتيح مساعدة ملايين الناس، وأنا أعمل ساعات أطول الآن كي أستطيع اصطحابك إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة».

«أوه لا!» زعقت كينيدي، «أكرهها!» وكانت على وشك تمزيق البطاقة لكنّني اختطفتُها من يدها. البطاقة مليئة بعبارات بخطوط مختلفة، وقلّة منها «عيد ميلاد سعيد»، أمّا معظمها فهو أشياء من قبيل «يسوع هو مخلّصنا، تذكّري أنّ الربّ يسوع مات من أجل خطايانا»، إضافة إلى مقاطع من الإنجيل. أخذتُ أضحك، من ثمّ بدأت كينيدي بالبكاء وهو ما تفعله أحياناً. في هذه الحالة، عليكم انتظارها حتّى تنتهي، حقّاً، لا أكثر.

اختطفت ماما البطاقة. «لا تقلقي كينيدي!» قالت، «سأذهب وأنال من أولئك المهووسين بيسوع».

«كلّا لن تذهبي» قال بابا.

«اذهبي!» قالت كينيدي بمرح مفاجئ، «أريد أن أتفرّج».

«أجل ماما، أريد أن أتفرّج أيضاً!».

«سأغادر» قال بابا، «لا أحد مهتمّ، لا أحد يصغي، لا أحد يريدني هنا. عيد ميلاد سعيد كينيدي. إلى اللقاء بي. هيّا برناديت، انطلقي، اجعلي من نفسكِ أضحوكة، وهاجمي الناس الذين وجدوا في الواقع معنى لحياتهم. سنكمل عندما تعودين إلى المنزل».

عندما عدنا، كانت غرفة نومهما مضاءة. اتّجهت ماما فوراً إلى بتي تريانون، أمّا أنا فدخلتُ المنزل. تعالى صرير ألواح الأرضيّة الخشبيّة من الأعلى. كان ذلك بابا، نهض من السرير وجاء إلى الدرج.

«أيّتها البنتان!» صاح، «هل عدتما؟».

حبستُ أنفاسي، انقضت دقيقة كاملة. عاد بابا إلى الغرفة، من ثمّ دخل الحمّام وسمعتُ الماء يُدلَق في المرحاض. جررتُ آيس كريم من عنقها السمين، ونمنا أنا وهي وماما في بتي تريانون.

ماما لم تلقّن أولئك المهووسين بيسوع درساً، لكنّها كتبت على البطاقة: «إنّه عيد ميلاد طفلة. ما مشكلتكم بحقّ الجحيم يا قوم؟» ووضعتها على النافذة.

بدأتُ بالدوران ونحن نغادر.

***

الثلاثاء 16 كانون الأوّل

من: غوين غودبير

إلى: أودري غريفن

صباح الخير أودري. لقد راجعتُ الموضوع مع كايت ويب، وهي تتذكّر أنّ برناديت وإيلجن برانش طلبا شطب اسميهما من جميع قوائم غايلر ستريت البريديّة عندما سجّلا بي. تحقّقتُ مرّة ثانية بنفسي وبالفعل، اسماهما غير مُدرَجين على أيّ من القوائم التي نستعملها حاليّاً.

في سياق آخر، أنا سعيدة أنّ أوضاعك استقرّت، وشبكة الإنترنت تعمل لديك الآن. كما نوّهتُ في الإيميلات الثلاثة التي أرسلتُها ولم تجيبي عليها، من الضروريّ للغاية أن نجتمع ونناقش وضع كايل بناء على رأي مستر ليفي. يمكنني ترتيب اللقاء كما يناسبكِ.

مودّتي،

غوين

***

كنّا نقوم بجولة من المفردات السريعة في غرفة الصفّ يومها. يقول مستر ليفي كلمة ويشير إلى أحدنا، ويكون على الطالب استخدامها في جملة. قال مستر ليفي «غلّف»، وأشار إلى كايل الذي قال «غلِّفْ قضيبي». لم نضحك هكذا من قبل! ولذلك أراد مستر ليفي أن يلتقي مع أودري غريفن. صحيح أنّ الجواب كان مضحكاً للغاية، لكنّني أعرف لماذا هو سيّء.

***

من: سو -لِنْ لي- سغال

إلى: أودري غريفن

قرّرتُ أن أتجاهل نبرة إيميلك السابق البغيضة، وأن أعزوها إلى ظروف حياتك الصعبة.

أودري! لقد فهمتِ إيلجي خطأً!

هذا الصباح، ركبتُ باص الشركة من محطّتي المعتادة، وجلستُ في الخلف. بعد عدّة محطات، انضمّ إلينا إيلجي الذي يبدو أنّه لم يحظَ بقسط كافٍ من النوم، لكنّ وجهه أشرق عندما لمحني (أظنّ أنّه نسي أنّني سجّلتُ اسمينا بالباص ذاته). هل تعرفين أنّه من عائلة مرموقة في فيلادلفيا؟ بالطبع إيلجي لا يأتي ويتباهى بذلك، مع أنّه قضى عطلاته الصيفيّة في أوروبا أثناء طفولته. شعرتُ بالحرج عندما اعترفتُ له أنّني لم أغادر الولايات المتّحدة الأمريكيّة قطّ.

«يجب أن نغيّر هذا، أليس كذلك؟» قال.

لا تقفزي إلى الاستنتاجات أودري! قال ذلك مجازيّاً، بالطبع لا يخطّط لأخذي برحلة إلى أوروبا أو أيّ شيء مماثل.

لقد ارتاد مدرسة داخليّة (في هذا الصدد، يبدو أنّنا أنا وأنتِ مُضَلَّلتان بكلّ بساطة! الأشخاص مثلي ومثلك، الذين نولد في سياتل ونذهب إلى جامعة واشنطن، نفتقدُ إلى... لا أريد أن أستعمل كلمة «الرقيّ»، لكنّنا نفتقر إلى شيء ما كي نفهم وجهة النظر الأرحب تلك إلى العالم).

عندما سألني إيلجي عن حياتي، انزعجتُ لأنّني عشتُ حياة مملّة. الشيء الوحيد الذي استطعتُ التفكير به ويبدو مثيراً للاهتمام -ولو قليلاً- كان إصابة والدي بالعمى عندما كنتُ في السابعة، وكيف اضطررتُ للاعتناء به.

«تمزحين!» قال إيلجي، «إذاً كنتما تتواصلان بلغة الإشارة!»

«في حال واحدة: عندما أكون شرّيرة» زجرته، فاحتار. «كان أعمى لا أصمّ» قلتُ، من ثمّ انفجر كلانا بالضحك، فعلّق أحدهم: «ما هذا؟ هل هو باص بِلتاون؟» إنّها نكتة متداولة هنا في الشركة. باص بلتاون صاخب للغاية، أكثر بكثير من باص كوين آن، لذلك كان التعليق مزيجاً من «اختليا في غرفة»، وإشارة إلى المرح الذي يحظون به في باص بلتاون. لا أعرف إن ساعدكِ هذا الإيضاح على الإحساس بطرافة الموقف، ربّما كان يجب أن تكوني معنا.

انتقلنا إلى موضوع العمل، كان إيلجي قلقاً بسبب الإجازة الطويلة التي سيأخذها في الكريسماس.

«أنت تعتقد أنّها شهر» قلتُ له، «في الواقع، إجازتك هي سبعة وعشرون يوماً، منها اثنا عشر يوماً عطلة كريسماس يتوقّف نشاط مايكروسوفت خلالها بأيّ حال، وستّة أيام هي عطلات نهاية الأسبوع، وخمسة أيّام سفر ستتواجد خلالها في فنادق تؤمّن شبكة إنترنت، لقد تحقّقتُ من الأمر. هذا يتركك خارج نطاق التواصل لمدّة تسعة أيّام فقط، وكأنّك مصاب بإنفلونزا عنيفة».

«واو!» قال، «أستطيع أن أتنفّس أخيراً».

«غلطتك الوحيدة هي إبلاغ الفريق بسفرك في المقام الأوّل. كان بوسعي أن أغطّي غيابك ولن يعرف أحد».

«أخبرتهم قبل أن تأتي أنتِ»، قال.

«إذاً أسامحك»

الأروع هو أنّ معنويات إيلجي ارتفعت عندما وصلنا، ممّا جعلني سعيدة أيضاً!

***

رسالة من السيّدة غوديير سُلِّمَت باليد إلى ويستن

أودري ووارن،

قُدِّمَتْ إليّ اتّهامات مقلقة بخصوص كايل. قبل شهر، أتت إحدى الأمّهات إلى مكتبي واتّهمت كايل بأنّه يبيع المخدّرات للطلاب في الردهات، لكنّني رفضتُ تصديقها من أجلكما ومن أجل مصلحة كايل على السواء.

بأيّ حال، أتت أمٌّ أخرى إليّ في الأمس، وقالت إنّها عثرت على عشرين حبّة في حقيبة طفلها / طفلتها وهذه الحبوب هي أوكسي كونْتِن. بعد استجواب الطالب / ة، اعترف/ ت أنّ مصدرها هو كايل. سمحتُ للطالب/ ة باستكمال ما تبقّى من الدروس خلال الأسبوع القادم، علماً إنّه / إنّها سيتلقّى / ستتلقّى العلاج خلال العطلة الشتويّة.

أريد أن أتحدّث معكِ ومع وارن حالاً.

مودّتي،
غوين غوديير

***

من: أودري غريفن
إلى: غوين غوديير
عليك أن تجدي عذراً أفضل إن كنتِ ترغبين بإقحام كايل في حلقة توزيع المخدّرات في غايلر ستريت. وارن يشعر بالفضول لمعرفة كيف يمكن لوصفة قانونيّة خاصّة بي، طلبتُ من كايل إمساكها لأنّني كنتُ أستند على عكّازين بسبب أذيّة أصابتني في حرم مدرستكِ -وهو أمر لم أفكّر باعتبار غايلر ستريت مسؤولة عنه، مع أنّ المهلة القانونيّة لرفع دعوى أعطتني وقتاً كافياً لتغيير رأيي- لها علاقة أيّاً كانت مع عشرين حبّة أوكسي كونتن! هل كان اسمي مكتوباً على تلك الحبوب أيضاً؟

على ذكر وارن، وارن يستقصي الآن شرعيّة السماح لطالب يُعرَف عنه أنّه مدمن باستكمال الفصل الدراسيّ. ألا يُعدّ تهديداً لباقي التلاميذ؟ أنا أسأل بدافع الفضول.

إن كنتُ مصمّمة على إلقاء اللوم على أحد، أقترح أن تنظري في المرآة.

***

من: أودري غريفن
إلى: سو -لِنْ لي- سغال
اعذريني لردّي المتأخر، لكنّني استغرقتُ ساعة كي أتغلّب على دهشتي! أنا سأمضي الكريسماس في فندق، وأنتِ تمدحين جلّادي! وفق معلوماتي، تشير الروزنامة إلى 14 كانون الأوّل وليس 1 نيسان!

***

من: سو -لِنْ لي- سغال
إلى: أودري غريفن
سأوضّح لكِ: عندما يمشي إيلجي برانش بين مقاعد باص مايكروسوفت، فهو أشبه بديانا روس وهي تمشي بين جمهورها العاشق كما رأيناها مرّة في

لاس ڤيغاس. حرفيّاً، الناس يمدّون أيديهم ويلمسونه! لستُ متأكّدة أنّ إيلجي يعرف أيّاً منهم، لكنّه ترأس اجتماعات عملاقة، وقاد فرقاً عديدة، وبالتالي وجهه مألوف بالنسبة إلى المئات، إن لم يكن الآلاف، من موظّفي مايكروسوفت. في العام الماضي عندما ربح جائزة «القيادة التكنولوجيّة المتميّزة» -والتي تُمنَح سنويّاً لأعظم عشرة مخترعين في شركة قوامها أكثر من مئة ألف موظّف- علّقوا صورة ضخمة لإيلجي تدلّت من المبنى 33، كما أنّه جمع أموالاً أكثر من أيّ شخص آخر لصندوق التبرّعات من أجل حملة عطاء على مستوى الشركة، فضلاً عن العرض الذي قدّمه في TED،والذي يحتلّ المرتبة الرابعة من حيث عدد المشاهدات في تاريخ خطابات TED بأسره. لا عجب أنّه يغطّي أذنيه بسمّاعة عازلة للأصوات! وإلّا سيتسلّق الناس بعضهم فوق بعض كي يقضوا وقتاً معه وجهاً إلى وجه. بصراحة، يفاجئني أصلاً أنّه يستقلّ باص الشركة إلى العمل!

ما أريد قوله هنا: سيكون من غير المهنيّ على الإطلاق أن نتطرّق إلى موضوع انتهاكات برناديت، بينما يحاول الجميع جاهدين استراق السمع.

***

من: أودري غريفن

إلى: سو -لِنْ لي- سغال

لا أبالي البتّة بتيد هذا، لا أعرف من يكون ولا يهمّني ماذا يقول خلال خطابه الذي تصرّين على الحديث عنه.

***

من: سو -لِنْ لي- سغال

إلى: أودري غريفن

TED هو اختصار يشير إلى التكنولوجيا، التسليّة، والتصميم. مؤتمر TED هو لقاء حصريّ يجمع ألمع العقول في العالم، ويقام مرّة واحدة سنويّاً في لونغ بيتش. اختيار أيّ شخص لتقديم عرض فيه هو امتياز عظيم. أرفق لكِ رابطاً للعرض الذي قدّمه إيلجي في TED.

***

العرض الذي قدّمه بابا في TED كان فائق الأهميّة في الحقيقة!وجعلته السيّدة غودير يعيده أمام أطفال المدرسة بعد أن سمع به الجميع. من الصعب تصديق أنّ أودري غريفن لم تسمع به.

***

نقل كتابيّ مباشر لعرض بابا في TED، من قبل المدوِّن الأنزيم المُقنَّع

استراحة ما بعد الظهر 4:30

بقيت نصف ساعة حتّى بداية الجلسة العاشرة «الكود والعقل»، وهي الأخيرة لهذا اليوم.

الفتيات في كشك فُوج للشكولاتة قمن بمجهود رائع فعلاً في هذه الاستراحة، وهنّ يوزّعن الكمأة مع شرائح لحم الخنزير المقدّد. خبر عاجل: في نهاية الجلسة التاسعة، بينما كان مارك زوكربيرغ يثرثر بشيء ما عن حافزٍ تعليميّ لم يكترث به أحد، بدأت فتيات فُوج بقلي اللحم، وفاحت الرائحة في القاعة، ممّا جعل الجميع يتهامسون بحماس: «هل تشمّ شرائح لحم الخنزير المقدّد؟! أنا أشمّها!». اندفع كريس خارجاً، ولا بدّ أنّه وبّخ فتيات فُوج، لأنّ الماسكارا تقطر من خدودهنّ الآن. هناك من ينتقد كريس دائماً، وهذا بالطبع لم يحسّن صورته.

4:45 الناس يتوافدون إلى القاعة لحضور الجلسة العاشرة.

-بن أفليك يلتقط صوراً مع موراي جِل- مان. الدكتور جِل – مان وصل صباحاً بسيّارة ليكسوس تحمل لوحات نيومكسيكو، وهو يقرأ «الكواركات». لمسة لطيفة، رجل لطيف.

– عندما كنّا في الاستراحة، تحوّلت المنصّة إلى غرفة جلوس، أو ربّما مهجع جامعة. أريكة مفردة، جهاز تلفزيون، ميكروويف، مكنسة كهربائيّة، وروبوت أيضاً!

-يا إلهي! هناك روبوت على المنصّة! إنّه روبوت ظريف، ارتفاعه

أربعة أقدام، شكله بشريّ وانحناءاته تشبه الساعة الرمليّة. هل أجرؤ على القول إنّه روبوت مثير؟! امـمـم، وفق البرنامج، الضيف التالي هو راقصة من مدغشقر ستناقش مسيرتها الإبداعيّة. لماذا الروبوت إذاً؟ هل ستُعرَض رقصة إفريقيّة- سحاقيّة - روبوتيّة في غرفة الجلوس؟! ابقوا معنا، قد يصبح الموضوع أكثر إثارة.

-هناك رجل يغطّي عينه برقعة، ويلبس جاكيتاً مثل نهرو- أدلى بخطاب مشوّش في السنة الماضية عن المدن العائمة - جلس للتوّ حيث يجلس آل غور عادة. لا توجد بالطبع مقاعد محجوزة في TED، لكنّ آل غور يجلس دائماً في الصفّ الثالث، الممرّ الأيمن، منذ أيّام مونْتيري. الجميع يعرفون ذلك! لا أحد يذهب ويحتلّ بقعة آل غور هكذا!

- جاين تتولّى الإعلان عن البرنامج: انتقاء حقائب الهدايا ينتهي اليوم، الفرصة الأخيرة لقيادة سيّارة تسلا تجريبيّة، الغداء غداً مع (الرائع) إي. أو. ويلسون للاطّلاع على مستجدّات أمنيته في TED: موسوعة الحياة.

- دخل آل غور للتوّ وهو يتحدّث مع والديّ سيرغي برِن. إنّهما ظريفان جدّاً، وضئيلان، ولا يتكلّمان الإنجليزيّة بطلاقة.

- كلّ العيون مركّزة على نائب الرئيس لمعرفة كيف سيتصرّف إزاء احتلال مقعده. يعرض عليه جاكيت نهرو أن ينهض، لكنّه يرفض. نهرو يعطي غور بطاقة عمل! يا لها من خدعة رخيصة! أطلق الجمهور أصوات استهجان لما قام به، لكن لن يعترف أحد أنّه مهتمّ لتلك الدرجة بالموضوع.

آل غور يأخذ البطاقة مبتسماً. أنا أحبّ آل غور.

5 بعد الظهر كريس يعتلي المنصّة.

ويعلن أنّه قبل السيّدة الإفريقيّة هناك عرض مفاجئ، ويعدنا أنّه سيعصف برؤوسنا عصفاً عن التفاعل ما بين الكمبيوتر والدماغ. أجفل الناس من غفوة اللحم المقدّد بالكمأة. قدّم كريس إيلجن براون من... انتظروا الخبر: قسم الأبحاث في مايكروسوفت! قسم الأبحاث هو المجموعة الوحيدة التي تحظى ببعض الاحترام في مايكروسوفت، لكن حقّاً؟! مايكروسوفت؟!

خاب أمل الحضور وتبخّرت الطاقة.

5:45 يا إلهي!

تجاهلوا سخريّة منشور الساعة الخامسة! أمهلوني لحظة... أحتاج إلى بعض الوقت.

7 مساءً سامانثا 2:

شكراً لصبركم. هذا العرض لن يُنشَر في موقع TED قبل شهر. في الوقت الحاليّ، دعوني أحاول أن أفيَه حقّه. تحيّة كبيرة لصديقتي المدوِّنة TEDGRRRL لأنّها سمحت لي بالنقل الكتابيّ لمحتويات الڤيديو من هاتفها.

5 بعد الظهر يضع إيلجن برانش سمّاعته على رأسه. ظهر على الشاشة الكبيرة:

إيلجن برانش.

(يجب أن تتعاطفوا مع أولئك الذين لديهم خمس دقائق فقط، إنّهم جميعهم مستعجلون وعصبيّون)

5:01 برانش: «قبل خمسة وعشرين عاماً، عملي الأوّل كان اختبار كود برمجيّ لفريق الأبحاث في دوك الذي يحاول الدمج بين العقل وبين الكمبيوتر».

5:02 جهاز التحكّم عن بعد لا يعمل. برانش يضغطه مرّة ثانية، ثمّ ثالثة. برانش يتطلّع حوله ويقول: «هذا لا يعمل»، موجّهاً كلامه للجميع لا لشخص بعينه.

5:03 يستمرّ برانش بشجاعة دون ڤيديو. «وضعوا قردين من فصيلة الريزوس أمام شاشة ڤيديو، مزوّدة بجوي ستيك تتحكّم بكرة صغيرة متحرّكة. في كلّ مرّة يستعمل فيها القردُ الجوي ستيك لإسقاط الكرة في السلّة، يُكافَأ بالطعام». يكبس جهاز التحكّم مرّة ومرّات ويتطلّع حوله، لا أحد سيساعده! هذا سخيف! هذا الرجل يتحلّى بروح رياضيّة! ديڤيد بيرن غادر المنصّة غاضباً عندما صفّر الجمهور.

5:05 برانش: «كان من المفروض أن أعرض لكم ڤيديو عن دراسة دوك الرائدة، ستشاهدون فيه زوجاً من القرود مع مئتي إلكترود مزروع في القشرة

الحركيّة لدماغيهما. يبدوان مثل لعبة باربي بشَعر طويل، لكن مع قبّة رأس مفتوحة تتدلّى منها مجموعة أسلاك. إنّه مرعب للغاية! لعلّ الأفضل ألّا أعرضه عليكم! بأيّ حال، كانت تجربة باكرة عن التداخل ما بين الكمبيوتر والدماغ»، ثمّ يضغط جهاز التحكّم مرّة أخرى. «هناك سلايد رائع يشرح كيف يعمل ذلك».

برأيي المتواضع، هذا الرجل يجب أن يغضب أكثر! إنّه مؤتمر حول التكنولوجيا، ولا يستطيعون جعل جهاز التحكّم يعمل؟!

5:08 برانش: «بعد أن أتقن القردان تحريكَ الكرة باستخدام الجوي ستيك، قام الباحثون بفصلها. حرّكها القردان لوهلة، لكنّهما أدركا أنّها لا تعمل. مع ذلك، يريدان المكافأة! لذلك جلسا وحدّقا بالشاشة وهما يفكّران بتحريك الكرات إلى السلّة، في تلك اللحظة، تفعّلت الإلكترودات المزروعة في القشرة الحركيّة لدماغ كلّ منهما، ونقلت «أفكارهما» إلى كمبيوتر برمجناه مسبقاً لتفسير إشارات دماغيهما، والعملِ بمقتضى ما يفكّران به. من ثمّ، أدرك القردان أنّهما قادران على تحريك الكرة بمجرّد التفكير بذلك، ونالا المكافأة. أروع ما في الموضوع حين تشاهدون الڤيديو...» برانش يزمّ عينيه في بقعة الضوء. «هل يمكننا عرض الڤيديو؟ سيكون رائعاً لو شاهدنا ڤيديو! بأيّ حال، السرعة التي أتقن بها القردان تحريك الكرات بمجرّد التفكير بذلك مدهشة: استغرق ذلك خمس عشرة ثانية».

5:10 برانش وهو يزمّ عينيه ناظراً صوب الجمهور: «بقيت دقيقة واحدة كما يقولون لي».

5:10 يقفز كريس إلى المنصّة ويعتذر. إنّه مستاء بسبب جهاز التحكّم، كلّنا كذلك. هذا الرجل برانش لطيف ومتواضع، ولم يقل شيئاً عن الروبوت!

5:12 برانش: انتهى العمل. بعد سنوات، وجدتُ عملاً آخر في مايكروسوفت ضمن قسم الروبوت». يهلّل الحشد، يزمّ برانش عينيه: «ماذا؟». من الواضح أنّه لا يدري كم نحن متحمّسون لذلك الروبوت اللعين.

5:13 برانش: «عملتُ على الروبوت الشخصيّ الذي يتمّ تفعيله صوتيّاً، والذي ترونه أمامكم الآن». يزمجر الحشد. من يبالي إن أعلن كريغ ڤنتر للتوّ

أنّه صنع كائنات حيّة تعتمد على الزرنيخ في أنبوب اختبار؟! أعطنا روبوتاً من طراز جتسون[1] في أيّ وقت!

5:13 يتابع برانش: «لنفترض أنّني أرغب بتناول البوشار، سأقول: سامانثا!» وعندها أضاء الروبوت. «لقد أسميناها سامانثا تيمناً بتلك الشخصيّة في Bewitched». ضَحِكٌ. «سامانثا، من فضلك اجلبي لي بعض البوشار». عليكم أن تروا هذا الرجل برانش! إنّه لطيف جدّاً وليس مدّعياً، ببنطال جينز وقميص ودون حذاء! يبدو وكأنّه نهض من سريره للتو!

5:14 تنزلق سامانثا نحو الميكروويف وتفتحه، وتتناول كيس بوشار. برانش: «كان علينا إعداده مسبقاً، وكأنّنا في برنامج طبخ». تنزلق الروبوت نحو برانش، وتعطيه كيس البوشار. تصفيق. برانش: «شكراً لكِ سامانثا»، تجيبه الروبوت: «على الرحب والسعة». ضحكٌ. برانش: «إنّها تكنولوجيا ظريفة، أساسيّة، تتفعّل صوتيّاً».

5:17 يقول صوت من الصفّ الأماميّ: «هل لي ببعض منه؟» إنّه ديڤيد بوغ. برانش: «حسناً، اطلب منها». بوغ: «سامانثا، اجلبي لي بعض البوشار»، لكنّ الروبوت لم تتحرّك. برانش: «قل: من فضلكِ»، بوغ: «هراء!!». ضحكٌ. برانش: «أنا جادّ. كانت ابنتي في الثامنة من عمرها عندما كنتُ أعمل على سامانثا، واتّهمتني أنّني متنمّر، لذلك أدخلتُ «من فضلكِ» في برنامجها. إنّها الكلمة السحريّة حرفيّاً». بوغ: «سامانثا، أعطني بعض البوشار... من فضلك؟». أصوات تعجّب! تنزلق الروبوت إلى حافّة المنصّة وتمدّ كيس البوشار، لكنّها تسقطه قبل أن يمسكه بوغ. يندلق البوشار على المنصّة.

5:19 برانش: «إنّها مايكروسوفت. لدينا أخطاء في البرمجة».تهدر عاصفة من الضحك، يبدو برانش منزعجاً: «الأمر ليس مضحكاً لهذه الدرجة!» يقول.

5:21 برانش: «لقد علّمنا سامانثا خمسمئة أمر، ويمكننا تعليمها خمسمئة أخرى. ما أعاقنا هو وجود آلاف الأجزاء المتحرّكة فيها، وبالتالي لا يمكن

1- The Jetsons مسلسل كرتون أمريكيّ عرض أوّل مرّة عام 1962. يصوّر عائلة جتسون التي تعيش في المستقبل، وتعتمد على أنواع كثيرة من الروبوتات. م

تطويرها بسرعة لتتلاءم مع متطلّبات السوق، كما أنّ كلفتها باهظة. في النهاية، أُلغِيَ مشروع سامانثا». يشهق كلّ الحضور أووووو.... برانش: «من أنتم يا قوم؟ مجموعة مهووسين؟».

إنّها عبارة كلاسيكيّة فوريّة من TED!

5:23 يتمشّى رجل صوب المنصّة حاملاً جهاز تحكّم جديداً. في منتصف طريقه، يتوقّف كي يرفع بنطاله. برانش: «خذ وقتك». ضحكٌ وضحكٌ.

5:24 برانش: «إذاً، أُلغِيَ مشروع سامانثا، عندها تذكّرتُ القردين في تجربة دوك، وفكّرتُ: اممم، العاملُ الذي يجعل عملية خلق روبوت شخصيّ عمليّة معقّدة هو الروبوت بحدّ ذاته. لِمَ لا نستغني عنه؟!».

5:25 وأخيراً! جهاز التحكّم عن بعد يعمل، يبدأ برانش بعرض السلايدات. الصورة الأولى هي لقردين تنتأ الأسلاك من رأسيهما. يشهق الحضور ويصرخ بعضهم. برانش: «آسف آسف!». برانش يطفئ العرض.

5:26 برانش: «وفق قانون مور، عدد الترانزيستورات التي يمكن وضعها على شريحة المعالِج يتضاعف كلّ عامين. وهكذا، في غضون عشرين عاماً، الذي كان يوماً ما هذا المنظر المرعب... أصبح هذا»، ويتنقّل بين السلايدات وصولاً إلى سلايد يعرض رأساً حليقاً لشخص ما، وما يشبه رقاقة كمبيوتر مزروعة تحت جلده.

5:26 برانش: «ومن ثمّ أصبح هذا...»، يرفع خوذة كرة قدم عليها شعار سيهوكس تنتأ من داخلها إلكترودات وأسلاك. «تلبسونها فقط، دون ضرورة لزرع أسلاك داخل رؤوسكم».

5:27 برانش يضع الخوذة مكانها، ثمّ يمدّ يده إلى جيبه. «ومن ثمّ أصبح هذا...»، ويرفع شيئاً يشبه لصاقة جروح باند – آيد. «أيّها التيديّون، أقدّم لكم سامانثا 2».

5:27 برانش يلصق الباند – آيد على جبهته تحت خطّ الشعر مباشرة، ثمّ يجلس على الأريكة. برانش: «سأقدّم عرضاً مباشَراً للمتشكّكين». يجذب مقبض الأريكة، فيميل ظهرها للخلف.

5:29 صوتٌ غريب. لقد بدأت المكنسة بالعمل! إنّها تتحرّك من تلقاء

ذاتها وتشفط البوشار. برانش يستلقي على الأريكة وعيناه مفتوحتان، وهو يركّز على البوشار. المكنسة تنطفئ، يستدير برانش صوب التلفاز.

5:31 التلفاز يشتغل من تلقاء ذاته، القنوات تتغيّر، تتوقّف عند واحدة تعرض مباراة لايكرز.

5:31 يتغيّر ما يُعرَض على الشاشة الكبيرة إلى آوت لوك. يُفتَح إيميل فارغ، ينتقل المؤشّر إلى حقل المُرسَل إليه، ويكتب من تلقاء ذاته! «برناديت»، ثمّ يقفز المؤشّر إلى حقل الرسالة: «سار TED على نحو جيّد. جهاز التحكّم لم يعمل. من المؤسف ألّا أحد يعرف ما هو الباور بوينت هنا. ديڤيد بوغ أخرق نوعاً ما. ملاحظة: اللايكرز يتقدّمون في منتصف المباراة بفارق ثلاثة أهداف».

الحضور جميعهم يقفون، الوصف الأدقّ لما نسمعه هو زمجرة الجمهور. برانش ينهض وينزع لصاقة «الباند – آيد» عن جبهته، ويرفعها.

5:32 برانش: «في آذار، أرسلنا سامانثا 2 إلى مستشفى والتر ريد. زوروا موقع مايكروسوفت اليوم، وشاهدوا ڤيديو عن جنود سابقين مشلولين يستعملون سامانثا 2 كي يطبخوا بأنفسهم في مطابخ ذكيّة، ويشاهدوا التلفاز، ويعملوا على الكمبيوتر، بل وحتّى كي يعتنوا بحيوان أليف. في سامانثا 2، هدفنا هو مساعدة جنودنا الجرحى على أن يعيشوا حياة مستقلّة ومنتجة. الاحتمالات غير متناهية. شكراً لكم».

يجنّ جنون الحضور، يصعد كريس إلى المنصّة وها هو يعانق برانش. لا أحد يستطيع أن يصدّق ما رأيناه للتو!

***

ها نحن ذا! ذلك كان مشروع سامانثا 2.

***

من: أودري غريفن

إلى: سو –لِنْ لي– سغال

سئمتُ منكِ! هل تفهمين؟ كفى!

***

من د. جانِل كورتز

عزيزي السيّد برانش،

لقد تلقّيتُ استفسارك بخصوص حالة زوجتك. ربّما أخطأتُ بقراءة نواياك، لكن ما تشير إليه بلطف في رسالتك على أنّه «الراحة والاسترخاء تحت الإشراف الطبّيّ»، والذي تخشى أنّ برناديت «لن تتحمّس له كثيراً»، يكافئ عمليّاً أن تطلب منّي احتجازها ضدّ إرادتها في مادرونا هِل.

العمليّة التي يتمّ بموجبها هذا الإجراء المتطرّف مشروحة بالتفصيل في مرسوم العلاج القسريّ (م. ع. ق)، العنوان 71، الفصل 5، القسم 150 من نظام واشنطن المُعدَّل. استناداً إلى م. ع. ق، كي يقوم خبير الصحّة النفسيّة المُعيَّن من قبل الولاية بوضع شخص في مصحّة نفسيّة ضدّ إرادته، يجب عليه أن يقيّم الشخصَ بدقّة، ويحدّد ما إذا كان يمثّل خطراً داهماً على نفسه أوعلى الآخرين أوعلى الممتلكات، نتيجة لإصابته بمرض نفسيّ.

إن كنتَ تعتقد أنّ زوجتك تمثّل تهديداً كهذا، عليك أن تتّصل فوراً بـ 911، وتجعلهم ينقلونها إلى غرفة الإسعاف حيث سيتمّ تقييمها. إن قرّروا أنّ برناديت تمثّل تهديداً فعليّاً، سيُطلَب منها الخضوع طوعيّاً للمعالجة المناسبة. إن رفضتْ، ستُعلَّق حريّاتُها المدنيّة وتُنقَلُ إلى مصحّة نفسيّة مرخّصة من قبل الولاية، حيث تُوضَع قيد العلاج القسريّ مدّة 72 ساعة. ما سيحصل بعد ذلك تقرّره المحكمة.

يتميّز مادرونا هِل في جزيرة أوركاس -إضافة إلى برامج علاج المرضى المقيمين الطويلة وقصيرة الأمد- بغرفة الإسعاف الخاصّة الوحيدة في الولاية، والتي تُعنى بالحالات النفسيّة. لذلك، أنا أشهد يوميّاً الآثارَ المدمّرة للقبول القسريّ: تتمزّق العائلات، تتدخّل الشرطة والمحامون والقضاة، تصبح الحالة علنيّة وتُسجَّل في السجلّات العامّة، بالتالي تصبح متاحة لكلّ أرباب العمل وكلّ الهيئات الماليّة كي تراها في المستقبل. إنّها عمليّة باهظة التكاليف سواء عائليّاً أوماديّاً أوعاطفيّاً، لذلك يجب أن نلجأ للقبول القسريّ فقط بعد أن نستنفذ كلّ الخيارات الأخرى.

كما قلتَ، سلوك زوجتك مدعاة للقلق. فوجئتُ عندما عرفتُ أنّها لا

تتلقّى العلاج، وهو ما يبدو خطوة منطقيّة أولى. يسعدني أن أقترح بعض الأطباء النفسيّين الرائعين في منطقتك، والذين بوسعهم أن يلتقوا برناديت، ويسألوها الأسئلة المناسبة، كي تتلقّى العلاج الملائم.

لا تتردّد بالاتّصال بي إن كان هذا هو الطريق الذي ستختاره.

المخلصة،

د. جانِل كورتز.

***

رسائل نصيّة فوريّة تبادلها بابا وسو – لِنْ بوساطة تطبيق IM خلال اجتماع الموظّفين

سوولين –ل– إس: هل كلّ شيء على ما يرام؟ تبدو مشتّتَ الذهن.

إيلجن ب: بدأتُ أشكّ في سلامة عقلي. مشكلات عائليّة.

سوولين –ل– إس: لو شرحتَ قصصك عن برناديت في لقاء ض. ض. ض، لن تقول أكثر من جملتين، قبل أن تتعرّض للمِشعل وهو: وقتٌ مستقطع! تصحيح الوقائع!

سوولين –ل– إس: في أيّة لحظة ينزلق فيها المتكلّم إلى قصّة المسيء، مثلاً، إن كنتُ سأقول شيئاً ما مثل «أعرف أنّني دائماً متعبَة، وأنّ كلّ ما أريد الحديث عنه هو العمل» –وهو ما كان باري يتّهمني به– سيقف شخص ويصرخ: مِشْعَل! وقتٌ مستقطع! تصحيح الوقائع!

سوولين –ل– إس: هذا يعلّمنا أن نفصل واقعنا عن قصّة من أساء إلينا، وهي الخطوة الأولى نحو إيقاف حلقة الأذى.

سوولين –ل– إس: أعرف أنّك لن ترتاح لبعض مصطلحات ض. ض. ض. أنا كنتُ كذلك أيضاً، وفكّرتُ: أنا لا أتعرّض للأذى على يد باري!

سوولين –ل– إس: لكن في ض. ض. ض، تعريف الأذيّة واسعٌ قصداً، وإيجابيّ بالنسبة لتقدير الذات. نحن ضحايا، إيّاك أن تفكّر بغير ذلك، لكنّنا نريد أن نترك حالة الضحيّة خلفنا، وهو فرق خفيّ، لكنّه مهمّ.

سوولين -ل- إس: إيلجي، أنتَ في المستوى 80 في الشركة الأولى على مستوى العالم، لقد نلتَ حقوق وديعة التقاعد[1] 3 مرّات، لديك ابنة تزدهر أكاديميّاً على الرغم من جراحات القلب العديدة التي خضعت لها.

سوولين -ل- إس: عرضك في TED يُصنَّف في المرتبة الرابعة من حيث عدد المشاهدات، ومع ذلك تعيش مع امرأة ليس لديها أصدقاء، وتدمِّر المنازل، وتسقط نائمة في المتاجر؟

سوولين -ل- إس: آسفة إيلجي، أنت تتعرّض هنا للمِشعَل.

إيلجن ب: شكراً لك، لكن عليّ التركيز. سأقرأ بحرص أكبر بعد الاجتماع.

***

الجمعة، 17 كانون الأوّل

من: برناديت فوكس

إلى: مانجولا كابور

لقد عدتُ! هل اشتقتِ لي؟ هل تتذكّرين كيف قلتُ إنّني سأجد طريقة للتملّص من السفر إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة؟

ماذا لو خضعتُ لجراحة إسعافيّة؟

الدكتور نيرغارد طبيب أسناني يصرّ دائماً على اقتلاع كلّ أضراس العقل الأربعة، وهو ما لم أكن مستعجلة أبداً للقيام به.

لكن ماذا لو اتّصلتُ بالدكتور نيرغارد، وطلبتُ منه اقتلاع أضراس العقل كلّها في اليوم السابق للرحلة؟ (وعندما أقولُ «ماذا لو اتّصلتُ بالدكتور نيرغارد، وطلبتُ منه اقتلاع أضراس العقل كلّها في اليوم السابق للرحلة؟»،

1- نوع من الاستثمار في خطّة تقاعد يسهم بها كلّ من الموظّف والشركة، حيث يودع الموظّف في حساب التقاعد الخاصّ به مالاً كلّ شهر وتكافئه الشركة -التي تستثمر الوديعة بالطبع- بالإسهام معه بمبلغ ماليّ مقطوع يساوي عادة 50 سنتاً لكلّ دولار من وديعته. يصبح المال الذي تسهم به الشركة من حقّ الموظّف بعد 3-4 سنوات عادة، شرط أن يستمرّ بالعمل لديها طوال هذه الفترة. م

ما أعنيه حقّاً هو ماذا لو اتّصلتِ أنتِ بالدكتور نيرغارد، وطلبتِ منه اقتلاع أضراسي تلك في اليوم السابق للرحلة؟).

سأدّعي أنّها عمليّة إسعافيّة، وأنّني أشعر بالأسى، لكنّ الدكتور منعني من ركوب الطائرة. وهكذا، يذهب الزوج والابنة وحدهما في الرحلة، ولا يلومني أحد.

تجدين رقم د. نيرغارد في الأسفل. حدّدي موعداً للجراحة في 23 كانون الأوّل، في أيّ توقيت بعد العاشرة (هناك حفلة مدرسيّة في الصباح، وبي قامت بتصميم الرقصات. منعتني اللئيمة الصغيرة من القدوم، لكنّني تحقّقتُ من موقع المدرسة الإلكترونيّ، واكتشفتُ متى ستقام الحفلة). خطّتي هي كالتالي: سأذهب إلى المدرسة، ثمّ أتظاهر أنّني أذهب كي أتسوّق للكريسماس، وفي المرّة التالية التي يراني فيها أحد، سأكون أشبه بالسنجاب. سأدّعي أنّ أسناني كانت تؤلمني لذلك مررتُ بعيادة د. نيرغارد، ومن ثمّ، كلّ ما أعرفه هو أنّه اقتلع أربعة أضراس عقل، ولا يمكنني الآن الذهاب إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة. نسمّي هذا هنا في أمريكا حالةَ ربح على جميع الأصعدة.

***

الاثنين، 20 كانون الأوّل

من ماركوس سترانغ / الإف. بي. آي

عزيزي السيّد برانش،

أنا المدير الإقليميّ لمركز شكاوى جرائم الإنترنت IC3، الذي يعمل بالتعاون مع دائرة الأمن الوطنيّ. القسم الذي أديره في IC3 يتعقّب الاحتيال الماليّ الإلكترونيّ وتزييف الهويّات.

لقد دخلتَ دائرة اهتمامنا بسبب فاتورة دُفِعتْ بوساطة بطاقة ڤيزا كارد الخاصّة بك بتاريخ 13 تشرين الأوّل، مقدارها 40 دولاراً لشركة تسمّي نفسها «شركة دلهي الدوليّة للمساعدين الافتراضيّين»، وهي شركة وهميّة تعمل كغطاء لعصابة إجراميّة مقرّها في روسيا. لقد أمضينا الشهور الستّة

الأخيرة ونحن نجمع المعلومات كي نبني قضيّة ضدّ العصابة، وحصلنا قبل شهر على الصلاحيّة لتعقّب الإيميلات بين زوجتك برناديت فوكس وبين «مانجولا».

في سياق تلك المراسلات، كشفت زوجتكَ عن معلومات بطاقة الائتمان، تعليمات التحويل البنكيّ، أرقام الضمان الاجتماعيّ، أرقام رخصة القيادة، العناوين، أرقام جوازات السفر، وصور فوتوغرافيّة لها ولكَ ولابنتكما.

من الواضح أنّك لا تعلم بما يحصل. زوجتكَ تقول في أحد إيميلاتها لـ «مانجولا» إنّك منعتها من الاستعانة بخدمات شركة دلهي الدوليّة للمساعدين الافتراضيّين.

هذه المسألة عاجلة وحسّاسة. البارحة طلبتْ «مانجولا» تفويضاً عامّاً لصالحها عندما تسافر أنت وعائلتكَ إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، لكنّنا استطعنا أن نعترض الإيميل قبل أن تستلمه زوجتكَ. بالحكم على سلوكها السابق، نحن نملك كلّ الأسباب الوجيهة التي تجعلنا نعتقد أنّها ستوقّع التفويض دون تردّد.

ستكون طائرتي قد حطّت في سياتل عندما تنتهي من هذا الإيميل. سآتي إلى مركز الزوّار في مايكروسوفت عند الظهيرة، حيث أتوقّع منك أن تحضر لمقابلتي، وأن تتعاون معنا بشكل مطلق.

سيكون لزاماً عليك خلال الساعات الثلاث التالية ألّا تشارك هذه المعلومة مع أحد، خصوصاً زوجتكَ التي أثبتت أنّها طرف لا يُعتَمد عليه.

مذكّرة التفتيش التي أصدرناها تعطينا الحقّ بالوصول إلى جميع إيميلات زوجتك خلال الأشهر الثلاثة الماضية والتي تتضمّن كلمة «مانجولا». هناك المئات منها حرفيّاً، لكنّني اخترتُ العشرين ذات الصلة الأوثق بالموضوع، وأرفقتُ كذلك إيميلاً مطوّلاً من زوجتك إلى شخص يدعى بول جيلينك. من فضلك اقرأها كلّها قبل وصولي.

أقترح أن تعلّق جدول أعمالك لما تبقّى من النهار، وكذلك طوال الأسبوع.

أتطلّع إلى لقائك في مركز الزوّار. نأمل أن نبقي مايكروسوفت خارج هذا الموضوع من خلال تعاونك المطلق.

المخلص،

ماركوس سترانغ.

ملاحظة: كلنّا نحبّ عرضكّ في TED، أحبّ أن أرى آخر تطوّرات سامانثا 2 إن سمح الوقت.

***

الجزء الرابع

الغزاة

الاثنين 20 كانون الأوّل

تقريرُ الشرطة بناءً على بلاغ المدير الليليّ في فندق ويستن.

ولاية واشنطن

محكمة المقاطعة

مقاطعة كينغ

ولاية واشنطن ضدّ أودري فايث غريفن

أنا، فِل برادستوك، ضابط في شرطة سياتل، بعد أن أقسمتُ اليمين أوّلاً وفق الأصول، أشهد على ما يلي:

انخرطتِ المتّهمةُ المذكورة أعلاه بتاريخ العشرين من كانون الأوّل، في مدينة سياتل، واشنطن، وهي في مكان عامّ، بسلوك غير لائق، مؤذٍ، صاخب أو غير منضبط بأيّ شكل من الأشكال، تحت ظروف يؤدّي فيها مثل هذا التصرّف إلى التسبّب بـ / أو إثارة اضطراب على عكس ما يفرضه RCW9A.84.030c2 وارتكبتْ إساءة من الدرجة الرابعة وفقاً لـ RCW 9A.36.041، وكلّ منهما يُعدّ جنحة تؤدّي في حال ثبوتها إلى تغريم المتّهمة بما لا يزيد على الألف دولار (1000$)، أو الحبس ثلاثين يوماً (30) أو أقلّ، أو كليهما.

هذه المعلومات. تستند إلى شهادة صاحب الشكوى ستيڤن كونيغ، المدير الليليّ لفندق ويستن في مركز المدينة، سياتل. أجد أنّ شهادة ستيڤن كونيغ صادقة وموثوقة.

1. يوم الاثنين 20 كانون الأوّل، في الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريباً، قال ستيڤن كونيغ إنّه كان على رأس عمله كمدير ليليّ لفندق ويستن سياتل، عندما تلقّى اتّصالاً من أودري غريفن نزيلة الغرفة 1601 تشكو فيه من الضجّة في الغرفة 1602.

2. قال السيّد ستيفن كونيغ إنّه تحقّق من لائحة النزلاء ووجد الغرفة 1602 شاغرة.
3. قال السيّد كونيغ إنّ السيّدة غريفن استشاطت غضباً عندما أبلغها بالخبر، وطلبت منه أن يأتي ويتحقّق بنفسه.
4. قال السيّد كونيغ إنّه سمع أصواتاً عالية وضحكات وموسيقا راب وما وصفه بـ «احتفال»،عندما خطا خارج المصعد إلى الطابق السادس عشر.
5. قال السيّد كونيغ إنّه لاحظ آثار دخان، وشمّ رائحة غير مميّزة في الردهة هي باعتقاده رائحة «حشيش».
6. قال السيّد كونيغ إنّه تتبّع الضجّة والرائحة إلى الغرفة 1605.
7. قال السيّد كونيغ إنّه قرع الباب وعـرّف عن نفسه، فانطفأت الموسيقا على الفور وخمدت الضجّة، لكنّ القهقهات تعالت بعد لحظة من الصمت.
8. قال السيّد كونيغ إنّ السيّدة غريفن اقتربت منه في الردهة وهي ترتدي ثوب الفندق، وأصرّت أنّه يقرع الباب الخطأ، لأنّ الغرفة 1605 هي غرفة ابنها كايل الذي كان نائماً.
9. قال السيّد كونيغ إنّه بعد أن أوضح للسيّدة غريفن أنّ الغرفة 1605 هي مصدر الضجّة، وبّخته مستخدمة ألفاظاً مثل «مغفّل»، «غبي»، و«أحمق غير كفء».
10. قال السيّد كونيغ إنّه ذكّر السيدة غريفن بسياسة ويستن المتعلّقة بالإساءة الشفهيّة، لكنّ السيّدة غريفن انتقدت منشأة ويستن مستخدمة تعابير مثل «مزبلة»، «رثّ»، و«زريبة خنازير».
11. قال السيّد كونيغ إنّ السيّدة غريفن استمرّت بالتعبير عن تقييمها السلبيّ للفندق، ثمّ ظهر زوجها وارن غريفن في الردهة بسرواله الداخليّ، وهو يزمّ عينيه.
12. قال السيّد كونيغ إنّ السيّد غريفن حاول أن يهدّئ زوجته، لكنّ محاولته قوبلتْ بالمقاومة والإساءة الشفهيّة.
13. قال السيّد كونيغ إنّه خلال محاولته إسكات كلّ من الزوج والزوجة، تجشّأ السيّد غريفن مطلقاً «رائحة فاسدة كريهة».

14. قال السيّد كونيغ إنّ السيّدة غريفن تهجّمت على زوجها بسبب إدمانه على الكحول، وشهيّته التي لا تُشبَع للستيك.
15. قال السيّد كونيغ إنّ السيّد غريفن عاد أدراجه إلى الغرفة 1601، وصفق الباب خلفه.
16. قال السيّد كونيغ إنّه وبينما كانت السيّدة غريفن مشغولة بالتعبير عن استيائها البالغ من «مخترع الكحول» موجّهةً كلامها إلى باب الغرفة 1601 المغلق، قام بإدخال المفتاح الرئيس الذي يحمله في قفل باب الغرفة 1605.
17. قال السيّد كونيغ «فجأة، أحسستُ برأسي يُشَدُّ للوراء»، لأنّ «تلك العاهرة المجنونة» (السيّدة غريفن) أمسكته من شعره وشدّته، ممّا سبّب له الألم والضيق.
18. قال السيّد كونيغ إنّه أبلغ قسم شرطة سياتل باللاسلكيّ، وبينما كان يتحدّث في اللاسلكيّ دخلت السيّدة غريفن إلى الغرفة 1605 وأطلقت صرخة.
19. قال السيّد كونيغ إنّه دخل الغرفة 1605، وأحصى تسعة أشخاص موجودين فيها: كايل غريفن ابن السيّدة غريفن، ومجموعة من شباب سياتل الجانحين.
20. قال السيّد كونيغ إنّه لاحظ تشكيلة من الأدوات المستخدمة لتعاطي المخدّرات، وعَدَّد من بينها: «نرجيلة، مغلّفات.ورقيّة من تلك التي تستعمل لحفظ المخدّرات، أوراق للفّ السجائر، قوارير أدوية تُصرَف بوصفة طبيّة، ملاقط لحمل السجائر، نوعان من الأنابيب المستعملة لتدخين الحشيش، عدّةُ تعاطي المخدّرات بالوريد، سيرنغات، ملاعق»، و«دخان كثيف». المسح البصريّ للغرفة لم يكشف عن موادّ ممنوعة، ما عدا «بقايا كيس ماريجوانا» فوق الثلّاجة الصغيرة.
21. قال السيّد كونيغ إنّ السيّدة غريفن أمضت نحو خمس دقائق وهي تعبّر بطريقة هستريائيّة عن خيبة أملها باختيار ابنها لأصدقائه.
22. قال السيّد كونيغ إنّ ردّ الفعل الباهت من كايل غريفن ورفاقه يشير إلى أنّهم كانوا مخدّرين تماماً.

23. قال السيّد كونيغ إنّ السيّدة غريفن هجمت فجأة على فتاة تثبّت دبدوباً بدبّوس على جاكيتها من الخلف.

متابعة سرد ما حدث من قبل الضابط:

عندما وصلتُ، عرّفت عن نفسي أنّني من شرطة سياتل. حاولتُ أن أجرّ السيّدة غريفن بعيداً عن الدبدوب الذي يبدو أنّه يسبّب لها كرباً حادّاً، وأبلغتُها أنّني سأضطرّ إلى تكبيلها بالأصفاد إن لم تخفض صوتها وتخرج معي إلى الردهة. بدأت السيّدة غريفن بالصراخ عليّ وإطلاق الشتائم: «أنا مواطنة مثاليّة. أولئك المدمنون هم من يخرقون القانون ويفسدون ابني». أمسكتُ ذراعها اليسرى، لكنّ السيّدة غريفن كالت لي الشتائم وأنا أكبّلها بالأصفاد، وحاولتْ أن تتملّص قائلة: «أبعدْ يديكَ اللعينتين عنّي، لا يمكنك أن تلمسني، لم أرتكب أيّ خطأ» وهدّدتني أنّ زوجها مدّعٍ عامّ، وأنّها ستستخدم فيديو كاميراتِ المراقبة لإثبات أنّني اعتقلتُها دون سبب مُبرَّر، وأنّها ستحرص على عرضه «في كلّ نشرات الأخبار المسائيّة». شرحتُ لها أنّني أحتجزها مؤقّتاً فقط ريثما أتأكّد ممّا يحدث هنا. عندها، وصل ضابطان من فرقة الدعم، وبمساعدة شريكي الضابط ستانتون، رافقا الأشخاص غير المقيمين في الفندق إلى الخارج. في تلك اللحظة، روى صاحب الشكوى حادثة شدّ الشعر والتي أنكرتها السيّدة غريفن إنكاراً قاطعاً، فسألتُ السيّد كونيغ إن كان يريد توجيه تهمة، وعندها قالت السيّدة غريفن بسخرية «ها! إنّها كلمتي مقابل كلمته. من سيصدّق القاضي؟ زوجة مدّعٍ عامّ أم ملك زريبة الخنازير؟». قال السيّد كونيغ إنّه يريد توجيه الاتّهام.

اعتماداً على المعلومات أعلاه، أنا الضابط فِل برادستوك، أطلب من المتّهمة الردّ على التهم الموجّهة إليها.

***

من: أودري غريفن

إلى: سو -لِنْ لي- سغال

مرحباً أيّتها الغريبة! تبيّن لي أنّكِ على حقّ، لقد فقدت الحياة في الفندق

إغراءها أخيراً. سأقبل بعرضك لاستضافتنا في منزل آل سغال. لا تقلقي! أعرف أنّك مشغولة بعملك الجديد الكبير، ولن أجرؤ على إزعاجك.

بحثتُ عنكِ اليوم أثناء انصراف التلاميذ،أخبرني لنكولن أنّكِ تعملين ساعات طويلة لدرجة أنّك لم تزيّني شجرة كريسماس! سأذهب وأبحث في كراج بيتي، وأجلب زينتي الخاصّة. لا تقلقي، سأزيّن منزلكِ ريثما تعودين. لا تحاولي منعي! تعرفين أنّ الكريسماس هو عطلتي المفضلّة!

ما رأيكِ بتلك السخرية؟

هل تتذكّرين عندما تولّى وارن كلّ شيء مجّاناً من أجلكِ أثناء طلاقكِ من باري، ووفّر عليك دفع ثلاثين ألف دولار؟ هل تتذكّرين كيف بكيتِ امتناناً، ووعدتِ أنّك ستردّين لنا معروفنا؟ ها هي فرصتكِ!سأدخل إلى بيتكِ باستعمال المفتاح الذي تتركينه تحت تمثال كيوبيد.

سؤال: ماذا تريدين للعشاء؟ ستجدين وليمة بانتظارك عندما تعودين.

ليباركِك الربّ.

***

من: إيلجن برانش

إلى: سو -لِنْ لي- سغال

أدرك أنّ كلّ ما سمعتِه في ذلك الاجتماع مع العميل سترانغ كان عبئاً ثقيلاً عليكِ، وبعيداً جدّاً عن مقتضيات واجبكِ، لكنّني كنتُ في حالة اضطراب شديد، ولم أستطع المضيّ قدماً في ذلك الاجتماع وحدي. بقدر ما كنتُ مصدوماً -وما زلتُ- أنا شاكر للعميل سترانغ لأنّه سمح لكِ أخيراً بالتواجد معي، وأنا ممتنّ أكثر لكِ لوقوفكِ إلى جانبي.

***

ملاحظة مكتوبة بخطّ اليد من سو - لين

إيلجي،

عملي هو التأكّد من أنّ مشروع سامانثا 2 يسير بسلاسة. معرفة تفاصيل وضعكِ تساعدني على أداء عملي على نحو أفضل. يشرّفنّي ذلك، صدّقني. أعدكَ أنّني لن أخذلك.

من الآن فصاعداً، دعنا نتوقّف عن التواصل إلكترونياً حول ب.

س. ل

***

ردّ مكتوب بخطّ اليد من بابا

سو - لين،

لقد أنهيتُ اتّصالي مع د. كورتز للتوّ. إن كان «التسبّب بالأذى للآخرين» أحدَ المتطلّبات، فقد وقع الكثير منه: قَدَمُ أودري غريفن والانزلاق الطينيّ. حديث ب عن الجرعة الزائدة يُعدُّ بكلّ تأكيدٍ «أذىً للنفس».

ستأتي د. كورتز غداً كي نناقش قبول برناديت في مشفاها.

إ. ب

***

من: سو -لِنْ لي- سغال

إلى: فريق ساماناثا 2 (لم يُكشَف عن أسماء المرسَل إليهم)

إ. ب مضطرّ للتعامل مع مسألة شخصيّة تتطلّب اهتمامه الكليّ. كلّ الاجتماعات ستجري كما هو مقرّر سابقاً، ويجب إبلاغ إ. ب بسير العمل عبر الإيميل.

شكراً!

***

من: سو -لِنْ لي- سغال

إلى: أودري غريفن

التوقيت ليس مناسباً لبقائكِ معنا، هناك حالة طوارئ في العمل. سبق ودفعتُ لماورا كي تبقى عندنا طوال الأسبوع، وتجلب لنكولن وألكساندرا من المدرسة، وستنام في الغرفة الإضافيّة. أنا آسفة، آسفة جدّاً. ربّما تجرّبين فندقاً مختلفاً؟ أو تستأجرين منزلاً لفترة قصيرة؟ سأساعدكِ بالبحث.

***

من: أودري غريفن

إلى: سو -لِنْ لي- سغال

لقد اتّصلتُ بماورا وقلتُ لها إنّك لم تعودي بحاجة إلى خدماتها، فعادت إلى شقّتها.

منزلكِ يبدو رائعاً! بابا نويل المنفوخ يلوّح بالتحيّة للعابرين، أفاريز نوافذكِ مزيّنة بـ «الثلج»، يوسف ومريم ويسوع الطفل وجدوا مكاناً لهم في المرج، جنباً إلى جنب مع شارة «نتمنّى لكم ميلاداً مجيداً» الخاصّة بي.

أنا من يجب عليها أن تقول شكراً لكِ.

***

من بابا إلى عميد القبول في مدرسة شوت

عزيزي السيّد جيسَب،

كما تعلم، تلقيّتُ رسالة من هيلاري لوندس بخصوص قبول بي في شوت في الخريف القادم. عندما قرأتُ اقتراح السيّدة لوندس بأن تتخطّى بي صفّاً دراسيّاً، كان ردّ فعلي المباشر في البداية هو الرفض. بأيّ حال، ظلّتْ كلمات السيّدة لوندس الحكيمة تدوّي في رأسي، وقرّرتُ الآن أنّه من الأفضل أن يبدأ اندماج بي بالدراسة الأكاديميّة في شوت على الفور. بما أنّ مستوى بي يفوق حاليّاً مستوى المرحلة الدراسيّة الثالثة، أطلب منك أن توافق على قبولها في كانون الأوّل -أجل، أي بعد شهر- كطالبة تكمل المرحلة الثالثة.

إن لم تخنّي ذاكرتي، في مدرسة إكستر كان هناك دائماً طلّاب ينسحبون في منتصف العام ويأتي آخرون مكانهم. إن كنّا سنقوم بذلك، آمل أن نبدأ الإجراءات الورقيّة بسرعة قدر المستطاع، كي يكون انتقال بي سلساً. شكراً لك.

المخلص،

إيلجن برانش

***

من بابا إلى شقيقه

من: إيلجن برانش
إلى: ڤان برانش
ڤان،
آمل أنّك بخير. أعرف أنّنا لم نتحدّث منذ مدّة، لكنّ مشكلة عائليّة طارئة حدثت، وأنا أتساءل إن كان بمقدورك الحضور إلى سياتل يوم الأربعاء القادم، والبقاء يومين. سأرسل لك بطاقة الطائرة، وأحجز لك غرفة في فندق. أبلغني بقرارك.
شكراً،
إيلجي

***

الثلاثاء، 21 كانون الأوّل
سلسلة إيميلات بين بابا والعمّ ڤان

إيلجي،
مرحباً أيها الغريب! آسف لكن لا أعتقد أنّني أستطيع القدوم إليكم، أنا أنشغلُ أثناء الكريسماس. لنقم بذلك في وقت آخر! (أنتم تسمعون هذا في سياتل كثيراً على الأغلب).
ماهالو[1]،
ڤان

***

ڤان،
ربّما لم أكن واضحاً: هناك حالة طارئة في عائلتي. سأغطّي كلّ المصاريف وكلّ خسائرك. التوقيت ما بين 22 و25 كانون الأوّل.

***

يا أخي،

1- Mahalo تستخدم للتعبير عن الشكر والامتنان في هاواي. م

ربما أنا من لم يكن واضحاً! لديّ حياة في هاواي، ولديّ مسؤوليّات. لا أستطيع أن أقفز إلى الطائرة فقط لأنّك قرّرتَ تكريمي بأوّل إيميل ترسله منذ خمس سنوات، كي تدعوني لقضاء الكريسماس في فندق.

***

ثان،

عملك اللعين هو الاهتمام بمنازل الآخرين أثناء غيابهم. برناديت مريضة، وبي لا تعلم ذلك، أريدك أن تمضي النهار معها ريثما أحلّ مشكلة برناديت. أعرف أنّنا لا نتواصل، لكن أريد أن تبقى بي مع العائلة. أعتذر إن بدا عرضي بحجز غرفة فندقيّة فظّاً، منزلي هو خرابةٌ، وباب غرفة الضيوف مسدودٌ بألواح خشبيّة منذ سنوات، لأنّ هناك حفرة في أرضيّتها لم يكلّف أحدٌ نفسه عناء إصلاحها. هذا كلّه له علاقة بمرض برناديت.

هيّا تعال

***

إيلجي،

سأقوم بذلك من أجل بي. احجز لي على الرحلة المباشرة من كونا. بقي مقعد واحد في الدرجة الأولى، ومن الرائع لو تقتنصه، كما توجد شواغر في فندق الفورسيزنز ضمن الأجنحة الصغيرة التي تطلّ على المحيط. وجدتُ من يغطّي غيابي، لذلك لستُ مستعجلاً للعودة.

***

طلب تفويض قدّمتْه الدكتورة جانِل كورتز

طلب فاتورة لموعد خارج الجزيرة

المريضة: برناديت فوكس / إيلجن برانش

أُبلِغتُ بحالة برناديت فوكس في 12 كانون الأوّل. زوجها إيلجن برانش، وهو صديق عضو مجلس الإدارة هانا ديلارد، أرسل لي رسالة مطوّلة مفعمة بالعواطف مستعلماً عن القبول القسريّ (الملحق 1#).

وصفُ السيّد برانش لزوجته يقترح: الرهاب الاجتماعيّ، التمارض

للحصول على الأدوية، رهاب الخلاء، ضعف التحكّم بالنزوات، اكتئابٌ ما بعد الولادة غيرمُعالَج، وربّما الهوس أيضاً. إن صدّقتُ كلامه، سأشخّص الحالة تشخيصاً مزدوجاً على أنّها إدمانٌ واضطرابٌ ثنائيُّ القطب من النمط الثاني.

كتبتُ ردّاً للسيّد برانش شرحتُ فيه القانون، واقترحتُ أن تلجأ زوجته للعلاج (ملحق 2#).

تلقيّتُ البارحة اتّصالاً من السيّد برانش يطلب فيه لقائي، ويتحدّث عن تطوّرات جديدة بخصوص حالة زوجته، من ضمنها الأفكار الانتحاريّة.

أجد اتّصال السيّد برانش ملفتاً للانتباه، إن لم يكن مريباً، للأسباب التالية:

1. التوقيت: في ردّي للسيّد برانش، شرحتُ له ضرورة امتلاكه دليلاً يثبت أنّ زوجته تمثّل خطراً داهماً على نفسها أو على الآخرين، كي يُدخلها إلى مشفانا ضدّ إرادتها، وخلال أيّام ادّعى أنّ بحوزته مثل ذلك الدليل.
2. ممانعته للجوء إلى أيّ علاج: يبدو السيّد برانش مصمّماً على إدخال السيّدة فوكس إلى مادرونا هِل. لماذا لا يلجأ أوّلاً لعلاج زوجته كمريضة خارجيّة؟
3. السريّة: رفض السيّد برانش التصريحَ عن معلومات معيّنة عبر الهاتف، وأصرّ عوضاً عن ذلك على مقابلتي وجهاً لوجه.
4. الإلحاح: توسّل السيّد برانش إليّ اليوم عبر الهاتف أن أقابله على الفور، وفضّل أن يتمّ اللقاء في مكتبه.

بأخذ العوامل السابقة كلّها مجتمعة، لدي سببٌ لأشكّك في مصداقيّة السيّد برانش وفي دوافعه. بأيّ حال، أشعر أنّه من واجبي متابعة المسألة، إذ تمّ إبلاغ مادرونا هِل مرّتين عن سلوك السيّدة فوكس، كما ذُكِر الانتحارُ بشكل صريح، ممّا يُحمّلنا مسؤوليّة قانونيّة. فضلاً عن ذلك، إلحاح السيّد برانش يوحي بأنّه لن يتوقّف عن التواصل معي إلى أن ألتقيه.

سأتواجد في سياتل كي ألقي محاضرة في جامعة واشنطن، ورتّبتُ للقاء السيّد برانش في مكتبه هذا المساء. أدرك أنّه إجراء غير معهود، لكن يسرّني أن أتكبّد عناء إضافيّاً من أجل صديقته في مجلس الإدارة. آمل أن أقنع السيّد برانش بالبحث عن علاج ملائم لزوجته في مكان آخر.

أبلغته أنّ أجوري تبلغ 275 دولاراً في الساعة، إضافة إلى 150% عن كلّ

ساعة كتعويض عن السفر، وهو يتفهّم أنّنا لا نرسل الفواتير إلى شركة الضمان الصحّي، وأنّ زيارتي إلى مكتبه غير مشمولة بالضمان غالباً بأيّ حال.

***

من: أودري غريفن
إلى: سو -لِنْ لي- سغال
مرحباً! لقد جلبتُ بيوتاً مصنوعة من الخبز بالزنجبيل كي نزيّنها بعد المدرسة. متى ستعودين؟ أريد أن أقرّر متى أضع الشواء في الفرن.

***

من: سو -لِنْ لي- سغال
إلى: أودري غريفن
كما قلتُ لكِ، أنا مشغولة للغاية في العمل ولن أحضر في موعد العشاء، لكنّ لعابي يسيل لمجرّد التفكير بطبق الشواء الشهيّ الذي تعدّينه!

***

من: أودري غريفن
إلى: سو -لِنْ لي- سغال
لا تظنّي أنّني لم أفهم تلميحك! ما رأيك أن أركب السيّارة وأجلب لكِ طبقاً؟

***

من: سو -لِنْ لي- سغال
إلى: أودري غريفن
ما رأيك ألّا تفعلي ذلك؟ شكراً بأيّ حال.

***

في يوم الثلاثاء ذاك، كنتُ في غرفتي أكتب وظائفي عندما رنّ الهاتف مرّتين، ممّا يعني أنّ هناك شخصاً يقرع البوّابة، وأنّ العشاء وصل أيضاً. كبستُ 7 كي أفتح البوّابة، ثمّ نزلتُ وفتحتُ الباب لعامل التوصيل، وابتهجتُ عندما سلّمني طعاماً من مطعم تيلث. أخذتُ الأكياس إلى المطبخ، فوجدتُ بابا واقفاً هناك، وهو يكزّ على أسنانه.

«ظننتُ أنّك في العمل!» قلتُ. في اليومين الماضيين لم يأتِ إلى البيت، واستنتجتُ أنّه يعمل طوال الليل بسبب الرحلة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة.

«أردتُ أن أعرف كيف حالك»، قال.

«أنا؟!» أجبتُ، «أنا بخير».

جاءت ماما من بتي تريانون، ورمت حذاءها بعيداً. «هاي! انظروا من في المنزل! أنا سعيدة!لقد طلبتُ الكثير من الطعام».

«هاي برناديت»، بابا لم يعانق ماما.

فتحتُ علب الطعام الجاهز، ورتّبتها أمام كراسينا على طاولة المطبخ.

«دعينا نستعمل الأطباق اليوم». أحضرت ماما أوعية الخزف الصينيّ من غرفة المؤونة، فسكبتُ الطعام في صحون جميلة.

لكنّ بابا ظلّ واقفاً في مكانه دون أن يخلع معطفه. «لديّ أنباء لكما! ڤان سيأتي غداً».

العمّ ڤان هو عمّي الوحيد، وبالتالي عمّي المفضّل. تلقّبه ماما بـ «ڤان –هل ستأكلُ الباقي؟– برانش»، وهو يعيش في كوخ خاصّ به في هاواي، موجود ضمن عزبة شاسعة يملكها أحد منتجي أفلام هوليوود. المنتج الهوليوديّ نادراً ما يتواجد هناك، ولا بدّ أنّه مصاب باضطراب الوسواس القهريّ OCD، لأنّه يدفع لڤان راتباً لقاء دخول المنزل ودلق الماء في المراحيض يوميّاً... المنتج الهوليوديّ يملك منزلاً ثانياً في أسبن حيث تجمّدت الأنابيب ذات شتاء، وفاضت المراحيضُ ودمّرت مجموعةً من الأنتيكات، فأصبح مهووساً بفكرة أن تتكرّر الحادثة –مع أنّ الأنابيب لا يمكن أن تتجمّد في هاواي– لذلك تحبّ ماما أيضاً أن تعلّق أنّ ڤان يكسب عيشه من دلق الماء في المراحيض. ذات مرّة، ذهبنا إلى هاواي، واصطحبني ڤان في جولة على أملاك المنتج، وسمح لي أن أدلق الماء في المراحيض... كان ذلك طريفاً.

«لماذا سيأتي ڤان؟»، سألتُ.

«سؤال وجيه»، ماما تقف الآن دون حراك، مثل بابا.

«زيارة» قال بابا، «فكّرتُ أن يعتني بالكلبة ريثما نعود. لماذا برناديت؟ هل هناك مشكلة؟».

«أين سيمكث؟»، سألتُ ماما.

«في فندق الفورسيزنز. سأجلبه غداً من المطار. بي، أريدك أن تأتي معي».

«لا أستطيع» قلتُ، «سأذهب لحضور عرض روكيتس كريسماس مع مجموعة الشباب».

«تصل طائرته في الرابعة» قال بابا، «سآخذك من المدرسة».

«هل يمكن أن تأتي كينيدي معنا؟»، سألتُ وأنا أبتسم ابتسامة كبيرة.

«كلا»، قال. «لا أحبّ التواجد في السيّارة مع كينيدي. تعرفين هذا».

«أنتَ تفسد المتعة»، ورمقته بسحنة «كوبريك» الأشدّ لؤماً، ثمّ بدأتُ بالأكل.

اندفع بابا إلى غرفة الجلوس، وانصفق الباب خلفه على الكونتوار. بعد لحظة، سمعنا ارتطاماً تبعتْه لعناتٌ. ركضنا أنا وماما إلى غرفة الجلوس وأشعلنا الضوء، لقد اصطدم بابا بجبل من الصناديق والحقائب. «اللعنة! ما كلّ هذه الخردة؟!» سأل وهو ينهض.

«مستلزمات الرحلة»، أجبتُ.

الصناديق تصل بوساطة «خدمة البريد الأمريكيّة» بسرعة هائلة. جهّزت ماما ثلاث قوائم لمستلزمات السفر ألصقتْها على الحائط، لائحة لكلّ واحد منّا. جميعُ الصناديق نصف مفتوحة، تندلق منها المعاطف والأحذية والقفّازات وسراويل الثلج، وتتدلّى كلّها أشبه بالألسنة بعد أن نُزِعتْ عنها أغلفتها بدرجات متفاوتة.

«لدينا كلّ ما نحتاجه تقريباً»،تنقّلتْ ماما بمهارة بين الصناديق، «أنا بانتظار كريم أكسيد الزنك من أجلك»، ثمّ أشارت بقدمها صوب حقيبة قماشيّة ضخمة، «أحاول إيجاد قناع للوجه بلون تحبّه بي...».

«أنا أرى حقيبتي» قال بابا، «وأرى حقيبة بي. أين حقيبتكِ برناديت؟».

«ها هي»، قالت ماما.

مشى بابا والتقط الحقيبة، تدلّت من يده كبالون غير منفوخ. «ولماذا هي فارغة؟»، سأل.

«ما الذي تفعله هنا أصلاً؟»، قالت ماما.

«ما الذي أفعله هنا أصلاً؟!».

«نحن على وشك تناول العشاء» قلتُ، «وأنــت لم تجلس ولم تخلع معطفك».

«لديّ موعد في المكتب، لن أبقى لتناول العشاء»

«دعني أجلب لك بعض الملابس النظيفة على الأقلّ»

«لديّ ملابس في المكتب»

«لماذا قدت السيّارة كلّ الطريق إلى البيت إذن؟» سألتْ ماما، «فقط كي تخبرنا عن ڤان؟».

«من اللطيف أحياناً القيام بالأمور شخصيّاً»

«إذاً ابقَ لتناول العشاء» قالت ماما، «أنا لا أفهم ما يحصل».

«ولا أنا»، قلتُ.

«أنا سأفعل الأمور بطريقتي» قال بابا، «أنتِ افعلي الأمور بطريقتك»، ثمّ خرج من الباب الأماميّ.

بقينا واقفتين في مكاننا أنا وماما، انتظرناه أن يعود أدراجه محرجاً. عوضاً عن ذلك، سمعنا سيّارته البريوس تندفع فوق الإسفلت، ومن ثمّ تنطلق إلى الشارع.

«أظنّ أنّه جاء كي يخبرنا عن ڤان لا غير»، قلتُ.

«غريب»، قالت ماما.

***

الأربعاء، 22 كانون الأول

تقرير من د. كورتز

المريضة: برناديت فوكس

تمهيد: بموجب التفويض الذي طلبتُه بتاريخ 21 كانون الأوّل، رتّبتُ للقاء إيلجن برانش في مقرّ شركة مايكروسوفت. في ذلك الطلب أبديتُ شكوكي حول السيّد برانش، لكنّ رأيي به وبدوافعه تغيّر جذريّاً منذ ذلك الوقت. في محاولة لتوضيح هذا الانقلاب في وجهة نظري، سأشرح مجريات لقائنا بالتفصيل.

ملاحظات حول الاجتماع: انتهت محاضرتي في جامعة واشنطن أبكر ممّا توقّعتُ. تمكّنتُ من اللحاق بعبّارة الساعة 10:05، لذلك وصلتُ قبل نصف ساعة من الموعد المحدّد إلى مايكروسوفت، حيث أرشدوني إلى مكتب إداريّةِ السيّد برانش. رأيتُ امرأة جالسة إلى المكتب، وهي ترتدي معطفاً مطريّاً، وتضع في حضنها صحناً مغطّى بورق الألمنيوم. سألتُها عن السيّد برانش، فقالت لي إنّها صديقة للإداريّة وإنّها جاءت كي تفاجئها بالعشاء، وأضافت أنّ الجميع يعقدون اجتماعاً في القاعة الكبيرة في الأسفل.

قلتُ إنّني أيضاً جئتُ لشأن شخصيّ، وعندها انتبهت المرأة لشعار مادرونا هِل المثبّتِ على حقيبتي. قالت شيئاً مثل: «مادرونا هِل؟! هاي - هُوْ! سأقول إنّ ذلك شأن شخصيّ!».

وصلتِ الإداريّةُ، وأطلقت صرخة حقّاً عندما رأتني أتحدّث مع صديقتها التي تحمل طبق الطعام، وادّعتْ أنّني موظّفة في مايكروسوفت. حاولتُ أن أشرح للإداريّة أنّني سبق وعرّفتُ عن نفسي بغير ذلك، لكنّها أخذتني بسرعة إلى غرفة اجتماعات وأسدلتِ الستائر، ثمّ ناولتني ملفّ إف. بي. آي سرّيّاً وغادرتْ. لا يمكنني الإفصاح عن محتويات الملفّ، عدا الوقائع التي تتعلّق بالحالة العقليّة للسيّدة فوكس:

- دهستْ قدم إحدى الأمّهات في المدرسة.
- نصبت لافتة قبالة منزل المرأة كي تثير غيظها.
- تقوم بتخزين الأدوية التي توصَفُ لها.
- تعاني من القلق الشديد، وأوهام العظمة، وأفكار انتحاريّة.

وصل السيّد برانش وهو يبدو مضطرباً، نظرّاً لأنّه أخّرَ الجميع في الأسفل حيث واجهوا خطأً في البرمجة مباشرة قبل أن يصعد. وعدتُه أنّني سأكون سريعة، وناولتُه قائمة ببعض أروع الأطباء النفسيّين في المنطقة. كان السيّد برانش متشكّكاً، ويعتقد اعتقاداً جازماً أنّ ملفّ الإف. بي. آي يحتوي على أدلّة كافية تؤهّل زوجته لدخول المشفى.

عبّرتُ عن مخاوفي من تصميمه على وضع زوجته قيد الحجر الإجباريّ، لكنّه أكّد لي أنّه يريدها أن تتلقّى أفضل رعاية ممكنة، لا أكثر.

قرعتْ إداريّةُ السيّد برانش البابَ، وسألتْ إن كان السيّد برانش قد راجع تصحيح الكود البرمجيّ. نظر السيّد برانش إلى هاتفه الخليويّ وارتعد، على ما يبدو، وصله 45 إيميلاً ونحن نتحدّث، وقال: «سأجيب عليها كلّها، إن لم تقتلني برناديت». تصفّح قائمة الإيميلات، ثمّ قال شيئاً ما يتعلّق بالكود وإرسالِ قائمة بالتغييرات، وهو ما دوّنته الإداريّة على عجل قبل أن تندفع خارجة.

بعد نقاش عميق بيني وبين السيّد برانش اتّهمني خلاله بإهمال واجبي المهنيّ، سلّمتُ أنّ زوجته ربّما تعاني من اضطراب التأقلم، وهو كما شرحتُ له استجابة نفسيّة تشمل بين أعراضها عادة القلق أوالاكتئاب، ويسبّبها عاملٌ مولّد للتوتّر، والعامل المولّد للتوتّر في حالة زوجته غالباً هو الرحلة المقرّرة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة. في الحالات المتطرّفة، آليّات التأقلم عند الشخص قد تكون قاصرة، لدرجة أنّ العامل المولّد للتوتّر يسبّب انهياراً نفسيّاً.

تهاوى السيّد برانش مرتاحاً، لأنّني أكّدتُ له أخيراً أنّ هناك خطباً ما بزوجته.

دخلت الإداريّة مجدّداً يرافقها رجلان هذه المرّة، وسمعتُ الكثير من المصطلحات التي تتعلّق بتصحيح الكود.

بعد أن غادروا، أخبرتُ السيّد برانش أنّ العلاج المنصوح به لاضطراب التأقلم هو المعالجة النفسيّة لا الحجْر في مصحّة، وقلتُ له بوضوح إنّه من غير الأخلاقيّ أبداً أن يضع طبيب شخصاً ما قيد الحجْر القسريّ دون لقائه أوّلاً، كما أنّه تصرّف لم يسمع به أحد من قبل. أكّد لي السيّد برانش أنّه ليس مصرّاً على إبعاد زوجته بسترة مجانين، وسألني إن كانت هناك خطوة انتقاليّة.

قرعت الإداريّة البابَ للمرّة الثالثة. على ما يبدو، نجح التصحيح الذي اقترحه السيّد برانش وانتهى الاجتماع. دخل المزيد من الناس إلى الغرفة، وراجع السيّد برانش قائمة الأولويّات لليوم التالي.

فاجأني مقدار الدقّة في كلّ شيء، لم أرَ من قبل مجموعة من الناس يعملون من تلقاء أنفسهم وفق مستوى رفيع من الأداء. الضغط كان ملموساً،

وكذلك كانت روح الزمالة وحبّ العمل أيضاً. أكثر ما يلفت النظر هو الاحترام الذي يبدونه للسيّد برانش، ولشخصيّته المرحة، وإيمانه بالمساواة حتّى تحت أشدّ ضغوط العمل.

في لحظة ما، انتبهتُ أنّ السيّد برانش يرتدي جوربيه دون حذاء، وأدركتُ أنّه ذلك الرجل من خطابات TED! من ذلك العرض حيث تلصق رقاقة كمبيوتر على جبينك، فلا تضطرّ لتحريك عضلة بقيّة حياتك! إنّه نسخة متطرّفة ممّا أعده ميلاً خطيراً إلى تجنّبِ الواقع.

بعد أن غادر الجميع، بقينا أنا والسيّد برانش والإداريّة فقط. اقترحتُ أن أرسله إلى أحد زملائي الماهرين المتخصّصين بالعلاجات الدوائيّة، بما أنّ السيّدة فوكس تأخذ علاجاً للقلق من تلقاء نفسها على ما يبدو. أبدى السيّد برانش امتنانه، لكنّه طلب منّي أن أشرف على العلاج الدوائيّ بنفسي، نظراً لأنّ أحداً غيري لا يستطيع الاطلاع على محتويّات ملفّ الإف. بي. آي هذا، فوافقتُ.

أكّدتُ على ضرورة أن يحظى السيّد برانش بقسط من النوم. قالت لي الإداريّة إنّها حجزت له غرفة في فندق، وستوصله إليها بنفسها.

***

بعد ظهر اليوم التالي، جاء بابا لأخذي من المدرسة، وذهبنا إلى المطار.

«أما زلت متحمسة للانتقال إلى شوت؟»، سأل.

«أجل»، قلت.

«أنا حقّاً، حقّاً، سعيد لسماع هذا» قال بابا، من ثمّ: هل تعرفين ما معنى أن تصفي رئيساً بالبطّة العرجاء[1]؟».

«أجل»

«هكذا كانت حالتي بعد أن قُبِلتُ في إكسيتر. شعرتُ أنّني عالقٌ في المرحلة المتوسّطة، وكنتُ مستاءً! أراهن أنّ هذا هو شعورك الآن».

1- هو الرئيس الذي يقضي ما تبقّى له من الفترة الرئاسيّة بعد أن التصويت على عزله أوانتخاب خليفته، والذي يتضاءل نفوذه السياسيّ بسبب ضيق الوقت المتبقّي أمامه. م

«كلّا»

«الرئيسُ البطّة العرجاء هو عندما يصوّتون على إنهاء فترة ولايته...»

«أعرف ما هو بابا! ما علاقة ذلك بشوت؟ كلّ الأطفال الآخرين سيغادرون غايلر ستريت إلى مدرسة أخرى في الخريف مثلي تماماً. كلامكَ يكافئ القول إنّ الصفّ الثامن تزجية للوقت لا أكثر، أو أنّ عامك كلّه عبثيٌّ عندما تصبح في الرابعة عشرة، ومجرّدُ انتظارٍ كي تصبح في الخامسة عشرة».

أسكتَه هذا لعدّة دقائق، من ثمّ بدأ من جديد: «أنا سعيد لأنّك تستمعين مع مجموعة الشباب. إن كنتِ تستمدّين القوّة من الوقت الذي تقضينه معهم، أريدكِ أن تعرفي أنّني أدعمكِ كليّاً».

«هل أستطيع أن أمضي الليلة في منزل كينيدي؟»

«أنتِ تمضين الكثير من الوقت في منزل كينيدي»، قال.

«هل أستطيع؟»

«بالطبع»

مررنا إلى جانب سكك قطارات التحميل في خليج إليوت، حيث توجد روافع ضخمة برتقاليّة تشبه طيور نعام تحني أعناقها كي تشرب، وتحرس آلافاً من حاويات الشحن المكدّسة. عندما كنتُ صغيرة، سألتُ ماما عن هذه الحاويات، فأجابتني أنّها بيوض نعام مليئة بدمى باربي. فكرة وجود الكثير من دمى باربي تفرحني، على الرغم من أنّني لم أعد ألعب بها.

«آسف لأنّني لم أتواجد أكثر معكِ»، كان هذا بابا.

«أنتَ موجود»

«أريد أن أتواجد معكِ أكثر» قال، «وسأتواجد أكثر. سنبدأ من القارّة القطبيّة الجنوبيّة، سنحظى أنا وأنت بوقت طيّب هناك».

«نحن الثلاثة» قلتُ.تناولتُ الفلوت، وعزفتُ عليه طوال ما تبقّى من الطريق إلى المطار.

العمّ ڤان كان داكن السمرة، وجهه مليء بالتجاعيد، شفتاه مشقّقتان بيضاوان، يلبس قميص هاواي وشخّاطة، ويضع وسادة قابلة للنفخ حول

عنقه، وقبّعةَ قشّ كبيرة على رأسه، مربوط حولها منديل يحمل عبارة: «آثار الكحول».

«أخي!»،عانق العمّ ڤان بابا عناقاً حارّاً. «أين بي؟ أين ابنتكَ الصغيرة؟».

لوّحتُ له.

«أنتِ فتاة كبيرة! بي ابنة أخي فتاة صغيرة».

«أنا بي»، قلتُ.

«مستحيل!» قال، ورفع يده. «اضربي كفّكِ بكفّي في تحيّة للنموّ».

ضربتُ كفّي بكفّه بفتور.

«لقد جلبتُ هدايا». رفع قبّعة القشّ عن رأسه، وأخرج منها مزيداً من القبّعات، التي تحمل كلّ منها منديلَ «آثار الكحول». «واحدة لكَ» ووضع قبّعة على رأس بابا، «وواحدة لكِ» ووضع قبّعة على رأسي، «وواحدة لبرناديت». خطفتُها من يده، «أنا أعطيها لها» قلتُ. إنّها بشعة جدّاً، لذلك سأعطيها لكينيدي.

وقف ڤان وهو يمرّغ شفتيه الغليظتين بـ«تشاب ستيك[1]»، وعندها فكّرتُ: «آمل ألّا يراني أحد مع هذا الرجل في حديقة الحيوان».

***

تقرير عن الحالة
قدّمته الدكتورة جانل لرئيسها

المريضة: برناديت فوكس

خطّة التدخّل: لقد شرحتُ ظروف مريضتي للطبيبين د. مينك ود. كرابتري المتخصّصين في التدخّل الدوائيّ، وقرّرا وضع خطّة لعلاجها دوائيّاً نظراً لأنّها مدمنة. على الرغم من أنّني لم أتلقّ تدريباً رسميّاً في العلاج الدوائيّ، لكنّني قرّرتُ أن أشرف على العلاج بنفسي، نظراً للظروف الخاصّة التي ذكرتُها عن وضع مريضتي.

1- نوع من أنواع المطريّات الخاصّة بالشفاه المتشقّقة. م

نموذج جونسون مقابل التداخل التحفيزيّ: خلال العقد الماضي، ابتعد مستشفى مادرونا هِل عن نموذج جونسون «أسلوب الكمين» في التدخّل الدوائيّ لصالح مقاربة ميللر & رولنِك «التحفيزيّة»، وهي مقاربة أكثر خصوصيّة وأكثر فعاليّة كما بيّنت الدراساتُ، لكن نظراً للسريّة التي تفرضها الإف. بي. آي، اخترنا نموذج جونسون.

اللقاء التحضيريّ: التقينا أنا والسيّد برانش في عيادة د. مينك في سياتل اليوم بعد الظهر. الدكتور مينك طبّق العديد من التدخّلات الدوائيّة بنموذج جونسون خلال حقبة الثمانينيّات والتسعينيّات، وشرح لنا الخطوات المتّبعة:

- يُفرَض الواقعُ على المريض.
- يعبّر أفراد العائلة بكلماتهم الخاصّةعن حبّهم للمريض.
- يعدّد أفراد العائلة بالتفصيل الأضرارَ التي تسبّب بها المريض.
- يؤكّد أفراد العائلة دعمَهم لعلاج المريض.
- يشرح أفرادُ العائلة والطبيبُ العواقبَ السلبيّة التي قد تنجم عن رفض المريض للعلاج.
- يُمنَح المريض الفرصةَ لطلب العلاج طوعياً.
- يُنقل المريض على الفور إلى مركز العلاج.

يحدونا الأمل أن تقرّ برناديت فوكس بمرضها، وتَدخل بمحض إرادتها إلى مادرونا هِل.

***

في تلك الليلة، ذهبتُ مع مجموعة الشباب إلى استعراض الكريسماس الذي يقيمه راديو سيتي. الجزء الأوّل الذي قدّمته فرقة روكيتس كان مزعجاً، يتألّف بأكمله من موسيقا مسجّلة سابقاً قام أفراد روكيتس بالرفس على أنغامها. ظننتُ أنّهم سيغنّون على الأقلّ أو يرقصون، لكن كلّ ما قاموا به كان الوقوف في صفّ واحد والرفسَ إلى جهة ما، بعدها يستديرون جميعاً ويرفسون باتّجاه آخر. تلوّى الصفّ بأكمله، وهم يرفسون على أنغام أغنيات مثل «لقد حلّ الكريسماس»، أو «رأيتُ ماما تقبّل بابا نويل». كلّ العرض كان تافهاً، وتساءلنا أنا وكينيدي: لماذا؟

في الفاصل، لم يكن لدينا حافز للخروج إلى البهو. لا أحد منّا يحمل مالاً، ممّا يعني أنّ أفضل ما يمكننا القيام به هو شرب الماء من النافورة، لذلك بقيتُ أنا وكلّ مجموعة الشباب جالسين في مقاعدنا. عاد الجمهور -السيّدات بتسريحات منفوشة تشبه الخوذة، وطبقات يابسة من مساحيق التجميل، ودبابيس الكريسماس البرّاقة- الجميع يغلي بالحماس، حتّى لوك وماي اللذان يشرفان علينا، وقفا أمام مقعديهما وهما يحدّقان بالستارة الحمراء.

ساد الظلام، وظهرت نجمة على الستارة. شهق الحضور وصفّقوا بحماس مبالغ به بالنسبة لنجمة واحدة.

«اليوم هو اليوم الأقدس بالنسبة لجميع البشر» هدر صوت مرعب، «إنّه مولد ابني يسوع، ملكِ الملوك».

انفتحت الستارة. على المسرح يوجد أشخاص حقيقيّون يمثّلون دور مريم ويوسف والطفل يسوع في المهد. تابع «الربّ» سردَ قصّة مولد المسيح بأسلوب مخيف، ودخل الرعاة مع حيوانات حقيقيّة: خراف، ماعز، حمير... ومع كلّ حيوان جديد يظهر، تتعالى صرخات «أووووو!» و«آآآآآآآآ!».

«ألم يذهب أيّ من هؤلاء الناس إلى حديقة الحيوانات الداجنة؟»، تساءلتْ كينيدي.

ثمّ دخل الحكماء الثلاثة راكبين على جمل وفيل ونعامة. حتّى أنا دُهشتُ: «حسناً، هذا رائع! لم أعرف من قبل أن النعامة تسمح لك بالركوب على ظهرها».

بعدها، دخلت امرأة سوداء ضخمة ممّا أفسد السِحرَ نوعاً ما، لأنّها ترتدي فستاناً أحمر ضيّقاً جدّاً، من النوع الذي ترونه في متجر مايسي.

«أوه أيّتها الليلة المقدّسة!» بدأتْ بالغناء.

تعالت الشهقات بحماس من حولي.

«النجوم تتلألأ» غنّتِ المرأة، «إنّها ليلة ميلاد مخلّصنا الحبيب. طويلاً ظلّ عالمنا / يعيش في الخطيئة ويشتهي الرذائل / إلى أن ظهر مخلّصنا فأعطى الروحَ قيمتَها». شيء ما في اللحن جعلني أغمض عينيّ، وملأتني الموسيقا بألق دافئ. «هبّة من الأمل / العالَم الضعيف يهلّل / هناك يبزغ نهار جديد متألّق». ساد صمتٌ مؤقّت، ففتحتُ عينيّ.

«اركعوا على ركبكم» غنّتِ المرأة مفعمة ببهجة مفاجئة عارمة، «آه اسمعوا أصواتَ الملائكة».

«آه أيّتها اللّيييلةةة المقدّسة» انضمّتْ إليها العديد من الأصوات. هناك الآن كورس على المسرح يقف فوق يسوع الطفل، خمسون شخصاً تقريباً، كلّهم سود يلبسون ثياباً برّاقة. لم أرهم يدخلون! أصبح الألق بداخلي أقسى، والبلع أصعب.

«آه يا ليلة مولِد يسوع. آه أيّتها الليييييلةةةة المقدّسةةةةة! آه يا ليلة! آه أيّتها الليلة المقدّسة!»

شعرتُ بالضياع للحظة، لأنّ الأغنية غريبة جدّاً وعظيمة، وأحسستُ بالراحة عندما انتهت... لكنّ الموسيقا لم تتوقّف، وأدركتُ أنّ عليّ تحضير نفسي للموجة التالية. في أعلى المسرح، ظهرت كلماتٌ على شاشة رقميّة متحرّكة، وبدت كما لو أنّها تجسّدت هناك مثل الكورس تماماً، نقاط حمراء تنزلق...

حقّاً علّمَنا،
أن يحبّ أحدنا الآخر
قانونه هو الحبّ،
وإنجيله هو السلام

تعالت قرقعة خافتة من حولي، وقف بعض الحضور وانّضموا إلى الكورس في الغناء.

ستُكسَر السلاسلُ
لأنّ العبدَ هو أخٌ لنا
وباسم يسوع،
كلّ الاضطهاد سينتهي

لم أعد قادرة على رؤية الكلمات لأنّ الجالسين أمامي وقفوا، فوقفتُ أنا أيضاً.

ترنيمة فرح جميلة
نرفعها نحن الكورس الممتنّ
من أعماق قلوبنا
نعتنق اسمه المقدّس

رفع كلّ أفراد الجمهور أذرعهم للأعلى قليلاً، وأخذوا يهزّون أيديهم وكأنّهم في حفلة جاز.

ارتدتْ كينيدي منديل «آثار الكحول». «ماذا؟» قالت لي وحوَلَتْ عينيها، فلكزتُها بمرفقي.

من ثمّ، تقدّمتْ المغنيّة السوداء الرئيسة خطوة نحو الأمام فجأة. لقد ظلّت صامتة طوال الأغنية، تاركة للكورس أن يقوم بكلّ الأداء.

«المسيييييح هو الربّ!» هدر صوتها، وفي الوقت نفسه ومضت الشاشة الرقميّة:

«المسيح هو الربّ!»

كانت أغنية دينيّة صريحة ومبهجة. أدركتُ الآن أنّ هؤلاء الأشخاص، أو «أهلُ الكنيسةِ» كما تلقّبهم ماما، هم في الواقع مُضطَهَدون، الآن فقط يستطيعون الكشف عن حقيقتهم، لأنّهم آمنون بين أهل الكنيسة الآخرين. السيّدات الجميلاتُ بتلك التسريحات الخاصّة بالمناسبة لم يكترثن ببشاعة أصواتهنّ، بل انضممن للغناء أيضاً. البعض أرجع رأسه للخلف، وأغمض عينيه. رفعتُ يديّ كي أكتشف ما هو الشعور الناجم عن ذلك، تركتُ رأسي يسقط للخلف بدوري، وأغمضتُ عينيّ.

دائماً وأبداً، دائماً وأبداً نحن نبجّله

كنتُ أنا الطفل يسوع، ماما وبابا هما مريم ويوسف، والقشّ هو سرير المستشفى. أحاط بي الجرّاحون والممرّضات والأطباء المقيمون الذين ساعدوني كي أبقى حيّة عندما وُلِدت زرقاء اللون، ولولاهم لكنتُ ميتة الآن. لا أعرف أيّاً منهم، ولن يكون باستطاعتي التعرّف عليهم بين مجموعة

لو اضطررتُ، لكنّهم عملوا جاهدين طوال حياتهم لاكتساب المعرفة التي أنقذت حياتي.أنا أقف الآن بفضلهم وسط هذه الموجة الرائعة من الناس والموسيقا.

آه أيّتها الليلة المقدّسة!آه أيّتها الليلة!آه أيّتها الليلة المقدّسة!

شعرتُ بطعنة في خاصرتي: كينيدي تقرصني. «خذي»، قالت وهي تعطيني منديلَ «آثار الكحول» لأنّ الدموع كانت تحرق خديّ. «لا تنقلبي إلى متديّنة وأنت معي» قالت.

تجاهلتُها وألقيتُ رأسي للخلف. ربّما هذا هو معنى الدين، أن تقذف نفسك عن حافّة جرف، موقناً أنّ شيئاً ما أكبر منك سيعتني بك ويأخذك إلى المكان الصحيح. لا أعرف إن كان ممكناً أن تشعر بكلّ شيء في وقت واحد، أن تشعر بالكثير الكثير لدرجة أن تظنّ أنّك على أهبة الانفجار. أنا أحبّ بابا كثيراً، وشعرتُ بالأسف لأنّني عاملته بلؤم في السيّارة. كان يحاول أن يتحدّث معي فحسب، ولم أعرف لماذا لم أسمح له. بالطبع أنا ألاحظ أنّه لا يتواجد مطلقاً في المنزل، ألاحظ ذلك منذ سنوات. أردتُ أن أركض إلى البيت، وأن أطلب منه، من فضلك لا تغِبْ كثيراً، من فضلك لا ترسلني إلى شوت لأنّني أحبّك كثيراً أنتَ وماما، وأحبّ بيتنا وآيس كريم وكينيدي ومستر ليڤي كثيراً ولا أريد أن أغادر. شعرتُ بالحبّ يغمرني تجاه كلّ شيء، لكنني شعرتُ في الوقت ذاته أنّني معلّقة هناك كي أيبس، وهو ما لن يفهمه أحد. شعرتُ أنّني وحيدة في هذا العالم، لكنّني محبوبة جدّاً في الوقت نفسه.

في الصباح التالي، أيقظتنا والدةُ كينيدي. «اللعنة!» قالت، «سوف تتأخّران»، ورمت إلينا بحفنة من ألواح الفطور[1] ثمّ عادت إلى السرير.

الساعة هي 8:15، والاحتفال بيوم العالم يبدأ في الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة، لبستُ ثيابي بسرعة واندفعتُ ركضاً إلى أسفل التلّة، من ثمّ

1- قطع تصنع من مكوّنات متعددة مثل الشوفان، المكسّرات، الفواكه...إلخ قد تكون جاهزة أو تحضّر في المنزل، وتقدّم كوجبة سريعة مغذية. م

فوق الجسر دون أن أتوقّف. كينيدي تتأخّر دائماً على المدرسة وأمّها لا تكترث، لذلك بقيتُ في المنزل كي تأكل الكورن فليكس وتشاهد التلفاز.

ركضتُ مباشرة إلى غرفة الآلات حيث يقوم مستر كانغانا وتلامذة الصفّ الأوّل ببروڤة أخيرة. «أنا هنا!» صحتُ وأنا ألوّح بفلوت الشاكوهاتشي. «آسفة» قلتُ، بدا الأطفال الصغار في غاية العذوبة بالكيمونو اليابانيّ،وتقافزوا فوقي كالقرود.

خلف الحائط سمعنا السيّدة غودبير تعلن عن فقرتنا، فدخلنا القاعة الرياضيّة المليئة بالأهالي الذين يحملون كاميرات ڤيديو. «والآن» قالت السيّدة غودبير، «سنشاهد عرضاً يقدّمه تلامذة الصفّ الأوّل، ترافقهم بالعزف بي برانش من الصفّ الثامن».

اصطفّ التلامذة، وأعطاني مستر كانغانا إشارة، فبدأت بعزف أولى النغمات.انطلق الأطفال بالغناء:

زوزان، زوزان
أو -ها- نا غا نا -غا- آي -نو- نِه
سو -يو كا- آ- سان مو
نا -غا- آي نو - يو

أدّوا الفقرة أداءً رائعاً وهم يغنّون بانسجام، ما عدا كلوي التي فقدت أوّل سنّ من أسنانها اللبنيّة هذا الصباح، ووقفت جامدة وهي تمدّ لسانها في الفجوة حيث السنّ المفقود. توقّفنا برهة، ثمّ حان وقت الغناء باللغة الإنجليزيّة مع أداء الرقصة التي صمّمتها أنا. انطلق تلامذة الصفّ الأوّل يغنّون وهم يتحرّكون كالأفيال، أذرعهم تتدلّى إلى الأسفل، وأيديهم مضمومة مثل خرطوم الفيل.

أيّها الفيل الصغير! أيّها الفيل الصغير!
أنفكَ طويلٌ جدّاً
أجل سيّدي، أنف ماما طويلٌ أيضاً

في تلك اللحظة، تولّد عندي شعور أنّها هنا، وها هي: ماما تقف عند المدخل بنظّارتها الضخمة السوداء.

أيّها الفيل الصغير! أيّها الفيل الصغير!

قل لي من تحبّ؟

أوه! تعرف أنّني أحبّ ماما!

ضحكتُ، عرفتُ أنّ ماما ستجد الموقف طريفاً لأنّني أنا من تبكي الآن! رفعتُ رأسي، وإذ بها قد اختفت...

كانت تلك آخر مرّة أراها فيها.

***

الجمعة 24 كانون الأوّل

من د. جانل كورتز

إلى أعضاء مجلس الإدارة،

أودّ إبلاغكم أنّني أستقيل من وظيفتي كرئيسة قسم الأمراض النفسيّة في مادرونا هِل. أنا أحبّ عملي، وزملائي هم بمنزلة عائلة، لكن بأيّ حال، باعتباري الطبيبة النفسيّة المشرفة على برناديت فوكس، وعلى ضوء الأحداث الغامضة والمأساويّة التي أحاطت بعلاجها، أجد لزاماً عليّ أن أتّخذ قراراً بالاستقالة.

شكراً لكم على كلّ تلك السنوات الرائعة، وعلى الفرصة التي قدّمتموها لي كي أخدم المرضى.

المخلصة،

د. جانل كورتز

***

تقرير د. جانل كورتز حول علاج ماما

المريضة: برناديت فوكس

خطّطنا لمواجهة السيّدة فوكس في عيادة طبيب أسنانها، حيث حجزتْ

موعداً في الساعة العاشرة. سبق وأبلغنا د. نيرغارد بخطّتنا، فوضع غرفة خالية تحت تصرّفنا. ڤان، شقيق إيلجن برانش، سيُقلّ الابنةَ بي من المدرسة، ويأخذها إلى حديقة الحيوان حتّى إشعار آخر.

لم نشأ أن تشاهد السيّدة فوكس سيّارة زوجها أمام عيادة طبيب الأسنان عندما تصل، لذلك قرّرنا أن ألتقي السيّد برانش في بيته، من ثمّ نذهب بسيّارتي إلى عيادة الدكتور نيرغارد.

مسكن فوكس/ برانش: هو المقرّ السابق لمدرسة سترايت غايت للبنات، بناء كبير عتيق من الطوب، يتربّع فوق تلّة ضخمة تطلّ على خليج إليوت. من الداخل، المنزل متداعٍ لدرجة مروّعة، أبواب الغرف مسدودة بالألواح الخشبيّة، عتمة، رطوبة، ورائحة المسك طاغية لدرجة أنّني أستطيع الإحساس بها على لساني. أن تعيش عائلة تتمتّع بدخل هائل في ظروف متدهورة كهذه يوحي بانعدام الاحترام للذات، والتكتّم حول تفوّقهم الماديّ/ الاجتماعيّ، والخلل في إدراك الواقع.

وصلتُ إلى مقرّ إقامة عائلة برانش في الساعة التاسعة صباحاً، ورأيتُ العديد من السيّارات من بينها سيّارة شرطة مركونة عشوائيّاً في المعبر. قرعتُ الجرس، ففتحت لي الباب الآنسة لي - سغال، وهي إداريّة السيّدة برانش، وأخبرتني أنّهما وصلا للتوّ. كان ماركوس سترانغ عميل الإف. بي. آي يبلغهما أنّ المساعدة الافتراضيّة «مانجولا» سرقتْ في الأسبوع الماضي كلّ أميال الطيران المجانيّة التي يملكها السيّد برانش على خطوط أميركان إيرلاينز.

صُعِق السيّد برانش لأنّ العميل سترانغ لم يخبره إلّا الآن بهذا الأمر، فشرح له العميل سترانغ أنّهم لم يأخذوا التهديد على محمل الجدّ، لصوص الإنترنت لا يغادرون القبو الذي يعملون فيه، فما بالك بالقفز على طائرة؟! لكنّ الأميال المجانيّة استُعمِلَتْ أمس لشراء تذكرة ذهاب فقط من موسكو إلى سياتل. ستصل الطائرة غداً، فضلاً عن أنّ «مانجولا» ترسل الإيميلات للسيّدة فوكس كي تتأكّد أنّها ستكون وحيدة في المنزل عندما يسافر زوجها

وابنتها إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة. ترنّح السيّد برانش من هول الصدمة، واضطرّ للاستناد على الجدار، فطبطبت الآنسة لي - سغال على ظهره، وطمأنته أنّ زوجته ستكون بأمان في مادرونا هِل على جزيرة أوركاس. كرّرتُ على مسامعهما أنّه لا يوجد ما يضمن ذلك، وأنّ عليّ تقييم السيّدة فوكس أوّلاً قبل أن أضعها قيد الحجْر القسريّ.

صبّ السيّد برانش غضبه وقلّة حيلته عليّ، واتّهمني بالبيروقراطيّة وإعاقة مجريات الأمور، لكنّ الآنسة لي - سغال قاطعته وأشارت إلى أنّنا تأخّرنا على موعد الدكتور نيرغارد. سألتُ العميل سترانغ إن كان التدخّل العلاجيُّ سيعرّضنا إلى خطر فعليّ، باعتبار أنّ «مانجولا» تلك طليقة، فأكّد لنا أنّنا بأمان وأنّ الشرطة توفّر حماية كافية. ركضنا جميعاً صوب الباب الأماميّ ونحن نرتجف، وفجأة، سمعنا صوت امرأة وراءنا.

«إيلجي! من كلّ هؤلاء الناس؟!»

كانت تلك برناديت فوكس التي دخلت لتوّها من باب المطبخ.

التقييم البصريّ السريع كشف لي عن امرأة جذّابة في بداية الخمسينيّات من عمرها، متوسطة الطول والوزن، لا تضع مساحيق تجميل، بشرتها شاحبة لكنّها معافاة، تلبس معطفاً مطريّاً أزرق فوق بنطال جينز وسترة من الكشمير الأبيض المحبحب وخفّاً دون جوربين، شعرها الطويل ممشّط ومربوط للخلف بوشاح. لا يوجد ما يوحي بالإهمال في هيئتها، على العكس، بدت أنيقة وقد اعتنت جيّداً بنفسها.

شغّلتُ آلة التسجيل التي أحملها، وما يلي هو توثيق كتابيّ لما سجّلتُه:

فوكس: هل هي بي؟ لم تصب بي بمكروه! لقد رأيتُها للتوّ في المدرسة...

برانش: كلّا. بي بخير.

فوكس: إذاً من هؤلاء الناس؟

د. كورتز: اسمي د. جانل كورتز.

برانش: من المفروض أن تكوني في عيادة طبيب الأسنان، برناديت.

فوكس: كيف عرفتَ ذلك؟

د. كورتز: دعونا نجلس.

فوكس: لماذا؟ من أنتِ؟ إيلجي...
برانش: هل نقوم بالأمر هنا يا دكتورة؟
د. كورتز: أفترض أنّ...
فوكس: نقوم بماذا هنا؟ لا يعجبني هذا! سأغادر.
د. كورتز: برناديت، نحن هنا لأنّ أمركِ يهمّنا، ونريد أن نقدّم لكِ المساعدة التي تحتاجينها.
فوكس: أيّ نوع من المساعدة بالضبط؟ لماذا تقف الشرطة في الخارج؟ ولماذا هذه البعوضة هنا؟
د. كورتز: نودّ منك أن تجلسي كي نستطيع أن نعرض عليكِ حقيقة وضعك.
فوكس: إيلجي، أرجوك، اطلب منهم أن يغادروا. مهما كان الأمر، دعنا نناقشه على انفراد أنا وأنت، وأنا أعني ما أقول. هؤلاء أناس غرباء!
برانش: أنا أعرف كلّ شيء برناديت، وكذلك هم.
فوكس: إن كان هذا متعلّقاً بالدكتور نيرغارد... إن كان قد أخبرك... إن عرفتَ بطريقة ما... لقد ألغيتُ الموعد قبل عشر دقائق. أنا ذاهبة في الرحلة، أنا ذاهبة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة.
برانش: برناديت من فضلك! كفّي عن الكذب!
فوكس: تفحّص هاتفي. أترى؟ سجل المكالمات الصادرة. ها هو رقم د. نيرغارد. اتّصل به بنفسك. خذ...
برانش: د. كورتز، هل نبدأ؟
د. كورتز: برناديت، نحن قلقون بشأن قدرتكِ على العناية بنفسك.
فوكس: هل هذه مزحة؟! أنا حقّاً لا أفهم ما يدور هنا. هل هذا بسبب مانجولا؟
برانش: مانجولا غير موجودة.
فوكس: ماذا؟!
برانش: أيّها العميل سترانغ، هل يمكنك أن...

فوكس: العميل سترانغ؟!

العميل سترانغ: مرحباً. أنا من الإف. بي آي.

برانش: أيّها العميل سترانغ! بما أنّكَ هنا، هل يمكنك أن تشرح لزوجتي الكارثة التي سبّبتْها بأفعالها؟

العميل سترانغ: إن كان هذا الأمر سيتحوّل فجأة إلى جلسة علاج، فهو ليس من شأني.

برانش: أريد فقط أن...

العميل سترانغ: هذا يتعدّى ما يدفعون لي لأقوم به.

برانش: مانجولا هي شخصيّة زائفة تعمل باسمها عصابةٌ روسيّة تنتحل الهويّات. كانوا يتعاملون معكِ على أنّهم مانجولا كي يقتنصوا كلّ معلوماتنا المصرفيّة الشخصيّة، وليس هذا فحسب! إنّهم قادمون غداً إلى سياتل كي يضربوا ضربتهم، بينما أكون أنا وبي في القارّة القطبيّة الجنوبيّة. هل كلامي صحيح، أيّها العميل سترانغ؟

العميل سترانغ: صحيح تماماً.

فوكس: لا أصدّق ذلك! أعني، أصدّق ذلك! أيّة ضربة؟!

برانش: آخ لا أعرف! إفراغُ حساباتنا المصرفيّة وحساباتنا الاستثماريّة، والاستيلاءُ على سندات الملكيّة؟ لن يصعب هذا عليهم، نظراً لأنّك أعطيتهم جميع معلوماتنا الشخصيّة، إضافة إلى كلمات السرّ... حتّى أنّ مانجولا طلبت تفويضاً عامّاً.

فوكس: غير صحيح! لم أسمع من مانجولا منذ عدّة أيام، وكنتُ أنوي طردها.

برانش: هذا لأنّ الإف. بي. آي كانت تعترض الإيميلات وتجيب نيابة عنكِ. ألم تفهمي بعد؟!

د. كورتز: أجل، إنّها فكرة جيّدة برناديت، اجلسي، دعونا نجلس كلّنا.

فوكس: ليس هناك...

د. كورتز: أوه!

فوكس: إنّها رطبة. آسفة، هناك تسرّب. يا إلهي إيلجي! لقد أفسدتُ الوضع تماماً! هل سرقتْ كلّ شيء؟

برانش: الحمد لله، لا شيء بعد.

لي – سغال (تهمس بصوت غير مسموع)

برانش: شكراً لكِ، لقد نسيت! لقد استنفذتُ كلّ أميالنا المجانيّة.

فوكس: أميالنا؟! سئمتُ هذا! آسفة، أنا مصدومة فحسب.

د. كورتز: الآن، بما أنّنا مرتاحون نوعاً ما... آه! تنّورتي!!

فوكس: هل الأريكة رطبة؟ آسفة. لون البقعة برتقاليّ لأنّ الشبكة العازلة للمطر على السطح صدئة وتُسرِّب الماءَ، تزول عادة بفركها بعصير الليمون والملح. من أنتِ؟

د. كورتز: أنا د. جانل كورتز. لا بأس برناديت، أودّ أن أتابع تقديم الواقع لكِ. بما أنّ الإف. بي. آي حصلوا على إذن للوصول إلى إيميلك، استطعنا أن نكتشف أنّكِ فكّرتِ مليّاً بالانتحار فيما مضى، وأنّكِ تخزّنين أقراص الدواء من أجل محاولات الانتحار المستقبليّة، إضافة إلى محاولتكِ دهسَ إحدى الأمّهات في المدرسة.

فوكس: لا تكوني حمقاء!

لي – سغال (تتنهّد تنهيدة عميقة)

فوكس: أوه اخرسي! ماذا تفعلين هنا بأيّ حال؟ هلّا فتح أحدكم النافذة كي تخرج هذه البعوضة؟

برانش: توقّفي عن مناداتها بهذا اللقب برناديت!

فوكس: سامحني! هلّا أخرج أحدُكم «الإداريّة» من غرفة جلوسي؟

د. كورتز: آنسة لي – سغال، الأفضل أن تغادري.

برانش: يمكنها البقاء.

فوكس: حقّاً؟ يمكنها البقاء؟ كيف؟

برانش: إنّها صديقة...

فوكس: أيّ نوع من الصديقات؟ إنّها ليست صديقة لهذا الزواج، ثقْ بي!

برانش: أنت لستِ صاحبة القرار الآن برناديت.

فوكس: انتظري لحظة! ما هذا؟!

لي – سغال: ماذا؟!
فوكس: الذي يتدلّى من أسفل بنطالك.
لي – سغال: أنا؟! أين؟
فوكس: إنّه سروال داخليّ! سروالٌ داخليّ يتأ من بنطالك الجينز!
لي – سغال: أوه... لا أملك فكرة كيف وصل إلى هناك...
فوكس: أنت سكرتيرة مولودة في سياتل، ولا مكان لكِ في هذا المنزل!
د. كورتز: برناديت على حقّ، هذه مسألة تخصّ العائلة حصراً.
لي – سغال: تسعدني المغادرة.
العميل سترانغ: ماذا لو غادرتُ أنا أيضاً؟ سأكون في الخارج.
(عبارات وداع + يُفتح الباب الخارجيّ ويُغلق)
فوكس: من فضلكِ تابعي كابتن كورتز.. عفواً، دكتورة كورتز!
د. كورتز: برناديت، موقفكِ العدائيّ تجاه جارتكِ تسبّب بتدمير منزلها، وعرّض ثلاثين طفلاً لخطر الإصابة باضطراب الكرب النفسيّ ما بعد الصدمة. ليس لديك نيّة بالسفر إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، كما خطّطتِ لاقتلاع أضراسك كي تتفادي السفر، وأعطيتِ معلوماتكِ الشخصيّة طوعاً إلى مجرمة، ممّا كاد يتسبّب بكارثة ماليّة. أنتِ عاجزة عن القيام بأبسط أنواع التفاعل بين البشر، وتعتمدين على مساعِدة افتراضيّة لشراء الخضار وجدولة المواعيد والقيام بكلّ الواجبات المنزليّة الأساسيّة. منزلك خرابة ولجنة المباني ستدين وضعه، وهو بالنسبة لي مؤشّر على اكتئاب خطير.
فوكس: أما زلتِ «تقدّمين الواقع» لي أم أستطيع قول شيء ما؟
صوتُ رجل: نلْ منه!
د. كورتز / برانش: (أصوات مرتعبة)
(التفتنا ورأينا رجلاً يرتدي معطفاً طويلاً، ويحدّق بهاتفه الخليويّ)
برانش: من أنت؟
المفتّش دريْسكُل: أنا المفتّش دريسكُل من شرطة سياتل.
فوكس: كان هنا طوال الوقت. مررتُ من جانبه عندما دخلتُ.

المفتّش دريسكل: آسف. أنا أتحمّس أكثر ممّا يجب، كلِمْسون اعترض الكرة، وها هو يركض. اعتبروني غيرَ موجود.

د. كورتز: برناديت، يودّ إيلجي أن يبدأ بالتعبير عن حبّه لكِ. إيلجن...

برانش: ما مشكلتكِ بحقّ الجحيم برناديت؟! ظننتُ أنّك مستاءة أكثر منّي بسبب تلك الإجهاضات، لكن كلّ ما يهمّك طوال الوقت كان ذلك المنزل السخيف لا أكثر؟!أنا أمرُّ عشر مرّات يومياً في مايكروسوفت بما عانيتِه أنتِ بسبب منزل العشرين ميلاً. الناس يتجاوزون مشكلاتهم، هذا ما يدعى باستجماع القوى. لقد ربحتِ منحة ماك آرثر، لكنّك وبعد عشرين عاماً ما زلتِ تفكّرين بالظلم الذي لحق بكِ جرّاء شجار مع وغدٍ إنجليزيّ، شجار أنت تسبّبتِ به لنفسك! هل تدركين أنّ ذلك أنانيّة ورثاء للذات؟ هل تدركين؟!

د. كورتز: حسناً، إذاً، من المهمّ أن ندرك أنّ هناك الكثير من الأذى، لكن لنبقَ في الزمان والمكان الحاضر. إيلجي، لمَ لا تعبّر عن حبّك لبرناديت؟ لقد ذكرتَ أنّها أمٌّ رائعة...

برانش: وها أنت ذا تجلسين في مقطورتكِ وتكذبين عليّ شتّى الكذبات، وتعهدين بحياتكِ وحياتنا إلى الهند؟ ألا أملك قراراً بالموضوع؟ تخشين الإصابة بدوار البحر عندما نجتاز معبر درايك؟ هناك طريقة لمجابهتها هي لصاقة السكوبولامين، لا أن ترتّبي موعداً لاقتلاع أربعة أضراس عقل في آن واحد، وتكذبي عليّ وعلى بي بهذا الشأن. ربّما يموت الناس عند اقتلاع أضراس العقل، لكنّك على استعداد لخوض ذلك فقط، كي تتفادي حديثاً قصيراً مع الغرباء؟! بحقّ الجحيم! ماذا سيكون رأي بي عندما تعرف؟! وهذا كلّه لأنّكِ «فاشلة»؟ ماذا عن أنكِ زوجة؟ ماذا عن أنكِ أمّ؟ لماذا لا تلجئين إلى زوجكِ؟ لماذا تبوحين بأحزانك لمهندس معماريّ لم تلتقي به منذ عشرين عاماً؟ يا إلهي! أنت مريضة. أنتِ تسبّبين لي الغثيان! أنتِ مريضة!

د. كورتز: العناق هو مثال آخر على الحبّ.

برانش: لقد جننتِ برناديت، وكأنّ الفضائيّين استبدلوكِ بشبيهتكِ، لكنّ الشبيهة هي ممثلٌ خَرِفٌ متنكّرٌ على أنّه نسخة منك. أنا مقتنع بهذا لدرجة

أنّني في إحدى الليالي مددتُ يدي وأنتِ نائمة ولمستُ مرفقكِ، فكّرتُ «لن يتقنوا صنعَ المرفق المستدقّ، مهما كانوا ماهرين بصنع النسخة»، وها هما مرفقاكِ المستدقّان، لقد استيقظتِ عندما لمستكِ، هل تتذكّرين؟

فوكس: أجل أتذكّر.

برانش: عندما أمسكتُ نفسي وأنا أقوم بذلك فكّرتُ «آه يا إلهي! ستجرفني معها! برناديت جُنّت لكنّني لن أسمح لها بجرّي معها إلى الحضيض». أنا أبٌ، أنا زوج، أنا قائد فريق قوامه أكثر من مئتين وخمسين شخصاً يعتمدون كلّهم عليّ، وعائلاتهم تعتمد عليّ. أرفض أن ألقي بنفسي عن حافة الهاوية معكِ.

فوكس: (صوتُ بكاء)

برانش: ألهذا السبب تكرهينني؟ هل تسخرين منّي وتعتبرينني مغفّلاً لأنّني أحبّ عائلتي؟ لأنّني أحبّ عملي؟ لأنّني أحبّ الكتب؟ متى بدأ ازدراؤكِ لي، برناديت؟ هل هناك تاريخ دقيق؟ أم أنّ عليكِ التحقّق من التاريخ مع مساعدتكِ الافتراضيّة التي تدفعين لها خمسة وسبعين سنتاً في الساعة، لكنّها في حقيقة الأمر مافيا روسيّة سرقتْ كلّ أموالنا المجانيّة، وها هي قادمة إلى سياتل لقتلك؟ يا يسوع! عليّ أن أكفّ عن الكلام!

د. كورتز: ماذا لو وضعنا نقطة عند «الحبّ»، وانتقلنا إلى الضرر الذي سبّبه سلوك برناديت؟

برانش: هل تمزحين؟! الضرر الذي سبّبْتُه؟!

فوكس: أعرف الأضرار.

د. كورتز: رائع! التالي هو... نسيتُ ما هو التالي! لقد غطّينا الواقع، الحبّ، الضرر...

المفتّش دريسكل: لا تنظروا إليّ!

د. كورتز: دعوني أراجع ملاحظاتي.

المفتّش دريسكل: هل التوقيت مناسب كي أسأل لمن كوب القهوة هذا؟ لقد تركتُ كوبي في مكان ما.

د. كورتز: ضمانة الدعم!

برانش: بالطبع سوف أدعمكِ. أنتِ زوجتي، أنتِ أمُّ بي. نحن محظوظون لأنّنا ما نزال نملك قرشاً أستطيع أن أدفعه لأدعمكِ.

فوكس: أنا آسفة إيلجي. لا أعرف كيف سأعوّضكَ عمّا حصل. أنت محقّ، أنا أحتاج إلى المساعدة. سأفعل أيّ شيء، دعنا نبدأ بقضاء الوقت في القارّة القطبيّة الجنوبيّة، نحن الثلاثة فقط، لا كمبيوتر، لا عمل...

برانش: ما رأيكِ ألّا تلقي باللائمة على مايكروسوفت بما يحصل؟

فوكس: كلّ ما أقوله هو أن نذهب ثلاثتنا، عائلتنا، دون ما يشتّت انتباهنا.

برانش: لن أذهب برفقتكِ إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، سأرميكِ عن ظهر السفينة في أوّل فرصة تسنح لي.

فوكس: هل ألغيتَ الرحلة؟

برانش: لن أفعل ذلك ببي. كانت تقرأ الكتب وتعدّ التقارير عن القارّة القطبيّة الجنوبيّة طوال العام الماضي.

فوكس: أنا محتارة! إذاً...

د. كورتز: برناديت، أقترح أن نعمل معاً خلال الأسابيع القليلة القادمة.

فوكس: ستسافرين معنا؟! رائع!!

د. كورتز: كلّا لن أسافر. يجب أن تركّزي على التعافي، برناديت.

فوكس: ما أزال لا أفهم طبيعة دوركِ بالضبط.

د. كورتز: أنا طبيبة نفسيّة في مادرونا هِل.

فوكس: مادرونا هِل؟ مشفى المجانين؟ يا يسوع المسيح! سترميني في مشفى المجانين؟! إيلجي!! لن تفعل!

المفتّش دريسكل: تبّاً! هل سترميها هناك؟

برانش: برناديت، أنت بحاجة للمساعدة.

فوكس: إذن ستأخذ بي إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، وتحتجزني أنا في مادرونا هِل؟! لا يمكنكَ ذلك!

د. كورتز: نودّ منك الدخول بمحض إرادتك.

فوكس: يا يسوع! ألهذا جاء ڤان؟ لإلهاء بي بفهود الثلج وركوب الأرجوحة الدوّارة، بينما تقومون أنتم باحتجازي؟!

برانش: ما زلتِ لا تدركين درجة مرضكِ، أليس كذلك؟

فوكس: إيلجي، انظر إليّ! أنا غارقة في المشكلات، لكنّني أستطيع أن أتجاوزها، نستطيع أن نتجاوز هذه المحنة معاً، من أجلنا ومن أجل بي... لكنّني لن أعمل مع هؤلاء الغزاة! أنا آسفة، أريد أن أذهب للتبوّل منذ وصلتُ... أم أنّ عليّ طلب موافقة الدكتورة؟

د. كورتز: اذهبي فوراً.

فوكس: يا إلهي! إنّه أنت! هذا هو، إيلجي!

برانش: من؟

فوكس: الرجل الذي قلتُ لك في المطعم تلك الليلة إنّه يلاحقني! هذا هو! كنتَ تلاحقني، أليس كذلك؟

المفتّش دريسكل: لم يكن من المفترض أن تعرفي، لكن أجل.

فوكس: الهدف من كلّ ما يحصل هو اعتباري مجنونة، لكنّني أشعر بالراحة الآن لأنّك كنتَ تلاحقني. على الأقلّ أعرف أنّني لم أفقد عقلي!

(يُغلَق باب الحمّام). (صمتٌ طويل)

د. كورتز: أخبرتكَ أنّ التدخّل الدوائيّ ليس نقطة قوّتي.

برانش: كانت برناديت مُلاحَقةً بالفعل! ماذا لو أنّها قامت بإلغاء موعد الدكتور كورتز فعلاً؟ ألا يجدر بنا التحقّق من ذلك على الأقلّ؟

د. كورتز: كما سبق وناقشنا، الشكّ جزءٌ طبيعيّ، بل وضروريّ، من عمليّة التدخّل. تذكّر أنّ زوجتكَ لن تحصل على المساعدة بمحض إرادتها. نريد أن نمنعها من الانزلاق للحضيض.

برانش: أليس هذا هو الحال الآن؟ الحضيض؟

د. كورتز: الحضيض هو الموت، ما نقوم به يعني أنّنا ننقذ برناديت قبل أن تصل إلى الموت.

برانش: ولماذا يصبّ ذلك في مصلحة بي؟

د. كورتز: أمّها ستتلقّى المساعدة.

برانش: يا يسوع!

د. كورتز: ماذا؟

برانش: حقيبتها! قبل يومين كانت حقيبتي وحقيبة بي فقط جاهزتَين، هذه حقيبة برناديت وهي الآن موضّبة.

المفتّش دريسكل: ماذا تقصد؟

برانش: د. كورتز، هذا يثبت أنّها كانت تنوي السفر! ربّما بالغتْ باعتمادها على الإنترنت وتورّطت في احتيال... يتعرّض الناس لانتحال شخصيّاتهم طوال الوقت، لكنّهم لا يُرسَلون إلى مشفى المجانين...

د. كورتز: سيّد برانش!

(طرقاتٌ على باب الحمّام)

برانش: برناديت! أنا آسف! دعينا نناقش الموضوع!

(ركلاتٌ على الباب)

المفتّش دريسكل: نحتاج دعماً!

د. كورتز: يا سيّد برانش!

برانش: دعني! برناديت! لماذا لا تردّ؟! يا سيّد...

المفتّش دريسكل: أجل هنا.

برانش: ماذا لو ابتلعتْ حبوباً أو كسرت النافذة وقطعت أوردة معصمها... برناديت!!

(يُفتح الباب الأماميّ)

العميل سترانغ: هل هناك مشكلة؟

المفتّش دريسكل: برناديت في الحمّام منذ عدّة دقائق وهي لا تردّ.

العميل سترانغ: تراجعوا! يا آنسة فوكس!

(رفسٌ مطوّل على الباب)

المفتّش دريسكل: ليست هنا! الماء يتدفّق في المغسلة.

برانش: هل اختفت؟!

المفتّش دريسكل: هل هناك نافذة؟...

العميل سترانغ: إنّها مغلقة. (صوت انفتاح نافذة) الحديقة شديدة الانحدار، ومن الصعب أن تقفز دون أن تؤذي نفسها، ولا يوجد إفريز للنافذة. كنتُ واقفاً عند الباب الأماميّ (خشخشة لاسلكيّ) كيفن، هل ترى شيئاً؟

صوت من اللّاسلكيّ: لم يدخل أو يخرج أحد.

برانش: لا يمكن أن تختفي! أنتَ كنتَ واقفاً عند باب الحمّام، أليس كذلك؟

المفتّش دريسكل: ابتعدتُ لحظة كي ألقي نظرة على الحقيبة.

العميل سترانغ: يا يسوع المسيح!

المفتّش دريسكل: لقد تحدّث عن الحقيبة بطريقة تثير الفضول حقّاً!

د. كورتز: هذا هو الباب الوحيد الذي قد... إلى أين يؤدّي؟

برانش: إلى القبو. نحن لا نفتحه، توت العليق يعرّش بكثافة عليه. أيّها المفتش، هلّا ساعدتني؟

(صوت احتكاك الباب بالبلاط)

د. كورتز: آخ يا إلهي! الرائحة!

المفتّش دريسكل: آتشوو!

العميل سترانغ: من الواضح أنّها لم تنزل إلى القبو...

(صوت محرّك يهدر)

د. كورتز: ما هذا؟

برانش: آلة جزّ العشب. إن نزلتْ إلى القبو...

د. كورتز: لا يوجد طريق...

(المحرّك يهدر بصوت أعلى)

د. كورتز: يا سيّد برانش!

لم يكد السيّد برانش ينزل إلى القبو، حتّى سقط بين أغصان توت العليق المغطّاة بالأشواك. عاد دامياً بثياب ممزّقة، وجرح في جفنه الأيسر، وسحجة شديدة في عينه. اندفعت به سيّارة الإسعاف إلى عيادة أمراض العين في ڤيرجينيا ماسون.

فتّشت الكلابُ البوليسيّة المكان. لا أثر لبرناديت فوكس.

***

الجزء الخامس

انحسارُ الخطر

الجمعة، 14 كانون الثاني

من بابا

بي،

اتّصلت السيّدة ويب لتقول إنّها انتهت من تلميع كوب الزرافة الخاصّ بكِ، وأنّه جاهز كي أستلمه. ذهبتُ إلى غايلر ستريت، حيث أعطتني معلّمة الصفّ الأوّل بوستر الوداع هذا الذي رسمه تلامذتها من أجلك، وهو غنيّ بالألوان، لذلك فكّرتُ أنّك سترغبين بتعليقه على جدار غرفتك (سأحتفظ بالكوب مع ذلك، وأدّعي أنّه قد ينكسر بالبريد!). الجميع في غايلر ستريت يرسلون لكِ محبّتهم يا غاليتي، بدءاً من تلامذة الروضة وحتّى غوين غودير.

سياتل كما تركْتِها، تمتّعنا بثلاثة أيّام مشمسة، من ثمّ بدأ المطر من جديد. لا أخبار من ماما، أنا على تواصل دائم مع شركات الهاتف وبطاقات الائتمان، وسيبلغونني بأيّ استخدام لها فوراً.

تذكّري بي، ليس لكِ علاقة بالمسألة أبداً، إنّها مشكلات الراشدين بيني وبين أمّك. الوضع معقّد وأنا غير واثق أنّني أفهم كلّ ما حصل، الأهمّ هو أنّك تعرفين كم نحبّك كلانا.

سأذهب إلى واشنطن دي. سي الأسبوع المقبل لحضور اجتماع، فكّرتُ أن آتي بالسيّارة إلى شوت وآخذكِ كي نحظى أنا وأنتِ بعطلة نهاية أسبوع طويلة في نيويورك. يمكننا أن نبقى في فندق البلازا، مثل ألويز[1].

1- Eloise سلسلة قصصية للأطفال كتبتها كاي ترمبسون في حقبة الخمسينيّات، تدور حول الطفلة ألويز التي تعيش في غرفة في أعلى طابق من فندق البلازا في نيويورك مع مربيّتها وكلبها وسلحفاتها. م

أشتاق لكِ كثيراً. أنا دائماً متواجد إن أردتِ الاتّصال بي، كما أحبّ أن نتحدّث عبر سكايب في حال غيّرتِ رأيكِ يوماً.

محبّتي،

بابا

***

فاكس من سو - لِن

عزيزتي أودري،

آمل أن تكوني بخير في أريزونا (أوتا؟ نيو مكسيكو؟ كلّ ما قاله وارن هو أنّك تقيمين في موتيل صحراويّ حيث لا توجد شبكة خليويّ ولا إيميل! عجباً!). لستُ متأكّدة كم تعرفين من أخبار الشهر الماضي، لذلك سأنطلق من البداية.

كما توقّعتِ -حتّى قبل أن أدرك أنا ما يحصل- طوّرنا أنا وإيلجي رابطة قويّة من خلال سامانثا 2، بدأتْ من ناحيتي كإعجاب بعبقريّته، من ثمّ أينعتْ أكثر عندما بدأ يبوح لي بما يحدث في زواجه السيّء.

طلّاب الصفّ الثامن يدرسون شكسبير الآن، وأحد واجبات لنكولن هو حفظ مونولوج (أخبري كايل بذلك، سيفرح لأنّه لم يعد يذهب إلى غايلر ستريت!)، أعطوه ذلك الخطاب من «عطيل» حيث يدافع الموريسكيّ عن حبّه غير المعقول لدسدِمونا... ذلك الخطّاب يلخّصني أنا وإيلجي:

تحبّني بسبب ما مررتُ به من أخطار

وأحبّها لأنّها تشفق عليّ بسبب تلك الأخطار

شكسبير هو أفضل من يصوغ الموضوعات، أليس كذلك؟

تعرفين أنّ برناديت اختفت خلال جلسة علاجيّة في منزلها. في البداية، قلقنا جميعاً من أنّ المافيا الروسيّة تسلّلت واختطفتها، من ثمّ علمنا أنّ الروس اعتُقِلوا وهم يبدّلون الطائرة في دوبروڤنك، وهو ما جعل الإف. بي. آي والشرطة يختفون أسرع من برناديت!

لم يذهب إيلجي وبي إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة بعد ذلك، لأنّ إيلجي اضطرّ لتلقّي العلاج من أجل سحجة قرنيّة، كما تمّ تقطيب جفنه. بعد 72 ساعة، قدّم بلاغاً عن اختفاء برناديت إلى الشرطة، لكن لا أنباء عنها حتّى هذه اللحظة.

برأيي، لقد ابتلعتها أشباحُ فتيات سترايت غايت. هل تعرفين أنّ سترايت غايت لم تكن مجرّد «مدرسة للفتيات الناشزات»؟ كانت مقرّاً لحبس الفتيات الحوامل، وأُجْرِيَتْ في قبوها عمليّاتُ إجهاض غير شرعيّة... وهناك اختارت برناديت أن تربّي طفلتها؟!

لقد خرجتُ عن سياق الموضوع...

أعدّ إيلجي خطّة طوارئ لإرسال بي إلى المدرسة الداخليّة في كانون الأوّل، وظنّ أنّها لن تقبل بذلك بعد اختفاء برناديت، لكنّ بي أصرّت على الذهاب.

طلبتُ من إيلجي أن ينتقل إلى بيتي لكنّه فضّل البقاء في فندق، وهو ما أحترمه. يا لي من محظوظة! حصلتُ على كلبتهم الكبيرة البليدة التي تركض هنا وهناك طوال النهار والليل، وهي تنوح طالبة برناديت، وتبلّل كلّ شيء باللعاب!

اقترح إيلجي أن أفتّش عن منزل أكبر في كوين آن وهو سيدفع ثمنه، من ثمّ قُبِل لنكولن في لايك سايد (أوه! هل أخبرتكِ؟! لقد قُبِلنا في لايك سايد!) لذلك، بما أنّ لايك سايد ستكون مركز حياتنا خلال السنوات الأربع المقبلة، فكّرتُ: ما الذي يبقينا في كوين آن بأيّ حال؟ لماذا لا ننتقل إلى ماديسون بارك؟ إنّها أقرب إلى لايك سايد وأقرب إلى مايكروسوفت... وافق إيلجي شرط ألّا يحتاج المنزل الجديد إلى ترميم.

وجدتُ المنزل الأجمل، قبالة بحيرة واشنطن مباشرة. منزل ساحر من طراز كرافتسمان، كان ملكاً لكورت كوباين وكورتني لوف من قبل. أسهم لينكولن سترتفع في المدرسة دون شكّ!

لقد تركتُ مايكروسوفت، حمداً للربّ! إنّهم على وشك القيام بإعادة هيكلة ثانية. أجل، بهذه السرعة! لن تطال بالطبع فريق سامانثا 2، لكنّ

مايكروسوفت ليست مكاناً ممتعاً تبقين فيه الآن، ستُشَلّ قدرتكِ على الإنتاج وسط كلّ تلك الشائعات.

بعد أن قرأتُ هذه الرسالة مرّة أخرى، أخشى أنّ قلّة ذوقي رهيبة إن أخذتُ بعين الاعتبار أين أنتِ الآن. أين أنتِ بأيّ حال؟ وكيف هو كايل؟

آمل أنّك ستفرحين من أجلي

مع حبّي،

سو - لِنْ

***

السبت 15 كانون الثاني
فاكس من أودري غريفن

عزيزتي سو - لِنْ،

أهنّئك على سعادتكِ الجديدة. أنتِ رائعة وتستحقّين كلّ الفرح الذي تحمله لكِ حياتكِ الجديدة. أتمنّى أن يدوم فرحكِ هذا.

لقد وجدتُ السكينة في أوتا، حيث يُعالَج كايل في «برنامج إعادة التأهيل ضمن الطبيعة». إنّه مدمن على المخدّرات، كما شُخّص له «اضطراب نقص الانتباه مع فرط الحركيّة»، و«اضطراب الشخصيّة الحدّيّة».

وجدتُ برنامجاً رائعاً -ولو أنّه شاقّ- يقوم على الانغماس بالطبيعة. السبب الذي جعلنا نختار أوتا هو أنّها الولاية الوحيدة التي تسمح لكِ وفق قانونها باختطاف طفلك، لذلك فهم متخصّصون ببرامج إعادة التأهيل ضمن الطبيعة تلك. في اليوم الأوّل، أخذوا كايل مع مجموعة من الأطفال بالسيّارة وهم معصوبو الأعين، ورموهم على عمق عشرين كيلو متر في الصحراء دون أكياس نوم ولا فراشي أسنان ولا طعام ولا خيام، وقالوا لهم إنّهم سيعودون لأخذهم بعد أسبوع.

البرنامج لا يشبه برنامج تلفزيون الواقع حيث توجد كاميرات والجميع مُراقَبون... كلّا، الأطفال هنا مُجبَرون على التعاون بهدف النجاة. العديد منهم -مثل كايل- انقطعوا عن تناول المخدّرات بشكل فجائيّ.

خفتُ دون شكّ! كايل غير قادر على القيام بأيّ شيء بنفسه. هل تتذكّرين كيف كان يتّصل بي عندما نخرج في «ليلة البنات فقط» كي يقول: «ماما، نفدت بطّاريّات جهاز التحكّم»، وكيف كنتُ أغادر باكراً كي أمرّ بالمتجر وأشتري له بطّاريّات؟ كيف سينجو من سبعة أيّام في الصحراء؟ لعلّ الأسوأ سيحصل! كنتُ أنظر إلى بقيّة الأمّهاتِ وأفكّر: ابني سيقتل واحداً من أطفالكنّ!

بعد أسبوع، جمعوا الأطفال وجلبوهم إلى مركز إعادة التأهيل. عاد كايل حيّاً، وقد فقد عشرة باوندات من وزنه، ورائحته مقرفة، وكان خانعاً نوعاً ما.

رجع وارن إلى سياتل، لكنّني لم أقوَ على المغادرة. نزلتُ في موتيل يبدو فندق ويستن مقارنة معه أشبه بتاج محل! آلات الصودا مغطّاة بشبكة حديديّة، وملاءات السرير في غاية الخشونة. قدتُ سيّارتي مئة ميل إلى أقرب متجر والمارت، كي أشتري ملاءات قطنيّة.

بدأتُ أرتاد لقاءات «كحوليّون مجهولون»، تلك التي تتخصّص بأهالي الأطفال الذين يعانون من مشكلات الإدمان، وتقبّلتُ أنّ حياتي أصبحت خارج نطاق السيطرة. كنتُ أذهب إلى الكنيسة دائماً، لكنّ هذا البرنامج روحانيّ عميق بطريقة لم أختبرها من قبل... سأترك الموضوع عند هذا الحدّ.

بصراحة، أنا خائفة من العودة إلى سياتل. غوين غودير عرضت بكلّ كرم أن تقبل كايل مجدّداً في غايلر ستريت بعد عطلة الربيع، وأن تسمح له بتعويض علاماته خلال فصل الصيف كي يتخرّج مع رفاق صفّه، لكنّني لستُ واثقة إن كنتُ أريد العودة. أنا لستُ المرأة ذاتها التي كتبتْ تهنئة الكريسماس الحمقاء تلك، ولكنّني في الوقت نفسه لا أعرف من أكون بالضبط. أثق أنّ الربّ سيوجّهني.

كانت تلك أخباراً مزعجة فعلاً عن برناديت. أعرف أنّها ستظهر، إنّها دائماً تحمل في جعبتها حيلة ما، أليس كذلك؟

محبّتي،

أودري.

***

الأحد، 16 كانون الثاني

من: سو -لِنْ لي- سغال

إلى: أودري غريفن

أودري! أنا في خضمّ الكابوس الأفظع!! يجدر بي أن أكتب إلى أحد رفاقي في ض. ض. ض، لكنّني لا أستطيع لأنّ اللابتوب لايعمل، وكلّ عناوين مراسلاتي ضمنه، وإيميلك هو الوحيد الذي أحفظه عن ظهر قلب. أنا في مقهى إنترنت في أمريكا الجنوبيّة، الكيبورد مقرف ودبق وشنيع، حرف P ينقلب إلى B، وحرف B ينقلب إلى P، وعلامة الفاصلة تعْلق وعليكِ أن تضغطي زرّ التراجع فوراً، وإلّا سيمتلئ الإيميل بأكمله بها! تغلّبتُ على P و B، لكنّهم يحسبون الكلفة بالدقيقة ولا يقبلون بطاقات الائتمان، وأنا لا أحمل سوى عشرين بيزو. المؤقّت الزمني يركض، وقطعة الخردة البالية هذه التي تُدعى بالكمبيوتر ستنطفئ خلال دقيقتين. لا أريد أن يعرف إيلجي أنّني تسلّلتُ خارجاً، لذلك سأخبرك قدر ما أستطيع من القصّة قبل أن تنفد نقودي.

لقد وجدوها!!! لقد وجدوا برناديت!!! البارحة ظهرت فاتورة مقدارها 1300 دولار على بطاقة ڤيزا كارد الخاصّة بإيلجي لصالح شركة الرحلات البحريّة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، فاتّصل إيلجي بوكيل الرحلات الذي أكّد له صحّة الفاتورة. لقد سافرت برناديت إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة وحدها!!! الشركة تحتفظ بمعلومات بطاقة الائتمان، واقتطعتِ المصاريف الإضافيّة من حساب البطاقة لأنّ الرحلة قاربت على الانتهاء، لذلك تلقّى إيلجي إشعاراً. قال وكيل الرحلات إنّ السفينة تتّجه في تلك اللحظة إلى معبر درايك عائدة من القارّة القطبيّة الجنوبيّة، وسترسو في أوشوايا، الأرجنتين خلال 24 ساعة! اتّصل إيلجي بي، فحجزتُ مقعدين في الطائرة إلى هنا.

أودري، أنا حامل!!! أنا حامل بطفل إيلجي. لم أكن أريد أن أخبركِ أنتِ أو أيّ شخص آخر، لأنّني في الأربعين من عمري وأُعدّ بالتالي حاملاً مسنّة. إيلجي يعرف بالطبع، وهذا هو السبب الحقيقيّ لاستقالتي (كي لا أعاني من توتّر إضافيّ) وسبب شراء إيلجي للمنزل... لا كي أعيش فيه أنا وهو بسعادة طوال العمر ها ها ها كما كنتُ أتمنّى، بل من أجل طفله الجديد!!!

أمّا الآن وقد عادت برناديت إلى الصورة، ماذا سيحلّ بي؟! ما كان عليّ أبداً أن أترك مايكروسوفت! أنا حمقاء! كنتُ أعيش في فقاعة وهم، وظننتُ بغباء أنّنا سنعيش سعداء للأبد أنا وإيلجي والأطفال. ماذا سأفعل لكسب المال؟ برناديت تكرهني، ليتكِ سمعتِ العبارات اللئيمة التي قالتها لي. أنا أرتعب منها، إنّها ساحرة. أنا في حالة رعب مطلق! إيلجي لا يريدني هنا، كاد يموت عندما علم أنّني آتية معه إلى أوشوايا... لم يعرف أنّني حجزتُ تذكرة لي، لكن ماذا كان بوسعه أن يفعل؟ أن يرفض طلب المرأة التي تحمل طفله؟ ها ها، كلّا، أنا في أوشوايا، هذا هو موقعي الآن، وأنا أكتب باستخدام هذا الكيبورد الرهيب!!!!! يجب، يجب، يجب عليّ أن أكون هناك إلى جانب إيلجي عندما تنزل برناديت عن تلك السفينة غداً. إن لم يخبرها هو أنّني حامل، تأكّدي أنّني سأخبرها بنفسي.

***

الثلاثاء 18 كانون الثاني

من بروس جيسُب

عزيزي السيّد برانش،

حاولتُ الاتّصال بمكتبك، لكنّ المجيب الآليّ ردّ أنّك خارج البلاد. أكتب لك ببالغ الحزن وبشكل عاجل، بعد التشاور مع المشرفة على بي ومع رئيسة السكن، ننصح بالإجماع أن تنسحب بي من روز ماري شوت على الفور، وقبل انتهاء السنة الأكاديميّة.

كما تعلم، تحمّسنا جميعاً لقدوم بي المفاجئ. وجدنا لها غرفة في هومستيد وهو أحد المهاجع الأكثر حميميّة في المدرسة، مع زميلة سكن هي سارة وَيات، طالبةٌ حائزة على جائزة الشرف من نيويورك.

بدأتُ أتلقّى التقارير عن أنّ بي تفشل بالتكيّف مع بيئة المدرسة الداخليّة منذ الأسبوع الأوّل لوصولها. قال الأساتذة إنّها تجلس في الخلف ولا تدوّن الملاحظات أبداً، كما رأيتُها تأخذ طعامها إلى غرفتها، عوضاً عن تناوله في قاعة المطعم مع بقيّة الطلّاب. بعد ذلك، طلبتْ زميلتها في السكن تبديلَ

الغرف، اشتكت سارة أنّ بي تمضي كلّ الوقت المخصّص للدراسة وهي تشاهد جوش غروبان يغنّي «أوه أيّتها الليلة المقدّسة» في يوتوب. ظننتُ أنّ هذا الأمر قد يكون مدخلاً للتفاهم مع بي، فأرسلتُ القسّ إلى غرفتها، لكنّه قال إنّها غير مهتمّة بالنقاش الروحانيّ.

البارحة، شاهدتُ بي تتقافز بسعادة وهي تعبر حرم المدرسة فشعرتُ بارتياح بالغ، إلى أن اندفعت سارة إلى مكتبي وهي مصدومة تماماً. أخبرتني أنّها ذهبت هي وبي إلى مركز نشاطات الطلبة قبل عدّة أيام كي تأخذا بريدهما، فوجدت بي في صندوقها مغلّفاً سميكاً أسمر لا يحمل عنوان المرسل، لكنّه مختوم بختم بريد سياتل. علّقت بي أنّ الخطّ لا يبدو مألوفاً، ووجدت في المغلّف حزمة من الملفّات، ثمّ بدأت تقفز إلى الأعلى وإلى الأسفل بحماس وهي تقرأها. سألتها سارة عن محتواها، لكنّ بي رفضت الإجابة، وتوقّفت بعد ذلك عن مشاهدة اليوتوب في الغرفة. قالت لسارة إنّها ستؤلّف «كتاباً» اعتماداً على تلك الملفّات.

البارحة بعد الظهر، استغلّت سارة غياب بي عن الغرفة واسترقت نظرة على «الكتاب» فصعقها ما رأته، خصوصاً تقارير الإف. بي. آي «السرّيّة»، لذلك اندفعت راكضة إلى مكتبي مباشرة.

اعتماداً على وصف سارة، بي تكتب سرداً يستند إلى محتويات المغلّف التي تتضمّن: تقارير من الإف. بي. آي حول مراقبة زوجتك، إيميلات بينك وبين إداريّة فريقك، ملاحظات مكتوبة بخطّ اليد بين امرأة ما وبين البستانيّ، فاتورة غرفة إسعاف للمرأة ذاتها، إيميلات متبادلة بين جامعي التبرّعات في مدرسة غايلر ستريت حول فطور كارثيّ، مقال عن مهنة زوجتك، ومراسلات بينك وبين طبيبة نفسيّة.

ما يهمّني هنا هو بي. ربّما تعلم أنّ جون. ف. كينيدي ارتاد مدرسة شوت، وأثناء دراسته هنا ألقى المدير سيمور سانت جون خطاباً ترحيبياً قال فيه كلماتٍ خالدة: «لا تسألوني ماذا ستقدّم شوت لكم، اسألوا ماذا ستفعلون أنتم من أجل شوت».

على الرغم من صعوبة الموضوع، لكن هناك ما يمكنني القيام به من أجل

شوت. يمكنني أن أعيد ترتيب الأمور عندنا تأتي طالبة ما -حتّى ولو كانت موهوبة مثل بي- إلى المدرسة الداخليّة في مرحلة من حياتها تتطلّب البقاء في البيت مع العائلة.

أتوقّع أنّك ستوافقني الرأي، وستأتي فوراً إلى والينغفورد لأخذ ابنتك إلى المنزل.

المخلص،

بروس جيسب.

***

الأربعاء، 19 كانون الثاني
فاكس من سو - لِن

أودري،

تحذير: استولى الفضائيّون على دماغي البارحة! لقد مرّ وقت طويل منذ أن كنتُ حاملاً آخر مرّة، ونسيتُ تماماً كيف تدفعك الهرمونات للقيام بتصرّفات مجنونة، مثل الركض إلى مقهى إنترنت أرجنتينيّ في منتصف الليل، وكتابة إيميلات محرِجة مسعورة إلى الأصدقاء في الوطن.

الآن وقد استعدتُ دماغي، سأحاول أن أكتب المستجدّات الأخيرة على ملحمة برناديت بطريقة أكثرعقلانيّة. سأحذّركِ مع ذلك: مهما بدت الأحداث التي ذكرتُها في إيميلي الأخير (غير المترابط) مثيرة، لكنّها لا تُعدّ شيئاً مقارنة مع ما حصل خلال الساعات الثماني والأربعين الماضية.

بعد أن وصلنا عند منتصف الليل، استيقظنا أنا وإيلجي في بلدة أوشوايا الصغيرة الرطبة المقفرة. الفصل صيف، لكنّه لا يشبه أيّ صيف رأيتُه من قبل: الضباب كثيفٌ ودائم، والهواء مشبع برطوبة تفوق رطوبة الغابات المطريّة في شبه الجزيرة الأولمبيّة[1]. كان أمامنا متسعٌ من الوقت قبل وصول سفينة برناديت، لذلك سألنا موظّف الاستقبال في الفندق إن كانت

1- شبه جزيرة توجد في ولاية واشنطن، وهي محميّة طبيعيّة تضمّ متنزهاً وطنيّاً. م

هناك معالم سياحيّة نتفرّج عليها، فأجاب أنّ أشهرها في بلدتهم هو السجن. أجل، السجن هو مفهومهم حول المرح، لم يعد يُستعَمل كسجن منذ فترة، وتحوّل حالياً إلى معرض للفنون، شكراً لكم لكن لا شكراً. اتّجهنا مباشرة أنا وإيلجي إلى الميناء لملاقاة مركب برناديت.

لمحتُ على الطريق بعض أزهار شقائق النعمان الآيسلنديّة وأزهار الترمس وقفّاز الثعلب، ممّا ذكّرني بالوطن. التقطتُ صوراً، وسأرسلها لكِ إن رغبتِ بذلك.

الميناء يفوح برائحة السمك النتنة، وهو مكتظّ بزوارق صيد بشعة وعمّال سوقيّين. في سياتل، ترسو زوارقنا السياحيّة بعيداً عن مراكب السمك، أمّا في الأرجنتين فلا!

انتظرنا أنا وإيلجي في «مكتب الهجرة»، وهو عبارة عن أربعة جدران رقيقة، وفيه صورة مؤطّرة لمايكل جاكسون، وآلة تصوير بالأشعة السينيّة غير موصولة بالكهرباء أصلاً. هناك أيضاً ثلاثة هواتف عتيقة مربّعة الشكل مدفوعة، والعديد من البحّارة الدوليّين الذين ينتظرون دورهم للاتّصال مع بلادهم. ذلك المكان أشبه ببرج بابل!

سأعطيك لمحة عن مشاعر إيلجي خلال الأسابيع السابقة: تتراوح ما بين الإيمان أنّ برناديت ستدخل متعبَة من الباب، وبين القلق إن كان قد أصابها مكروه. ما إن علم أنّ برناديت قد فرّت إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة تاركة القلق ينهشهم، حسناً، ثارت ثائرته. سأقول لكِ إنّني أجد موقفه هذا غريباً نوعاً ما. «لن تغضب من شخص ما لأنّه أصيب بالسرطان» قلتُ، «من الواضح أنّها مريضة».

«ليست مصابة بالسرطان» قال، «إنّها أنانيّة وضعيفة وتهرب عوضاً عن مواجهة الواقع: لقد هربت من لوس أنجلس، لقد هربت إلى مقطورتها، هربت من تحمّل أيّة مسؤوليّة شخصيّة، وماذا فعلت عندما واجهناها بهذه الحقيقة؟ حرفيّاً: لقد هربتْ، وهأنذا أعمى أيضاً فوق كلّ شيء».

أودري، إنّه ليس أعمى. والدي كان أعمى لذلك أنا لا أتحمّل المبالغة. كلّ ما على إيلجي فعله هو تغطية عدسة نظّارته اليسرى بشريط لاصق، ريثما تُشفى قرنيّة عينه قريباً.

رست سفينة H&H أليغرا أخيراً. إنّها سفينة أصغر حجماً من أيّ مركب سياحيّ رأيتُه في سياتل، لكنّها رائعة ومدهونة حديثاً. نصب عمّال الميناء دَرَجاً، وبدأ المسافرون بالنزول والدخول إلى مكتب الهجرة، حيث سبق لإيلجي إعلام من فيه أنّنا ننتظر برناديت فوكس. تدفّق الركّاب، والمزيد من الركّاب، لكن لا أثر لبرناديت.

إيلجي المسكين! كان أشبه بكلب ينوح عند الباب بانتظار عودة صاحبه. «ها هي...» كان يقول، من ثمّ «كلّا، هذه ليست هي. أوه ها هي!» من ثمّ بكلّ حزن «كلّا، ليست هي». أصبح المسافرون أقلّ فأقلّ، مع ذلك بقينا وانتظرنا.

بعد فاصل مقلق لم ينزل خلاله أيّ راكب، تقدّم نحونا كابتن السفينة برفقة عدد من ضبّاطه، وهم يسيرون في صفّ مرصوص ويتحدّثون بفظاظة.

«لم تأتِ»، غمغم إيلجي.

«ماذا؟»، قلتُ.

«تبّاً! أنتِ تمزحين معي!»، قال.

«ماذا؟» قلتُ، وعندها دخل الكابتن وعصابته كوخ مكتب الهجرة.

«يا سيّد برانش» قال الكابتن بلكنة ألمانيّة ثقيلة، «يبدو أنّ لدينا مشكلة. لا نستطيع إيجاد زوجتك». أنا لا أمزح أودري! فعلتها برناديت مرّة أخرى! اختفت من السفينة في مكان ما على الطريق! بدا على الكابتن أنّه في حالة صدمة حقيقيّة، وقام بإبلاغ رئيس شركة السفن السياحيّة بما حصل، ووعدَنا بإجراء تحقيق دقيق. من ثمّ أصبح الوضع سرياليّاً حقّاً، وقفنا هناك نحاول استيعاب الخبر الذي سقط علينا للتوّ كقنبلة، ثمّ اعتذر الكابتن منّا بلباقة: «مجموعة المسافرين التالية على وشك أن تصل» قال، «علينا أن نجهّز السفينة».

ضابط الضيافة، وهي امرأة ألمانيّة شعرها القصير للغاية مصبوغٌ بالأشقر الثلجيّ، سلّمتنا جواز سفر برناديت بابتسامة خجول وكأنّها تقول: أعرف أنّه ليس بالكثير، لكنّه كلّ ما لدينا.

«انتظروا لحظة...» صرخ إيلجي، «مسؤوليّة من هذه؟ من هو المسؤول؟».

الإجابة كما تبيّن لنا: لا أحد. بصعودها على السفينة، تكون برناديت قد

غادرت الأرجنتين (كما هو واضح من الختم على جواز سفرها) وبالتالي هذه ليست مشكلة الأرجنتين، وبما أنّ القارّة القطبيّة الجنوبيّة ليست بلداً ولا تديرها حكومة معيّنة، برناديت «لم تدخل» أيّ بلد رسميّاً بعد أن غادرت الأرجنتين.

«هل يمكنني أن أفتّش المركب؟» توسّل إيلجي، «أو غرفتها على الأقلّ؟» لكنّ أحد الضبّاط الأرجنتينيّين أصرّ على أنّه لا يمكننا الصعود إلى المركب لأنّنا لا نحمل الأوراق المطلوبة، من ثمّ عاد الكابتن أدراجه على رصيف الميناء المبلّل بالمطر، وتركَنا واقفَين هناك، مشدوهَين.

«المسافرون الآخرون!» صاح إيلجي وهو يركض إلى الشارع، لكنّ الباص الأخير سبق أن غادر للتوّ، بعدها اندفع إيلجي صوب السفينة بجنون، لكنّه لم يبتعد كثيراً لأنّه اصطدم بعمود وسقط أرضاً (هناك خلل في إدراكه للعمق بسبب العدسة الداكنة اليسرى)، وسرعان ما وقف أحد ضبّاط الجمارك الأرجنتينيّين فوقه، وصوّب مسدّسه إليه.

أثار صراخي جلبة كانت كافية على الأقلّ لجعل الكابتن يستدير صوبنا. منظر إيلجي وهو ينوح «زوجتي! زوجتي!» ممدّداً على رصيف الميناء الزلق، بينما أنا أقفز إلى أعلى وإلى أسفل، يجعل أيّاً كان يشفق علينا، حتّى ولو كان ألمانيّاً! عاد الكابتن وقال إنّه طلب تفتيش السفينة، وطلب منّا الانتظار.

كلّ ما يهمّني هو أنّ برناديت موجودة في وسط المحيط في القارّة القطبيّة الجنوبيّة. فلتبقَ هناك! أجل، سمعتِ ما قلتُه. لم أحبّ تلك المرأة من قبل، ولن أحبّها الآن في هذه اللحظة وأنا حامل بطفل زوجها!

السبب الكامن خلف هذه الأنانيّة الجبانة والذي سأعترف به هو: مقدار حبّي لإيلجي! إن أراد العثور على زوجته، سأرغب بالعثور عليها أنا أيضاً... لقد تقمّصتُ شخصيّة الإداريّة على الفور.

وقفتُ في الصفّ خلف مجموعة من أعضاء الطاقم الذين يريدون إجراء مكالمة هاتفيّة إلى بلادهم خلال الفاصل ما بين الرحلتين. عندما جاء دوري، استطعتُ الوصول بمعجزة إلى العميل سترانغ في الإف. بي. آي. أمسكنا السمّاعة ما بيننا أنا وإيلجي، بينما وصلنا العميل سترانغ مع صديق له، وهو

محامٍ متقاعد مختصّ بالقوانين البحريّة. شرحنا له معضلتنا، وبحث هو من ناحيته في الإنترنت.

صمْتُنا أزعج البحّارة المنتظرين شيئاً فشيئاً. أخيراً، عاد إلينا المحامي وأخبرنا أنّ سفينة H&H أليغرا مسجّلة تحت راية ليبيريا (سأوفّر عليك بحثاً في الأطلس: ليبيريا هي بلد فقير مزّقته الحروب في غرب القارّة الإفريقيّة)، وهذا لا يفيدنا ولا يعزّينا. أخبرنا المحامي ألّا نتوقّع تعاون شركة هارمسن وهيث على الإطلاق، سبق له أن مثّل في الماضي عائلات الأشخاص الذين فُقِدوا من على متن السفن السياحيّة (من كان يعلم أنّ هذا مصدرُ دخلٍ بحدّ ذاته؟!) واستغرق الأمر سنواتٍ، والعديدَ من مذكّرات الاستدعاء الحكوميّة، فقط كي يحصل على لائحة بأسماء المسافرين لا أكثر. من ثمّ شرح لنا أنّ حكومة الضحيّة هي صاحبة السلطة القضائيّة في المسألة إن وقعت الحادثة في المياه الدوليّة، لكن: القارّة القطبيّة الجنوبيّة هي المكان الوحيد في الكوكب الذي لا يُعتبَر مياهاً دوليّة، لأنّها تُحكَم بوساطة ما يدعى «معاهدة القارّة القطبيّة الجنوبيّة». قال إنّنا سقطنا على ما يبدو في هاوية قانونيّة، واقترح أن نحاول طلب المساعدة منَ الحكومة الليبيريّة أومن حكومة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، إنّما سيكون علينا أوّلاً أن نقنع أحد القضاة أنّ «الذراع الطويلة للقانون[1]» تنطبق هنا، ولم يشرح لنا ما هي لأنّه تأخّر على لعبة السكواش.

بقي العميل سترانغ معنا على الهاتف، وقال شيئاً ما عن أنّ «حظّنا خرائيّ». أعتقد أنّه سئم من إيلجي ومن برناديت بشكل خاص بعد المشكلة التي سبّباها له، ولم أنل أنا رضاه لسبب ما.

الوقت ينفد، صِلتنا الوحيدة ببرناديت هي السفينة بحدّ ذاتها، والتي ستغادر بعد ساعة. عادت قوافل الباصات بمجموعة جديدة من المسافرين الذين نزلوا وأخذوا يتجوّلون ويلتقطون الصور.

الحمد لله، وفى الكابتن بوعده وعاد إلينا. لقد قاموا بتفتيش السفينة من السطح

1- قانون يسمح للمحكمة بإصدار حكم على شخص يعيش في مقاطعة أخرى تقع خارج نطاق سلطتها القضائيّة. م

إلى القعر بوساطة جهاز الأشعّة الكاشفة للكربون، الذي يستخدمونه للبحث عن أشخاص مختبئين، لكنّهم لم يجدوا أحداً، ولا حتّى أيّ فرد من أفراد الطاقم.

سأل إيلجي الكابتن إن كانت هناك سفينة أخرى يمكنها أن تأخذنا (تأخذنا!!!) إلى الأماكن التي زارتها برناديت كي نفتّش عنها بأنفسنا، لكن كلّ كاسحات الجليد كانت محجوزة سلفاً منذ سنوات، فضلاً عن أنّه من المستحيل الانطلاق للبحث عن برناديت، الصيف القطبيّ على وشك الانتهاء والجليد ينغلق، حتّى سفينة H&H أليغرا لن تصل في رحلتها الحاليّة إلى أعماق القارّة القطبيّة الجنوبيّة كما في الرحلة السابقة.

صدّقيني عندما أقول إنّه لا يمكننا فعل شيء!

«توقّفوا! warten sie !». كانت تلك ضابط الضيافة، وهي تركض نحونا بتنّورتها القصيرة وبوط الكاوبوي الذي يصل إلى كاحلها، ملوِّحة بدفتر ملاحظات. «وجدناه على الطاولة، لا كتابة فيه» قالت، «لكنّ آثار ضغطِ القلم واضحة».

خلع إيلجي نظّارته وتفحّص الدفتر. «الآثار غائرة...» قال، «يمكننا إرساله إلى خبير جنائيّ. شكراً لكِ! شكراً لكِ!». الدفتر موجود الآن في مختبر مختصّ في ديلاوير لإجراء الفحوصات اللّازمة، وربّما أضيف: بكلفة باهظة!

قالوا لنا أن نتمنّى الأفضل، لكن كيف يمكننا ذلك عندما يكون «الأفضل» هو برناديت المتروكة على جبل جليديّ في القارّة القطبيّة الجنوبيّة؟! الاختفاء من سياتل هو أمر، والاختفاء في أرض ما دون مأوى وفي أبرد بقعة على سطح الكوكب، هو أمرٌ مختلفٌ تماماً.

عدنا صباح اليوم إلى سياتل في حالة صدمة. تفقّد إيلجي بريده الصوتيّ ووجد عدّة مكالمات من مدير مدرسة شوت، هناك مشكلة الآن مع بي على ما يبدو! رفض إخباري بما يحصل، وها هو الآن على متن الطائرة متّجهاً إلى الساحل الشرقيّ كي يرى ابنته، ممّا يبدو لي مفاجئاً نوعاً ما.

بالنسبة لي، أنا أحاول التركيز على الزمان والمكان الحاضر: الحملُ، وأثاث المنزل الجديد. هناك العديد من غرف النوم، وحمّام مُخصّص لكل شخص! نحن ننتظر أن أصل بسلام إلى الثلث الثاني من الحمل قبل أن أخبر

ألكساندرا ولنكولن عن الطفل الجديد. بي لا تعرف شيئاً عن حملي ولا عن رحلتنا إلى أوشوايا، فقد فضّل إيلجي انتظار تقرير الكابتن قبل أن يخبرها، عقليّتُها علميّة، لذلك فإن عَرْضُ بعض الوقائع عليها سيفيدُ باعتقاد إيلجي.

بـأيّ حـال، أخبرتك أنّ القصّة فريدة من نوعها! آخ! أشتاق لكِ أودري!عودي بسرعة.

سو – لِن

***

الخميس 20 كانون الثاني
فاكس من أودري غريفن

سو – لِن،

لا تقلقي بشأن ذلك الإيميل من أوشوايا، مررتُ بما هو أسوأ! ألا تصدّقينني؟ في الواقع، لقد اعتُقِلتُ بتهمة تعكير السلام في إحدى الليالي في ويستن! تمّ إسقاط التُهم، لكن مع ذلك، لن تتفوّقي عليّ عندما يتعلّق الموضوع بالتصرّفات المجنونة التي تحرّكها العواطف... ولم يكن هناك في حالتي حتّى عذر «هرمونات الحمل» المشروع! تهانينا! سأذكركم أنتِ وإيلجي والطفل في صلواتي.

تلك كانت أخباراً مزعجة بخصوص برناديت! لا أصدّق ولو لحظة أنّها تجمّدت حتّى الموت في القارّة القطبيّة الجنوبيّة! من فضلكِ، ابعثي لي تقرير الكابتن عندما تستلمينه، أنا قلقة بالفعل!

محبّتي،

أودري.

***

الثلاثاء 25 كانون الثاني
فاكس من سو – لِن

عزيزتي أودري،

احتفظي بآخر رسالة أرسلتُها لكِ، وأطّريها بإطار، لأنّها ذكرى عابرة للحظةٍ استطعتُ أن أدّعي فيها أنّني سعيدة.

هل قلتُ لكِ إنّ إيلجي توجّه إلى الساحل الشرقيّ لرؤية بي؟ وهو ما وجدتُه غريباً؟ اتّضح أنّ إيلجي أخرج بي من مدرسة شوت، وعادا معاً إلى سياتل.

هل تتذكّرين كيف كانت بي دائماً بنتاً عذبة هادئة؟ حسناً، لن تعرفيها الآن صدّقيني، لقد استنزفتْها الكراهيّة كليّاً. انتقل إيلجي مجدّداً إلى المنزل في جادّة غايت كي يبقيا سويّاً، لكنّ بي ترفض قضاء الليلة تحت سقف واحد معه، المكان الوحيد الذي تريد أن تنام فيه هو مقطورة آيرستريم الخاصّة ببرناديت، القدّيسة برناديت! إيلجي يتآكله الشعور بالذنب، وسيفعل أيّ شيء تريده بي: لا ترغب بالعودة إلى غايلر ستريت؟ كما تشاء! ترفض أن تدخل إلى بيتي لتناول الغداء الأسبوعيّ؟ لا بأس!

لن تحزري سبب هذه الجلبة كلّها! إنّه «كتاب» غير معقول تكتبه بي، ولا تسمح لأحدٍ الاطلاع عليه. من نتف المعلومات القليلة التي أخبرني بها إيلجي، الكتاب يستند إلى الإيميلات التي تبادلناها أنا وأنتِ يا أودري، إضافة إلى تقرير الإف. بي آي، بل وحتّى الملاحظات المكتوبة بخطّ اليد التي تبادلتِها أنتِ وخبير مكافحة توت العليق. لا أعرف كيف تمكّنتْ بي من وضع يدها على ذلك كلّه! أنا لا أتّهم أحداً، لكنّ الشخص الوحيد الذي يمكنه الوصول إلى ما ذكرتُه هو كايل (كايل القديم)، ربّما تواجهينه بالأمر خلال جلسة العلاج التالية، لأنّني أرغب بالحصول على إجابات هذه المرّة! أخاف أن يسقط هذا الإيميل كذلك بين يديّ عدوّتي.

يريد إيلجي أن ترتاد بي مدرسة لايك سايد في الخريف، كلّ ما سأقوله هو أنّ من مصلحتها استجماع قواها، يستحيل أن أقبل بنقل تلك المقطورة إلى المنزل الجديد! هل تتخيّلين ذلك؟ سنبدو كالقرويّين في ماديسون بارك!

«سنبدو»! وكأنّ إيلجي يريدنا حقّاً أن نعيش كعائلة!

أنا واثقة أنّك تعتبرين أنانيّتي فظيعة، لكنّ حياتي انقلبت رأساً على عقب أيضاً! تخلّيتُ عن عملي، وأنا حامل في سنّ الأربعين من رجل تبدو حياته بحالة فوضى، إضافة إلى الغثيان الصباحيّ الرهيب... الطعام الوحيد الذي

يبقى في معدتي هو التوست الفرنسيّ. ازداد وزني أحد عشر باونداً حتّى الآن، وأنا لا أزال في الثلث الأوّل للحمل لا غير! عندما تكتشف بي أنّ برناديت ماتت، فضلاً عن الطفل، من يعلم ماذا سيكون ردّ فعلها؟!

أرفقتُ مع الفاكس رسالة من شركة السياحة، إضافة إلى تقرير الكابتن وتقرير المختبر الجنائيّ، وصور شقائق النعمان الرائعة في أوشوايا التي وعدتكِ سابقاً بإرسالها.

لقد تأخّرتُ على لقاء ض. ض. ض... أخ كم أنا بحاجة إليه!

محبّتي،

سو - لِن

***

من إيليا هارمسن
رئيس شركة هارمسن وهيث للرحلات السياحيّة

عزيزي السيّد برانش،

اسمح لي أن أبدأ بالتعبير عن أصدق العزاء لك ولابنتك بي بسبب اختفاء برناديت المفاجئ. لا أستطيع أن أتخيّل مقدار الصدمة التي تسبّبها خسارة امرأة غير عاديّة مثلها.

منذ أن تأسّست شركة هارمسن وهيث على يد جدّي الأكبر عام 1903، كانت سلامة المسافرين هي أهمّ أولويّاتنا. في الواقع، سجلّنا لم تلطّخه شائبة طوال قرن من الزمن.

أرسل لكَ كما وعدتكَ تقرير الكابتن يورغن ألتدورف، وهو يعتمد بشكل أساسيّ على توقيع زوجتك الإلكترونيّ المتولّد عن استخدام بطاقة الهويّة الممغنطة. هذا التوقيع يرسم لنا صورة واقعيّة مفصّلة، يمكن الاعتماد عليها عن حياتها في السفينة: مغادرة السفينة يوميّاً، المشتريات من متجر الهدايا، الفواتير من قاعة السفينة... إضافة إلى ذلك، أجرى الكابتن ألتدورف مقابلات مفصّلة مع الركّاب تماشياً مع بروتوكول هارمسن وهيث.

آخر نشاط مسجّل لزوجتك يظهر في الخامس من كانون الثاني: ذهبتْ

في النزهة الصباحيّة وعادت بسلام إلى السفينة، من ثمّ أنفقت مبلغاً كبيراً في البار. في ذلك الوقت، كانت سفينة H&H أليغرا تعبر مضيق غيرلاش، ومن الجدير بالذكر أنّ المحيط أصبح هائجاً على نحو غير معهود خلال الأربع والعشرين ساعة التالية، ممّا اضّطرنا إلى إلغاء محطّتين مقرّرتين سابقاً وفق البرنامج. زيادة في الحيطة، قمنا ببثّ عدّة نداءات عبر مكبّرات الصوت لتحذير المسافرين من الصعود إلى سطح السفينة خلال الطقس العاصف.

أعتقد أنّك ستتفّهم حالة زوجتك في اليوم الذي شوهدتْ فيه آخر مرّة عندما تعرف حالة الطقس، وترى الفاتورة التي سُجِّلَتْ في قاعة شاكلتن. لا أحد يمكنه أن يعرف ما الذي حصل فعلاً، لكنّ هناك استنتاجات تفرض نفسها هنا.

الوقائع مزعجة، لكنّها قد تقدّم عزاءً بسيطاً لك ولابنتك خلال فترة الحزن العصيبة هذه.

المخلص، مع تعازيّ الصادقة،

إيليا هارمسن

***

تقرير الكابتن

أعدّ هذا التقرير الكابتنُ يورغن جبارد ألتدورف، كابتن سفينة H&H أليغرا، استناداً إلى تفاصيل التوقيع الإلكترونيّ للبطاقة رقم 998322#-01 في رحلة السادس والعشرين من كانون الأوّل، التي انطلقت من أوشوايا، الأرجنتين إلى شبه جزيرة القارّة القطبيّة الجنوبيّة، وبما يخصّ التواجد المؤكَّد للمسافرة 998322#-01 برناديت فوكس، مواطنة من الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ولاية واشنطن، سياتل.

26 كانون الأوّل: 16:33 صعدت المسافرة إلى سفينة H&H أليغرا، إلى القمّرة رقم 322، 26 ك1 18:08 استلمتْ المسافرة بطاقة الهويّة التي تحمل صورتها، 26 ك1 18:30 كانت المسافرة حاضرة خلال التمرين على استعمال قوارب النجاة، 26 ك1 20:05 فاتورة من متجر الهدايا بقيمة 433.09 دولاراً لقاء ملابس ولوازم عناية شخصيّة.

27 كانون الأوّل: في البحر. 06:00 تلقّت المسافرة علاجاً من طبيب السفينة بسبب دوار البحر. 27 ك1 أبلغتِ المسافرة طاقمَ خدمة الغرف بعدم دخول غرفتها من أجل التنظيف أوالترتيب حتّى إشعار آخر. يتذكّر طاقم الخدمة عدّة لقاءات مع المسافرة في ردهات السفينة وما حولها. بالاستعلام عن التنظيف وخدمة الغرفة، تبيّن أنّ المسافرة رفضت جميع الخدمات ولم تُسجَّل أية خدمة من هذا النوع طوال الرحلة.

30 كانون الأوّل: 10:00 نزلت المسافرة في جزيرة ديسبْشِن، خليج والرز. 30 ك1 12:30 صعدت إلى السفينة، 30 ك1 13:47 نزلت المسافرة إلى قناة «منفاخ نبتون»، 30 ك1 19:41 صعدت إلى السفينة.

31 كانون الأوّل: 08:00 نزلت المسافرة في نقطة إحداثيّاتها هي 70.6S 52.4W في بحر ويدِل، 31 ك1 13:23 كانت آخر من صعد إلى السفينة.

1 كانون الثاني: 10:10 نزلت المسافرة في جزيرة الشيطان، صعدت المسافرة في 16:31، 1 ك2 23:30 طلبت المسافرة كأسين من شراب «البطريق الورديّ» في قاعة شاكلتن + زجاجة نبيذ كابرنت على العشاء.

2 كانون الثاني: 08:44 نزلت المسافرة في ساحل دانكو، 2 ك2 18:33 صعدت، 2 ك2 23:10 زجاجة نبيذ كابرنت على العشاء، طلبت المسافرة كأسي «بطريقورديّ»، القاعة.

3 كانون الثاني: 08:10 نزلت المسافرة في جزيرة ديتيل، 3 ك2 16:00 صعدت،3 ك2 19:36 طلبت خمس كؤوس من «البطريق الورديّ»، القاعة.

4 كانون الثاني: 08:05 نزلت المسافرة في جزيرة بيترمان، 4 ك2 11:39، صعدت، 4 ك2 13:44 طلبت المسافرة زجاجة نبيذ كابرنت على الغداء، 14:30 نزلت المسافرة في ميناء لوكروي، 18:30 صعدت، 4 ك2 23:30 طلبت أربع كؤوس «بطريق ورديّ» + أربع كؤوس ويسكي حامض، قاعة شاكلتن.

5 كانون الثاني: 08:12 نزلت المسافرة إلى ميناء نيكو، 5 ك2 16:22 صعدت إلى السفينة، 5 ك2 18:00 طلبت زجاجتي نبيذ، قاعة شاكلتن.

6 كانون الثاني: 05:30 السفينة غير قادرة على الرسو نتيجة حالة المحيط،

6 كـ2 08:33 تمّ الإعلان عن «بحر هائج، ستُقدّم وجبة كونتِنِتال فقط»، 6 كـ2 18:00 الإعلان عن «إغلاق قاعة شاكلتن».

15 كانون الثاني: 17:00 حُسِبَت النفقات الإضافيّة، ووضِعت الفاتورة على باب المسافرة.

16 كانون الثاني: 16:30 تغيّبت المسافرة عن اجتماع مغادرة السفينة النهائيّ. 16 كـ2 19:00 لم تسدّد المسافرة فاتورة البار، ولا فاتورة متجر الهدايا، ولا مكافآت الطاقم. 16 كـ2 19:00 لم تستجب المسافرة إلى النداءات المتكرّرة عبر الإذاعة، 16 كـ2 19:30 لم تفتح المسافرة باب قمّرتها على الرغم من محاولاتنا المتكرّرة، 16 كـ2 19:32 دخلت ضابط الضيافة إلى القمّرة، المسافرة غير موجودة. 16 كـ2 22:00 لم يفضِ البحث المكثّف في السفينة إلى تحديد موقع المسافرة.

17 كانون الثاني: 07:00 تمّ استجواب المسافرين من قبلي ومن قبل ضابط الضيافة، لم نحصل على معلومات ذات صلة. سُمِح للمسافرين بالنزول. 17 كـ2 10:00 المسح الحراريّ الكربونيّ لم يكشف عن وجود أشخاص مختبئين.

– سجّلات الصور كشفت عدم وجود صور للمسافرة في أرشيف مصوّر الرحلة، كما لا يوجد تسجيل ڤيديو للمسافرة بكاميرا مصوّر الڤيديو.

– تفتيش القمّرة 322 كشف عن وجود دفتر ملاحظات سُلّم إلى خبير أمريكيّ وفقاً للتعليمات.

***

تقرير من تونيا وُدْس
خبيرة جنائيّة مختصّة بفحص الوثائق

عزيزي السيّد برانش،

باستعمال جهاز الفحص بالكهرباء الساكنة (ESDA)، حلّلنا انعكاس

الكتابة الموجودة على عدّة أوراق من قرطاسيّة تحمل في أعلاها شعار هارمسن وهيث أليغرا.

نظراً لوجود ثلاثة مستويات مختلفة العمق من آثار الكتابة، نعتقد أنه تمّت كتابة رسالة من ثلاث صفحات على الأغلب، اختُتِمَت بعبارة «مع حبّي، ماما» وهو ما يشير بقوّة إلى أنّها رسالة من أمّ إلى طفلها. الكلمات الأكثر تكراراً كانت «أودري غريفن»، والتي ظهرت ستّ مرّات على الأقلّ. نحن غير قادرين على استعادة نصّ الرسالة كاملاً، لكنّنا متأكّدون أنه يحتوي على العبارات التالية:

«أودري غريفن هي شيطان»

«أودري غريفن هي ملاك»

«روميو، روميو»

«أنا مسيحيّة»

«أودري تعلم»

اتّصل بنا إن احتجت مساعدة أخرى.

المخلصة،

تونيا وُدس.

***

فاكس من أودري غريفن إلى زوجها

وارن،

أريدك أن تذهب مباشرة إلى المنزل، وتتفقّد المجيب الآليّ ورسائلي البريديّة وإيميلي. أنا أبحث بشكل عاجل عن أي شيء من برناديت فوكس.

أجل، برناديت فوكس.

طوال أشهر، أردتَ أن تعرف ما الذي حصل قبيل الكريسماس وجعلني أستسلم. كنتُ أحاول استجماع شجاعتي كي أخبرك في واحدة من عطلات نهاية الأسبوع خلال جلسات العلاج العائليّ، لكنّ الربّ قرّر أنّه يريدني أن أخبرك الآن.

الأيام ما قبل الكريسماس كانت كابوساً. كنتُ غاضبة من برناديت فوكس، كنتُ غاضبة من كايل لأنّه فاشل، كنتُ غاضبة من سو -لِن لأنّها انحازت إلى صفّ إيلجن برانش، كنتُ غاضبة منّك لأنّك تسكر وترفض أن تنتقل معنا إلى منزل سو- لِن... لا يهمّ كم منزل من خبز الزنجبيل صنعتُ، كلّها جعلتْ غضبي يتفاقم.

من ثمّ، ذات مساء، زرتُ سو -لن في العمل. دخلت امرأة وسألت عن إيلجن برانش، لاحظتُ أنّها تحمل شارة هويّة من مادرونا هِل- المصحّة العقليّة -ببساطة، أثار ذلك فضولي، ثمّ تزايد اهتمامي أكثر عندما كذبت سو- لن عليّ حول هويّة المرأة.

عادت سو -لن متأخّرة يومها، فتّشتُ حقيبتها عندما نامت ووجدتُ مصنفّ إف. بي. آي سرّيّاً. محتوياته كانت مدهشة: لقد أعطت برناديت معلوماتها الماليّة بكلّ غباء إلى عصابة تنتحل الشخصيّات، والإف. بي. آي يعدّون كميناً. ما صعقني أكثر كان ملاحظاتٍ مُلصَقَة على الوجه الخلفيّ للملف مكتوبةً بخطّ اليد، تبادلتها سو- لن وإيلجن، وتوحي أنّ إيلجن يرتّب مع مادرونا هِل شيئاً يتعلّق بأن برناديت تشكّل خطراً على نفسها وعلى الآخرين. دليله؟ أنّها دهست قدمي ودمّرتْ منزلنا. عدوّتي اللدودة ستُرسَل إلى مصحّة عقليّة؟! لا بدّ أنّه سبب للاحتفال! عوضاً عن ذلك، جلستُ على المقعد في الصالة، وجسدي بأكمله يرتجف. تلاشى كلّ شيء ما عدا الحقيقة: برناديت لم تدهس قدمي، أنا اختلقتُ القصّة كلّها... والانزلاق الطينيّ؟ برناديت أزالت كلّ أجمات توت العليق تماماً كما طلبتُ أنا منها.

لا بدّ أن ساعة كاملة مرّت. لم أتحرّك. كنتُ أتنفّس وأحدّق بالأرض فقط. تمنّيتُ لو أنّ هناك كاميرا مصوّبة عليّ، لكانت أظهرت كيف تستيقظ امرأة بفضل الحقيقة. الحقيقة؟ كذبي وتهويلي سيتسبّبان باحتجاز أمٍّ!

ركعتُ على ركبتيّ. «قل لي يا ربّ» صلّيتُ، «قل لي ماذا أفعل»، فغمرتني السكينة، السكينة التي أحاطتني بالحماية طوال الشهر الماضي. ذهبتُ إلى متجر سايف واي/ 24سا، ونسختُ نسخة عن جميع الوثائق الموجودة في الملفّ، إضافة إلى الملاحظات، وأعدتُ الأصل إلى حقيبة سو -لِن قبل أن يستيقظ أحد.

كلّ ما يرد في تلك الوثائق صحيح، لكنّه جزء من الحقيقة. صمّمتُ على ملء فراغات القصّة بتوثيقي الشخصيّ. في الصباح التالي، فتّشتُ منزلنا عن كلّ إيميل، وكلّ ملاحظة استطعتُ إيجادها عن الانزلاق الطينيّ وعن «أذيّة قدمي»، من ثمّ أمضيت النهار بطوله وأنا أرتّبها زمنيّاً بين إيميلات برناديت في ملفّ الإف. بي. آي. عرفتُ أنّ قصتي المتكاملة ستبرئ برناديت، لكن ممّاذا؟! ماذا حصل في ذلك اللقاء بين إيلجن والطبيبة النفسيّة؟! هل أعدّا خطّة؟

عدتُ إلى منزل سو -لِن في الرابعة بعد الظهر، لينكولن وألكساندرا كانا في فريق السباحة، وكايل يجلس بالطبع مثل الزومبي في القبو، وهو يلعب بألعاب الفيديو. وقفتُ أمام التلفاز، «كايل» قلتُ له، «إن كنتُ بحاجة إلى قراءة إيميلات سو- لِن، ماذا يجب أن أفعل؟».

تذمّر كايل، ثمّ ذهب إلى خزانة البياضات في الطابق العلويّ، والتي يوجد في قاعها كمبيوتر مغبرّ أشبه ببرج، وكيبورد عملاق، وشاشة مربّعة. رتّب القطع على سرير غرفة الضيوف، وأوصل المودم بمقبس الهاتف، فظهرت نسخة قديمة من ويندوز على الشاشة التركوازيّة، وكأنّها انفجار غريب من الماضي! التفتَ صوبي: «أفترض أنّكِ لا تريدينها أن تعرف؟». «أفضّل ذلك» أجبته، فدخل إلى موقع مايكروسوفت، وحمّل برنامجاً يسمح لك باختراق كمبيوتر شخص آخر من مكان بعيد، ثمّ أرسل كلمة سرّ سو -لن وID الخاصّ بها إلى برنامج الإيميل على هذا الكمبيوتر، كما أدخل إضافة إلى تلك المعلومات مجموعة من الأرقام مفصولة بمسافة. خلال دقائق، ظهر على الشاشة أمامنا كلّ ما تراه سو- لن على شاشة اللابتوب في مايكروسوفت.

«إنّها بعيدة عن جهازها»، قال كايل وهو يطقطق مفاصل أصابعه، ثمّ نقر مجموعة مفاتيح أخرى. «لقد وضعت توقيعاً يقول إنّها خارج المكتب الليلة. أمامك متسعٌ من الوقت على الأغلب».

لم أعرف هل يجدر بي أن أعانقه أم أن أصفعه! عوضاً عن ذلك، أعطيته نقوداً وقلتُ له أن ينتظر لنكولن وألكساندرا في الخارج ويأخذهما لتناول

البيتزا. بالكاد وصل إلى منتصف الدرج عندما خطرت لي فكرة أعظم، فناديته: «كايل! تعرف أنّ سو – لِن هي إداريّة، هل تظنّ أنّنا نملك ما يكفي من المعلومات كي نخترق كمبيوتر مديرها؟».

«تقصدين والدَ بي؟»

«أجل، والد بي»

«هذا يعتمد» قال، «على إذا ما كانت سو – لن تمتلك صلاحيّة الدخول إلى بريده الوارد. دعيني أتحقّق».

وارن، أنا لا أمزح عندما أقول لك إنّني بعد خمس دقائق كنتُ أنظر إلى كمبيوتر إيلجن برانش! تفحّص كايل روزنامته، «إنّه يتناول العشاء مع شقيقه الآن، لذلك سيكون غيرَ متصل بالإنترنت لمدّة ساعة على الأقلّ».

بسرعة خاطفة، قرأتُ مراسلات بين إيلجن وكلّ من شقيقه وسو –لِن والطبيبة النفسيّة، واكتشفتُ خطّتهم للتدخل العلاجيّ في صباح اليوم التالي. أردتُ نسخاً ممّا قرأته كي أضيفها إلى قصّتي الجديدة الشاملة، لكن لا توجد طابعة. بعد أن نام الجميع (ما عدا سو– لن التي اتّصلت كي تقول إنّها لن تعود إلى البيت يومها)، أنشأ كايل حسابين على هوت ميل، وعلّمني كيف آخذ لقطة لما تعرضه الشاشة، وكيف أرسل الصورة بالإيميل من حساب هوت ميل إلى آخر... أو شيء من هذا القبيل! كلّ ما أعرفه هو أنّ الطريقة نجحت! بعدها قمتُ بطباعة كلّ شيء من كمبيوتر في متجر سايف واي.

التدخّل العلاجيّ سيتمّ في عيادة د. نيرغارد، لم أشأ أن أتدخّل في تحقيق الإف. بي. آي، لكن من المستحيل أن أسمح لهم برمي برناديت في مصحّة عقليّة بسبب كذبي. انطلقتُ إلى عيادة الطبيب في التاسعة صباحاً، وبإلهام مفاجئ، مررتُ في طريقي إلى هناك من أمام سترايت غايت.

رأيتُ سيّارة شرطة في الممرّ وكذلك سيّارة سو – لِن السوبارو. ركنتُ سيّارتي في طريق فرعيّ، وعندها مرّت بقربي سيّارة مستعجلة مألوفة، إنّها برناديت بنظّارتها السوداء! عليّ أن أسلّمها الملفّ، لكن كيف سأتجاوز الشرطة؟

بالطبع! الفتحة في السياج!

ركضتُ في الطريق الفرعيّ وتسلّقتُ عبر السياج، ثمّ إلى أعلى التلّة العارية (ملاحظة هامشيّة لا تُصدَّق: بدأت شجيرات توت العليق بالنمو مجدّداً! كلّ ذلك التعب ضاع هباءً!).

شققتُ طريقي عبر الطين الرخو حتّى وصلتُ إلى شجيرات الفوتينيا الخاصّة ببرناديت، تشبّثتُ بالأغصان ورفعتُ نفسي إلى المرج. هناك شرطيّ واحد يقف عند الناحية الأخرى من المنزل وظهره لي. بدأتُ بالزحف على المرج صوب المنزل... ليست لديّ خطّة، أنا وحدي مع الملفّ الأسمر في حزام بنطالي ومع الربّ.

زحفتُ كالكوماندوس على الدرج الضخم الخلفيّ وصولاً إلى الرواق. الكلّ مجتمعون في غرفة الجلوس، لم أستطع سماع ما يقولونه، لكنّ لغة أجسادهم تدلّ على أنّ التدخّل العلاجيّ محتدم. من ثمّ، مرّ شخص ما بسرعة إلى الجهة الأبعد من غرفة الجلوس... برناديت! نزلتُ الدرجَ ركضاً، ورأيتُ نافذة صغيرة جانبيّة تُضاء على ارتفاع اثني عشر قدماً (الحديقة الجانبيّة شديدة الانحدار، لذلك إن وقفتَ خلف المنزل سيبدو لكَ الطابق الأرضيّ بارتفاع عدّة طوابق)، ركضتُ صوب النافذة وأنا شبه مقرفصة، وإذ بي أتعثّر بشيء ما.. قُضِيَ عليّ! لكنّه سلمٌ! سلم مرميّ في الحديقة الخلفيّة، وكأنّ الربّ بذاته وضعه هناك! اعتباراً من تلك اللحظة شعرتُ أنّني لا أُقْهَر، الربّ سيحميني. التقطتُ السلّم، أسندته على الجدار، ثمّ تسلّقته دون تردّد، وقرعتُ على النافذة.

«برناديت» همستُ، «برناديت».

فُتحت النافذة، وظهر وجه برناديت المشدوه: «أودري؟!».

«تعالي»

«ولكن...»، كانت عاجزة عن اختيار السمّ الذي تفضّله: القدوم معي، أو الحجْرُ في مستشفى المجانين!

«فوراً!» قلتُ، نزلتُ على السلّم وتبعتني برناديت بعد أن أغلقتِ النافذة.

«لنذهب إلى منزلي» قلتُ، فتردّدتْ مرّة أخرى.

«لماذا تفعلين هذا؟!»، سألتني.

«لأنني مسيحيّة»

خشخش جهاز لاسلكيّ: «كيڤن، هل ترى شيئاً؟».

هربنا أنا وبرناديت عبر المرج ونحن نجرّ السلّم معنا، ثمّ انزلقنا فوق التلّة الطينيّة إلى حديقتنا الخلفيّة. فوجئ العمّال الذين يصلحون الأرضيّات برؤية مخلوقتي الطين هاتين تدخلان من الباب، لكنّني صرفتهم جميعاً.

أعطيتُ برناديت الملفّات المتكاملة، والتي أضفتُ إليها مقالاً نُشرَ حديثاً، عثر عليه كايل في الإنترنت عن مسيرتها كمهندسة معماريّة. «كان عليكِ أن تخبريني أنّك ربحتِ منحة ماك آرثر» قلتُ، «لربّما عاملتكِ بلؤم أقلّ لو عرفتُ أنّكِ عبقريّة».

تركتها جالسة إلى الطاولة، استحممتُ، وجلبتُ لها الشاي. كانت تقرأ عابسة ووجهها خالٍ من التعابير، نطقتْ مرّة واحدة فقط وقالت: «لكنتُ فعلتها».

«فعلتِ ماذا؟»، سألتُها.

«لكنتُ أعطيتُ مانجولا تفويضاً عامّاً». قلبتِ الصفحة الأخيرة، وأخذت نفَساً عميقاً.

«هناك صناديق مليئة بقمصان غايلر ستريت في غرفة الجلوس، إن أردتِ تغيير ملابسك» قلتُ.

«بالفعل، أنا بائسة إلى تلك الدرجة!». نزعت سترتها المغطّاة بالوحل، وربّتت على سترة صيد السمك التي تلبسها تحتها. استطعتُ أن ألمح محفظتها، وهاتفها الخليويّ، ومفاتيحها، وجواز سفرها عبر الجيب الشبكيّ.

«يمكنني القيام بأيّ شيء!»، قالت مبتسمة.

«أجل، يمكنكِ»

«من فضلك، أرسلي كلّ هذا إلى بي»، قالت وهي تعيد الملفّات إلى المغلّف. «أعرف أنّه كثير، لكنّها تستطيع التعامل معه. أفضّل أن أدمّرها بالحقيقة على أن أدمّرها بالأكاذيب».

«لن تتدمّر»، قلتُ.

«عليّ أن أسألكِ سؤالاً. هل يضاجعها؟ الإداريّة، صديقتكِ، ما اسمها؟»

«سو - لِن؟»

«أجل» قالت، «هل هي وإيلجي...».

«يصعب معرفة ذلك»

وكانت تلك آخر مرّة أرى فيها برناديت...

عدتُ إلى منزل سو – لِن، وحجزتُ لكايل مكاناً في برنامج عشّ النسر لإعادة التأهيل.

اكتشفتُ أنّ بي انتقلت إلى المدرسة الداخليّة وهو ما أكّدته غوين غوديير،فأرسلتُ المغلّف بما يحتويه من وثائق إليها في مدرسة شوت، دون أن أكتب اسمي عليه.

عرفتُ للتوّ أن برناديت ذهبت أخيراً إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، وأنّها اختفت في مكان ما هناك. تمّ إجراء تحقيق، لكن بالقراءة ما بين السطور، يبدو أنّهم يريدون إقناعنا جميعاً أنّ برناديت سَكِرَتْ وسقطت عن ظهر السفينة. لا أصدّق ذلك مطلقاً! ما يقلقني هو أنّها ربّما حاولت إرسال رسالة من خلالي إلى بي.

وارن، أعرف أنّ هذا كثير بالنسبة لك، لكن أرجوك، اذهب إلى المنزل، وتأكّد إن وصلني أيّ شيء من برناديت.

مع حبّي،

أودري

***

فاكس من وارن غريفن

عزيزتي،

أنا فخور للغاية بكِ! أنا في المنزل الآن، ولا يوجد أيّ شيء من برناديت. أنا آسف.

لا يسعني الانتظار حتّى أراكِ في عطلة نهاية الأسبوع هذه.

مع حبّي،

وارن

***

الجمعة 28 كانون الثاني
فاكس من سو - لِن

أودري،

لقد تعرّضتُ «للمشعل» هنا في ض. ض. ض، ومنعوني من العودة إلى أن أقوم بكتابة «بكائيّة» وأقرأها علناً (البكائيّة تعني كتابةَ دورِنا بما حصل، ونحن نفضّل أن نقول «بكائيّة على ما جرى» لا «مَسْحُ ما جرى»، لأنّ المسح يبدو لنا ذا علاقة بالبراز). إن وجدتُ نفسي أنزلق إلى حالة الضحيّة مجدّداً، سيكون عليّ أن «أشعل» نفسي.

لقد أمضيت الساعات الثلاث الماضية وأنا أكتب «بكائيّة»، وها هي... إن كنتِ مهتمّة بقراءتها.

***

«بكائيّة» كتبتْها سو -لِن لي- سِفال

بعد أن بدأتُ بداية صعبة كإداريّة لفريق إيلجي، أخذت علاقتنا المهنيّة تنتعش: إيلجي سيطلب المستحيل، وأنا أحقّقه. شعرتُ أنّ إيلجي بدأ يُعجَب بقدراتي السحريّة، وسرعان ما أصبح الوضع بأغنيّة نغنّيها كلانا تتعالى إلى السماء: أنا أقوم بأفضل عمل في حياتي، وإيلجي يمدحني! شعرتُ أنّنا نقع في الحبّ.

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: أنا كنتُ من وقع في الحبّ، لا إيلجي!)

تغيّر كلّ شيء في اليوم الذي دعاني فيه للغداء، وباح لي بمشكلاته مع زوجته. ربّما لا يدرك إيلجي حقيقة أنّه لا يجوز لكَ الحديث بالسوء عن زوجتك مع زميل في العمل -خصوصاً إن كان الزميل امرأة- لكنّني كنتُ واعية لذلك، وحاولتُ ألّا أتدخّل... المشكلة هي أنّ أطفالنا يرتادون المدرسة ذاتها، وبالتالي الحدود بين العمل وبين الحياة الشخصيّة غائمة.

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: كان بإمكاني إنهاء المحادثة بلباقة عندما بدأ إيلجي يتحدّث بالسوء عن زوجته)

من ثمّ تورّطت برناديت مع عصابة من لصوص الإنترنت، وثار غضب إيلجي بسبب ذلك وباح لي بالموضوع، ممّا فسرّته على أنّه دليل إضافيّ على حبّه لي. في إحدى الليالي، خطّط إيلجي لقضاء الليلة في المكتب، لكنّني حجزتُ له غرفة في فندق «حياة» في بيلڤو، وأوصلته بسيّارتي. عندما كنتُ أركن السيّارة في مرآب الفندق سألني: «ماذا تفعلين؟».

«سأصعد معك كي أرتّب أمورك»

«هل أنت واثقة؟» قال، وهو ما فسرّته على أنّه اعتراف أنّنا سنستسلم أخيراً في هذه الليلة إلى التوتّر الجنسيّ المتفجّر بيننا.

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: لا يكفي أنّني كنتُ واهمة تماماً، كنتُ أخطّط لاصطياد رجلٍ مجروح العواطف أيضاً!)

صعدنا بالمصعد إلى غرفته، جلستُ على السرير، نزع إيلجي حذاءه، وتمدّد بكامل ملابسه تحت الغطاء.

«هل لكِ أن تطفئي الضوء؟»، قال.

أطفأتُ المصباح الموجود إلى جانب السرير، فغرقت الغرفة في الظلام الدامس. جلستُ لا غير، والرغبة تفور في أعماقي. بالكاد استطعتُ أن أتنفّس!

رفعتُ قدميّ بحذر إلى السرير.

«هل ستغادرين؟»، سألني.

«كلّا»، أجبتُ.

مرّت دقائق. المكان الذي يحتلّه إيلجي في السرير ما يزال مطبوعاً في عقلي، أستطيع تخيّل رأسه، وذراعيه فوق الغطاء، وكيف يشبك يديه تحت ذقنه. انقضى المزيد من الوقت، واضح أنّه ينتظر منّي القيام بالخطوة الأولى.

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: ها!)

مددتُ يدي إلى حيث تخيّلتُ أنّ يديه موجودتان. اصطدمت أصابعي بشيء رطب وطريّ، من ثمّ بشيء حادّ.

«آخخخخ!» قال إيلجي.

لقد أقحمتُ أصابعي في فمه، فعضّني ارتكاسياً.

«أوه يا إلهي!» قلتُ، «أنا آسفة».

«أنا آسف!» قال، «أين هي...».

كان يبحث في الظلام عن يدي، وجدها، ووضعها على صدره، ثمّ غطّاها بيده الأخرى. هذا تقدّمٌ! تنفّستُ بهدوء قدر المستطاع وانتظرتُ إشارة. مرّت أبديّة! مسحتُ بإبهامي على ظهر يده في محاولة يائسة لتوليد شرارة، لكنّ يده ظلّت جامدة.

«بماذا تفكّر؟»، قلتُ أخيراً.

«هل تريدين حقّاً أن تعرفي؟»

جننتُ من الحماس! «فقط إن كنتَ تشعر برغبة بإخباري»،همستُ بغنج.

«أكثر ما آلمني في تقرير الإف. بي. آي كانت الرسالة التي أرسلتْها برناديت إلى بول جيلينك. أتمنّى لو أنّني أستطيع العودة بالزمن كي أقول لها إنّني أريد أن أعرفها أفضل. ربّما لو عرفتها جيّداً، لما كنتُ مستلقياً هنا الآن».

حمداً للربّ أنّ الظلام دامس، وإلّا لبدأت الغرفة بالدوران من حولي. نهضتُ وقدتُ سيّارتي عائدة إلى البيت، لحسن حظّي أنّني لم أتدهور عن جسر 520، سواء قصداً أم سهواً.

في اليوم التالي، ذهبتُ للعمل. جدول مواعيد إيلجي يتضمّن بروفة التداخل العلاجيّ لزوجته مع الطبيبة النفسيّة خارج الشركة، ومن ثمّ سيصل أخوه من هاواي. أنجزتُ عملي كالمعتاد، وفي ذهني صورة واحدة مبتذلة عن باقة ورود تظهر على بابي طافية في الهواء، ومن خلفها يدخل إيلجي الذي يشعر بالذنب، ويعترف لي بحبّه.

فجأة، دقّتِ الرابعة بعد الظهر، وعندها أدركتُ: إيلجي ليس قادماً للعمل أصلاً! وليس هذا فحسب، التدخّل العلاجي سيتمّ غداً، وبعد غد سيسافر إيلجي إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة ولن أراه طيلة أسابيع! لا توجد طريقة للاتّصال به، ولا أيّ شيء.

سبق وجهّزتُ كمبيوتراً لوحيّاً كي يأخذه إيلجي في رحلته، أوصلته

عندما غادرتُ إلى الفندق الذي ينزل فيه شقيقه، حيث حجزتُ أيضاً غرفة لإيلجي لليومين القادمين.

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: كان بإمكاني إرسال الكمبيوتر اللوحيّ مع أيّ شخص، لكنّني أردتُ رؤية إيلجي بأيّ ثمن!)

كنتُ على وشك أن أترك الجهاز في قسم الاستقبال عندما سمعتُ: «هاي سو - لِن!». إنّه إيلجي! مجرّد سماعه وهو ينطق اسمي جعلني أترنّح وأمتلئ بالأمل. دعاني هو وشقيقه إلى تناول العشاء معهما، كيف أقول لا؟!

خلال العشاء، انقلبت الموازين... وهذا يرجع جزئياً إلى جولات التيكيلا التي استمرّ ڤان بطلبها الواحدة تلو الأخرى، لأنّ التيكيلا تنشر «سعادة واضحة». لا أعتقد أنّني ضحكتُ في حياتي كلّها كما ضحكتُ مع هذين الاثنين وهما يسردان قصص طفولتهما، عيناي تلتقيان بعينيّ إيلجي، وتدوم نظراتنا لحظة إضافيّة قبل أن نغضّ البصر.

ذهبنا ثلاثتنا بعد العشاء إلى ردهة الفندق.

هناك مغنٍ اسمه موريسي ينزل في الفندق، لذلك تجمّع عدد من الشباب مثليّي الجنس المتحمّسين آملين أن يلمحوه، حاملين صوره وأسطواناته وعلباً من الشوكولاتة. الحبّ في كلّ مكان!

جلسنا أنا وإيلجي على مقعد، بينما صعد ڤان إلى غرفته كي ينام. عندما انطبق باب المصعد خلفه قال إيلجي: «ڤان ليس سيّئاً إلى تلك الدرجة، صحّ؟».

«إنّه مرح للغاية»، أجبتُ.

«تعتقد برناديت أنّه فاشل ضخم يتحيّن الفرصة دائماً كي يطلب منّي مالاً»

«هذا صحيح دون شكّ» أجبته، فضحك موافقاً، من ثمّ أعطيته الكمبيوتر اللوحيّ وقلتُ: «حرصتُ على جلب هذا لك. لقد برمجته بحيث لا يعمل إلّا بعد أن تشاهد عرض السلايدات».

بدأ عرض السلايدات. كانت صوراً لإيلجي، جمعتُها من مسيرته في مايكروسوفت طوال كلّ تلك السنوات: إيلجي يقدّم عمله في القاعة، لقطاتٌ عفويّة له مع سامانثا 1، إيلجي يلعب كرة القدم مع مات هاسلِك

في رحلة للمديرين التنفيذيّين إلى مزرعة بول آلن، إيلجي يتلقّى جائزة التميّز التكنولوجيّ، إضافة إلى صورة لبي في الثالثة من عمرها وهي تجلس في حضنه بعد أن تخرّجت لتوّها من المشفى، والضماد يظهر من قبّة فستانها، وصورة أخرى لها أيضاً في الحضانة وهي تضع مقوّماً للساقين، لأنّها قضت فترة طويلة من سنواتها الباكرة طريحة الفراش، ولم يتطوّر وركاها كما يجب... وأخيراً صورة إي. دوغ الشهيرة حيث يظهر إيلجي مرتدياً سلاسل ذهبيّة وساعة كبيرة حول عنقه، مقلّداً مغنّي راب.

«يهمنّي أن تتفرّج على الصور كلّ يوم» قلتُ، «كي تتذكّر أنّ لديك عائلة أخرى في مايكروسوفت. أعرف أنّها ليست كعائلتك الحقيقيّة، لكنّنا نحبّك أيضاً».

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: لقد أزلتُ برناديت من بعض الصور، كما أضفتُ واحدة لي وأنا جالسة إلى مكتبي، بعد أن عدّلتها بالفوتوشوب كي يبدو وجهي مشعّاً بالضوء).

«لن أبكي»، قال.

«يمكنكَ ذلك»، قلتُ.

«يمكنني، لكنّني لن أفعل». تبادلنا النظرات لا غير ونحن نبتسم، من ثمّ ضحكَ إيلجي فضحكتُ أنا أيضاً. المستقبل باهر يفتح ذراعيه لنا.

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: لأنّنا كنّا ثملَين)

من ثمّ تساقط الثلج!

جدران فندق الفورسيزنز مصنوعة من قطع الإردواز الرقيقة المرصوفة كالمعجّنات الفرنسيّة. ثقبتْ حافّة إحداها معطفَ إيلجي، فتطاير الريش منه كالدوّامات حولنا. لوّح معجبو موريسي بأذرعهم بطريقة مسرحيّة، وبدؤوا يغنّون واحدة من أغانيه التي تتضمّن كلمات مثل: «خلال الثلج والبَرد سوف أمضي...). ذكّرتني الأغنية بأحد أفلامي المفضّلة: مولان روج!

«هيّا نصعد إلى الغرفة». قال إيلجي وهو يمسك يدي، وحالما انطبق باب المصعد... تبادلنا قبلة. عندما خرجنا منه قلتُ لإيلجي: «كنتُ أتساءل دائماً ماذا تشبه قبلتك».

مارسنا الجنس بارتباك، من الواضح أنّ إيلجي يريد الانتهاء بسرعة كي ينام. في الصباح التالي لبسنا ثيابنا على عجل ونحن ننظر إلى الأرض، ثمّ عدنا بسيّارتي إلى منزله، لأنّه سبق وأعار سيّارته إلى ڤان... وعندها اقتحمت برناديت جلسة التدخّل العلاجيّ تلك.

برناديت ما تزال غائبة، وأنا حامل. تلك الليلة البائسة في الفندق كانت الليلة الأولى والأخيرة التي مارسنا فيها الجنس. وعدني إيلجي أن يهتمّ بي وبالطفل، لكنّه يرفض أن يعيش معي. أحياناً أفكّر أنّ كلّ ما يلزم هو إعطاؤه المزيد من الوقت. إيلجي يحبّ قراءة سيرة حياة الرؤساء؟ لقد أسميتُ ابني لنكولن، تيّمناً بأحدهم. إيلجي يحبّ مايكروسوفت؟ وأنا أحبّ مايكروسوفت. نحن متوافقان.

(وقت مستقطع! تصحيح الوقائع!: لن يحبّني إيلجي أبداً لأنّني لا أتمتّع بذكائه ورقيّه. سيحبّ ابنته بي دائماً أكثر ممّا يحبّ ابننا الذي لم يولد بعد، وهو يحاول أن يرشيني بهذا المنزل الجديد. تبّاً! سآخذه!).

***

الأربعاء، 2 شباط
فاكس من سو – لِن

أودري،

ذهبتُ إلى ض. ض. ض لقراءة «بكائيّتي»، وتعرّضتُ إلى «المشعل»... مرّة ثانية! لم يتكاثف الغوغاء الغاضبون ضدّ مخلوق بائس معذّب على هذا النحو منذ زمن فرانكشتاين!

ظننتُ أنّ ما كتبته كان صادقاً تماماً، لكنّ جميعهم قالوا إنّه ينضح بالرثاء للذات.

خلال دفاعي عن نفسي، شرحتُ لهم أنّني حامل ممّا يحوّلني من جديد إلى ضحية على يد إيلجي... تلك كانت غلطة! في ض. ض. ض لا يوجد شيء اسمه «ضحيّة للمرّة الثانية»، إن تعرّضنا للأذى مرّة أخرى فهذا لأنّنا نسمح لأنفسنا أن نتحوّل إلى ضحايا، بالتالي هناك مسيءٌ جديد حالياً وهو:

«نحن». إذاً، تقنياً، لم نتحوّل إلى ضحايا مرّة أخرى. أشرتُ إلى أنّ طفلي يتحوّل إلى ضحيّة على يد إيلجي، ممّا يعني أنّه ضحيّة جديدة، والجاني نفسه.

في الواقع، ردّوا أنّني أنا من أحوّل طفلي إلى ضحيّة! كدتُ أقتنع بذلك، لكنّ أحدهم أشار إلى أنّني «أنا» أظلمُ إيلجي لأنّه والد الطفل!

«أيّة مجموعة دعم هي هذه؟» انفجرتُ، «سأقول لكم من الضحية هنا: إنّها أنا! والجناة هم أنتم! أيّها الساديّون المجتمعون في قبو كنيسة!» ثمّ اندفعتُ خارجاً واشتريتُ بوظة، وبكيتُ في سيّارتي.

ذلك كان الجزء المرِح!

عندما عدتُ إلى المنزل أدركتُ أنّه موعد العشاء الأسبوعيّ، وهو اليوم الوحيد الذي يأتي إيلجي فيه لتناول الطعام معنا. لقد وصل قبلي، وها هو يساعد لنكولن وألكساندرا بوظائفهما. أعددتُ لازانيا بسرعة، وضعها الولدان في الفرن ورتّبا المائدة.

في البداية، عارض إيلجي فكرة العشاء العائليّ، لكنّه يستمتع به الآن على ما يبدو. اسمعي التالي: برناديت لم تطبخ أبداً! كانت تطلب الطعام الجاهز، وعندما ينتهون من الأكل لا تكلّف نفسها عناء غسل الأطباق، كلّا. هناك دروج في طاولة السفرة تشبه دروج المقاعد. فكرة برناديت اللّامعة تتلخّص بأن تفتح الدرج، وتكوّم الأطباق والقدور الوسخة فيه ثمّ تقفله. في اليوم التالي تأتي الخادمة وتفرغ الأطباق القذرة من الدرج، ثمّ تغسلها. هل تتخيّلين نمط الحياة هذا؟!

همس إيلجي وأنا أضع الخسّ في صحن السلطة: «لقد أرسلتُ لكِ تقرير الكابتن ورسالة المحامي. هل تسنّى لكِ الوقت للاطّلاع عليهما؟»

«لماذا تسألني؟!»، ورميتُ صحن السلة وزجاجة الصلصة على المائدة، «رأيي لا يهمّكَ».

انفتح الباب الأماميّ، واندفعت بي كالإعصار وهي تلوّح برسالة السيّد هارمسن وتقرير الكابتن. «تتمنّى موتَ ماما؟!»

«بي...» قال إيلجي، «من أين حصلتِ على الأوراق؟».

«وصلتْ بالبريد إلى المنزل» خبطتْ قدمها على الأرض، ودفعتِ الكرسي الذي يجلس عليه إيلجي. «كان بإمكاني أخذ كلّ شيء! لكن كلّ ما تهتمّون به هو إثبات موتِ ماما!».

«أنا لم أكتب ذلك» قال إيلجي، «إنّه كلام محامين قاله شخص لا يرغب أن تُرفَع عليه دعوى».

«ماذا سيحدث عندما تعود ماما إلى المنزل، وتراك وأنت تتناول الطعام بسعادة مع الناس الذين تكرههم هي؟»

«إن حدث ذلك، ستكون هي من يتوجّب عليها الشرح» قلتُ. أعرف، أعرف، كانت تلك غلطة.

«أنتِ بعوضة!» استدارت بي وصرخت بوجهي، «أنتِ من تتمنّين موت ماما، كي تتزوّجي بابا وتسرقي نقوده».

«أنا آسف!» قال إيلجي موجّهاً كلامه لي، «إنّها حزينة».

«أنا حزينة لأنّك حقير» قالت بي لإيلجي، «ولأنّك وقعتَ تحت سحر يوكو – أونو[1]».

«لنكولن، ألكساندرا!» قلتُ، «اذهبا إلى القبو وشاهدا التلفاز».

«أنا واثق أنّها لم تقصد ما قالته!» حاول إيلجي أن يؤكّد لي.

«أوه، تابعي حشو نفسك بالطعام!» قالت لي بي بحدّة.

انفجرتُ بالبكاء. بالطبع، بي لا تعلم أنّني حامل. مع ذلك، أخبرتكِ كم الغثيان الصباحيّ رهيب يا أودري. لسبب ما، التوست الفرنسيّ لم يعد كافياً! استيقظتُ في إحدى الليالي وأنا أشتهي وضع القليل من بوظة موللي مون المملّحة بالكراميل على التوست! اشتريتُ علبة، وبدأتُ أصنع سندويتشات التوست الفرنسيّ ببوظة الكاراميل المملّحة. صدّقيني عندما أقول إنّه يجدر بي تسجيل تلك السندويتشات كماركة تجاريّة وبيعها. البارحة حذّرتني

1- Yoko Ono: فنّانة يابانية أمريكيّة متعدّدة المواهب من مواليد 1933، تزوّجت جون لينون مغنّي البيتلز، ويقال إنّها كانت السبب خلف تفكّك الفرقة، والمقصود هنا أنّ سو – لن هي من هدّمت عائلة بي. م

الدكتورة ڤيلار أنّ الطفل سيولد مصنوعاً من السكّر، مثل البيبس[1]. من سيلومني لأنّني بكيت؟ ركضتُ إلى الطابق العلويّ وارتميتُ على السرير.

بعد ساعة، جاء إيلجي.

«سو – لِن» قال، «هل أنتِ بخير؟».

«كلّا!»، صرختُ.

«أنا آسف» قال، «أنا آسف بخصوص بي، أنا آسف بخصوص برناديت، أنا آسف بخصوص الطفل».

«أنتَ آسف بخصوص الطفل؟!!»، وانطلقتُ بجولة جديدة من النحيب المرتجف.

«ليس هذا ما قصدتُه» قال، «حدث الأمر بسرعة، هذا كلّ شيء».

«إنّه مفاجئ بالنسبة لك، لأنّ برناديت مرّت بكلّ تلك الإجهاضات. عندما تمارس امرأة معافاة مثلي الجنسَ مع رجل، تصبح حاملاً».

ساد صمت طويل. أخيراً نطق إيلجي: «قلتُ لبي إنّنا سنذهب إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة».

«تعرف أنّني لا أستطيع السفر إلى هناك»

«أنا وبي فقط» قال، «تعتقد أنّ سفرنا سيساعدها على التسليم بما حدث. الفكرة فكرتها».

«إذاً بالطبع، اذهب»

«إنّها الطريقة الوحيدة كي تسمح لي بقضاء بعض الوقت معها. أنا مشتاق لها»

«إذاً، اذهب دون تردّد»

«أنتِ امرأة رائعة يا سو – لِن!»، قال.

«يا إلهي! شكراً!»

«أعرف ما الذي تنتظرين سماعه منّي» قال، «لكن فكّري بكلّ ما مررتُ به، وما زلتُ... هل تريدينني حقّاً أن أقول أشياء لا أعنيها؟!».

1- Peeps حلويّات مصنوعة من السكّر، غالباً بشكل صيصان وأرانب وبيض... إلخ. م

«أجل!»، لقد انتهيتُ من موضوع الكرامة.

«آخر رحلة لهذا الموسم تنطلق بعد يومين» قال أخيراً، «وهناك شواغر في السفينة. حجْزُنا السابق مكلفٌ، وستنتهي صلاحيّته إن لم نذهب، ممّا يعني خسارة مبلغ كبير من المال، وأنا أدين بالرحلة إلى بي. إنّها طفلة جيّدة يا سو - لِن، هي كذلك حقّاً».

وهكذا كان. إيلجي وبي سينطلقان غداً إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، الموضوع برمّته تراجيديّ برأيي، لكن ما يدريني أنا؟ أنا مجرّد سكرتيرة مولودة في سياتل.

محبّتي لكِ،

سو - لِن

***

الجزء السادس

القارَةُ البيضاء

وصلنا إلى سانتياغو في السادسة صباحاً. لم أسافر من قبل في الدرجة الأولى بالطائرة، ولذلك لم أكن أعرف أنّ مقاعدها معزولة بما يشبه الأجنحة، وأنّ المقعد يتحوّل إلى سرير عندما تكبسون زرّاً. ما أن أصبح مقعدي مستوياً تماماً، حتّى غطّتني المضيفة بغطاء أبيض جديد. لا بدّ أنّني ابتسمتُ، لأنّ بابا رمقني من مقعده وقال «لا تعتادي على الرفاهيّة». ابتسمتُ له، ثمّ تذكّرتُ أنّني أكرهه، لذلك رميتُ وسادة العيون فوق وجهي. أعطونا ذلك النوع المحشوّ باللاڤاندر وبذور الكتّان بعد تدفئته قليلاً في الميكروويف، لذلك كانت الوسادة ساخنة واستنشاقُ رائحتها يبعث على الاسترخاء... نمتُ عشر ساعات.

هناك صفّ هائلٌ من المهاجرين في المطار، لكنّ ضابطاً لوّح لي ولبابا، ورفع سلسلة كي يسمح لنا بالتوجّه مباشرة إلى كوّة فارغة مخصّصة للعائلات التي يرافقها أطفال صغار. انزعجتُ في البداية لأنّني في الخامسة عشرة، من ثمّ فكّرتُ: لا بأس، سأقبل بدور الطفل الظريف.

الضابط يرتدي بذلة عسكريّة، واستغرق وقتاً طويلاً بفحص جوازي السفر. ظلّ يحدّق بوجهي خصوصاً ثمّ بجواز سفري، للأعلى، للأسفل، للأعلى، للأسفل، لا بدّ أنّه اسمي الغبي! أخيراً، نطق: «تعجبني قبّعتكِ». إنّها قبّعة فريق برنستون تايغرز للبيسبول، التي يرسلونها إلى ماما عندما يريدون منها أن تتبرع بالمال. «برنستون» قال الضابط، «إنّها جامعة أمريكيّة، مثل هارڤارد».

«لكنّها أفضل»، قلتُ.

«أنا أحبّ التايغرز». وضع يديه فوق الجوازين، ثمّ أضاف: «تعجبني تلك القبّعة».

«وأنا أيضاً». وضعتُ راحة يدي تحت ذقني، «ولذلك ألبسها».

«بي!» قال بابا، «أعطِه القبّعة».

«ماذا!!!؟!»، قلتُ.

«تعجبني هذه القبّعة جدّاً»، قال الرجل موافقاً بابا.

«بي، أعطِها له فحسب!».جذب بابا قبّعتي، لكنّها كانت مثبّتة بشعري المربوط كذيل حصان.

«إنّها قبّعتي!»، غطّيتُ رأسي بكلتا يديّ، «ماما أعطتني إيّاها».

«ماما رمتْها في القمامة» قال بابا، «سأشتري لكِ غيرها».

«اشترِ واحدة بنفسك» قلتُ للرجل، «يمكنكَ طلبها عبر الإنترنت».

«يمكننا أن نطلب لك واحدة»، أضاف بابا.

«كلّا لن نفعل!» قلتُ، «إنّه رجل بالغ لديه وظيفة وسلاح، يستطيع القيام بذلك بنفسه».

ختم الرجل جوازي سفرنا، ثمّ أعطاهما لنا وهو يهزّ كتفيه كأنّه يقول: «كانت تستحقّ المحاولة».

أخذنا حقائبنا واتّجهنا إلى الجزء الرئيس من المطار، ميّزَنا الدليلُ السياحيّ مباشرة من الشرائط الزرقاء والبيضاء التي ربطناها بأمتعتنا، وطلب منّا الانتظار ريثما ينهي بقيّة أفراد المجموعة إجراءاتهم، وهو ما سيستغرق وقتاً.

«كلّ شيء له ثمنه!» قال بابا. وجهة نظره محقّة، لكنّني تظاهرتُ أنّني لم أسمعه.

بدأ الآخرون من حاملي الشرائط البيضاء والزرقاء بالظهور. إنّهم رفاقنا المسافرون، معظمهم مسنّون، وجوههم مليئة بالتجاعيد على عكس ملابسهم المكويّة. يا لكاميراتهم! أولئك الناس كانوا يدورون حول بعضهم بعضاً كأنّهم طواويس خاكيّة اللون، وهم يستعرضون كاميراتهم وعدساتهم، ويسحبون في الفواصل أثناء ذلك الاستعراض أكياساً عاتمة تُغلَق بسحّاب

مليئة بالفواكه المجفّفة، ثمّ يدسّون قطعاً صغيرة في أفواههم. لمحتهم يلقون عليّ نظرات فضوليّة بين حين وآخر، ربّما لأنّني الأصغر سناً، وهم يبتسمون بودّ. حدّق بي أحدهم فترة طويلة لدرجة أنّني اضطررتُ أن أقول له: «التقط صورة. ستدوم أطول»، فزجرني بابا: «بي!!».

إحدى الطرائف: على باب غرفة ما عديمة النوافذ، هناك إشارة تصوّر شخصاً يجثو على ركبتيه تحت سقف كالمثلث، وهي الإشارة العالميّة التي تدلّ على كنيسة. البوّابون وعمّال المطعم وسائقو التاكسي يدخلون إلى هناك كي يصلّوا.

حان الوقت للصعود إلى الباص. انتظرتُ حتّى انتقى بابا مقعده، ثمّ جلستُ بعيداً عنه. الأوتستراد المؤدّي إلى مركز المدينة يحاذي نهراً تتبعثر القمامة على ضفّتيه: علبُ صودا، وزجاجات ماء، وأطنان من البلاستيك، وبقايا طعام رُمِيَتْ للتوّ. هناك أطفال يلعبون بالكرة بين القمامة، يركضون مع كلاب جرباء بين القمامة، بل ويقرفصون كي يغسلوا ثيابهم بين القمامة! ممّا أزعجني جدّاً: ألن يلملم أحدٌ منكم القمامة؟!

دخلنا نفقاً. أمسك الدليل الواقف في مقدّمة الباص ميكروفوناً، وبدأ يتحدّث بحماس عن النفق: متى تمّ بناؤه، من المقاول الذي ربح العقد، كم استغرق إنجازه، من الرئيس الذي وافق عليه، كم عدد السيّارات التي تعبره يوميّاً... إلخ. انتظرتُ أن يكشف لنا عن سبب عظمة النفق، كأن يكون مزوّداً بميزة التنظيف الذاتيّ مثلاً، أو أنّه مصنوع من الزجاجات المعادِ تدويرها. كلّا! إنّه مجرّد نفق! مع ذلك، لا يمكنكم ألّا تتعاطفوا مع سعادة الدليل، لأنّ النفق سيبقى دائماً موجوداً لأجله مهما ساءت أحواله.

وصلنا إلى الفندق المبنيّ على شكل أسطوانة إسمنتيّة لولبيّة، حيث سجّلت سيّدة نمساويّة أسماءنا في قاعة اجتماعات خاصّة.

«احرصي على وجود سريرين في غرفتنا» قلتُ. لقد فزعتُ عندما علمتُ أنّني وبابا سنتشارك الغرفةَ ذاتها طوال الرحلة.

«بالطبع، لديكما سريران» قالت السيّدة، «وها هو (الإيثال) من أجل الجولة في المدينة، والنقل إلى المطار».

«الإيـ... ماذا؟!»

«الإيثال»، كرّرت السيّدة.

«ماذا؟!»

«الإيثال»

«ما هو الإيثال؟!»

«الإيصال!» قال بابا، «لا تتصرّفي كحقيرة صغيرة!». في الواقع، أنا لم أفهم ما الذي كانت السيّدة تقوله، لكنّني أتصرّف عموماً كحقيرة صغيرة، لذلك تركتُ بابا يربح هذه المرّة. استلمنا المفتاح وتوجّهنا إلى غرفتنا.

«يبدو أنّ الجولة في المدينة ستكون ممتعة» قال بابا. كدتُ أرثي لحاله، بنظّارته التي يغطّي إحدى عدستيها بشريط لاصق، ومحاولته اليائسة للتقرّب منّي، لكنّني تذكّرتُ أنّ الأمر برمّته بدأ حين حاول احتجاز ماما في مستشفى المجانين.

«أجل» قلتُ، «هل تريد أن تذهب؟».

«أجل بالطبع»، قال بصوت متأثّر مفعم بالأمل.

«وقتاً طيّباً!»، أخذتُ حقيبتي وذهبتُ إلى بركة السباحة.

مدرسة شوت كانت كبيرة وعظيمة بأبنيتها التي يغطّيها اللبلاب، وأفخم تصاميم الهندسة المعماريّة المبعثرة على مرج ضخم يغطّيه الثلج وتتقاطع فيه دروب للمشاة. لم يكن لديّ اعتراض على المكان بحدّ ذاته، لكنّ الناس هناك غريبون! زميلتي في الغرفة، سارة وَيات، لم تستلطفني منذ البداية. ربّما لأنّها كانت تقيم وحدها في الغرفة المخصّصة لشخصين، وعندما عادت من عطلة الكريسماس فوجئت بأنّه أصبح لديها شريكة سكن. في شوت تتباهى بوالدك: والد سارة يملك عدّة مبانٍ في نيويورك، كلّ تلميذ رأيتُه هناك يملك آيفون -أنا لا أمزح- ومعظمهم يملكون آيباد، وكلّ كمبيوتر رأيتُه كان من طراز ماك. عندما قلتُ إنّ والدي يعمل في مايكروسوفت سخروا منّي علانية. لديّ كمبيوتر شخصيّ، وأنا أستمع للموسيقا بوساطة جهاز زون[1].

1- Zune: سلسلة من أجهزة تشغيل الملفّات الصوتيّة والسوفت وير الخاصّ بها، تعمل بنظام ميكروسوفت. م

ما هذا الشيء؟ كانوا يسألونني باستياء بالغ، وكأنّني أمسك بقطعة براز ضخمة وضعتُ فيها سمّاعات. أخبرتُ سارة أنّ أمّي مهندسة معماريّة شهيرة ربحتْ منحة ماك آرثر، فقالت: «غير صحيح»، قلتُ: «بالطبع ربِحتْها. تحقّقي من ذلك» لكنّ سارة وَيات لم تتأكّد من كلامي، ممّا يدلّ على مقدار ازدرائها لي.

شعر سارة سميك أملس، وتلبس ثياباً باهظة الثمن تحبّ أن تشرح لي عنها.عندما أقول لها إنّني لم أسمع بأيّ من المتاجر التي تذكرها، تزفر زفرةً قصيرة. مارلا، صديقتها الحميمة، تقطن في الطابق الأسفل، وهي مرحة باعتقادي وتثرثر طوال الوقت، لكنّها تعاني من حَبِّ الشباب الفظيع، وتدخّن السجائر وتخضع للنظام الشَرطيّ[1]. والدها مخرجٌ تلفزيونيٌّ في لوس أنجلس، والكثير من الشائعات تدور حول أصدقائها من أبناء المشاهير هناك. جميع من في شوت كانوا يتجمّعون حولها وهي تثرثر عن روعة بروس سبرنغستين، وعندها كنتُ أفكّر: بالطبع، بروس سبرنغستين رائع، لا أحتاج مارلا كي أعرف ذلك! أعني، صحيح أنّ غايلر ستريت تفوح برائحة سمك السلمون لكن على الأقلّ، الناس فيها طبيعيّون.

من ثمّ، فتحتُ صندوق بريدي في أحد الأيّام، ووجدتُ المغلّف الأسمر الذي لا يحمل عنوان المرسل. عليه كتابة بأحرف طباعيّة منفصلة، بخطّ غير مألوف لا يشبه خطّ بابا أوخط ماما، ولا يضمّ رسالة تعرّف عن مرسله، بل تلك الملفّات عن ماما لا غير.

بعدها تحسّن كلّ شيء: بدأتُ بتأليف كتابي.

عرفتُ أنّ أمراً ما قد حصل عندما عدتُ في أحد الأيّام بعد انتهاء الحصص، ودخلتُ غرفتي. منزلنا هو هومستيد، منزل صغير متداعٍ يقع في منتصف حرم المدرسة، أمضى فيه جورج واشنطن ليلةً وفق ما جاء في اللوحة التذكاريّة. أوه، نسيتُ أن أقول لكم إنّ رائحة سارة غريبة، مثل رائحة بودرة الأطفال، لكنّ رائحة بودرة الأطفال تلك التي تصيب المرء بالغثيان.

1- يُطبّق عندما يكون أداء الطالب سيّئاً في المدرسة وعلاماته أقلّ من المعدّل المطلوب للتخرّج، لذلك يُمنَح فترة معيّنة تكافئ فصلاً دراسيّاً واحداً عادة كي يُحسّن علاماته، وإلّا يُفصَل. م

لا يمكن أن تكون عطراً حقيقياً، ولم أرَ علبة بودرة أطفال أبداً، وأنا حتّى يومنا هذا لا أعرف ما هي تلك الرائحة. بأيّ حال، فتحتُ باب المنزل فسمعتُ صرير أقدام في الأعلى. صعدتُ، لكنّ غرفتنا كانت فارغة، وسمعتُ صوت سارة في الحمّام. جلستُ إلى طاولتي وفتحتُ اللابتوب، وعندها شممتُ تلك الرائحة، رائحة بودرة الأطفال المقرفة تلك تفوح في الهواء فوق طاولتي، ممّا بدا لي أمراً غريباً بشكل خاصّ، لأنّ سارة جعلت من مسألة تقسيم الغرفة إلى نصفين قضية كبرى، وأعطتني تعليمات مشدّدة بعدم تجاوز الخطّ الفاصل غير المرئيّ بينهما. في تلك اللحظة، اندفعت سارة خلفي عبر الغرفة، ومن ثمّ إلى أسفل الدرج، وصفقت الباب خلفها. وصلتْ إلى الزاوية، وأوشكت أن تعبر شارع إلْم.

«سارة!»، ناديتُها من الشبّاك.

توقّفتْ ونظرتْ إلى الأعلى.

«أين تذهبين؟ هل كلّ شيء على ما يرام؟»،خشيتُ أنّ مصيبة ما حلّت بأحد أبنية والدها.

تظاهرت أنّها لم تسمعني وانطلقت عبر شارع كريستيان، وهذا غريب، نظراً لأنّ لديها تمرين سكواش كما أعرف، كما أنّها لم تنعطف صوب هِلْ هاوس أو المكتبة. المبنى الوحيد الموجود بعد المكتبة هو آرشبولد، حيث توجد مكاتب العميد.

ذهبتُ إلى درس الرقص وعندما عدتُ، حاولتُ أن أتحدّث مع سارة، لكنّها رفضت أن تنظر إليّ، وأمضتِ الليلة في غرفة صديقتها مارلا.

بعد عدّة أيّام، في منتصف حصّة اللغة الإنجليزيّة، قالت لي مسز رايان إنّ عليّ الذهاب فوراً إلى مكتب السيّد جيسب. استدرتُ بشكل غريزيّ صوب سارة التي تدرس اللغة الإنجليزيّة معي في الصفّ ذاته، فأطرقت رأسها بسرعة. عرفتُ آنذاك أنّ هذه النيويوركيّة التي ترتدي سروال يوغا، وتفوح برائحة غريبة، وتضع قرطين من الماس... خانتني!

وجدتُ بابا بانتظاري في مكتب السيّد جيسب، وقال لي إنّ من الأفضل بالنسبة لي أن أغادر شوت. كان منظرهما طريفاً وهما يلفّان ويدوران،

ويبدآن كلّ جملة بـ «لأنّ بي تهمّني كثيراً» أو «لأنّ بي هي فتاة استثنائيّة» أو «من أجل مصلحة بي». قرّرا أن أغادر شوت، وأن تُنقَل علاماتي بحيث أستطيع الالتحاق بمدرسة لايك سايد في العام المقبل (يبدو أنّني قُبِلتُ فيها. من يدري؟!).

في الردهة، وقفنا وحدنا أنا وبابا وتمثال نصفيّ من البرونز للقاضي شوت. طلب بابا رؤية كتابي. مستحيل! مع ذلك، أريتُه المغلّف الأسمر الذي وصل بالبريد. «من المرسل؟» سأل بابا، «ماما» أجبتُه، لكنّ الخطّ الموجود على المغلّف ليس خطّها، وهو يعرف ذلك.

«لماذا ترسله لكِ؟»، سأل.

«لأنّها أرادتني أن أعرف»

«تعرفين ماذا؟»

«الحقيقة. أنت لن تخبرني بها»

أخذ بابا شهيقاً وقال: «الحقيقة الوحيدة هي أنّكِ قرأتِ أموراً أنتِ أصغر سنّاً من أن تفهميها».

وعندها اتّخذتُ قراراً قاطعاً: أنا أكرهه.

في الصباح التالي باكراً، أخذتنا طائرة خاصّة من سانتياغو إلى أوشوايا في الأرجنتين، من ثمّ ركبنا الباص الذي تهادى بنا عبر المدينة الجبسيّة الصغيرة. المنازل هنا لها سقوف على الطراز الإسبانيّ، وحدائق موحلة فيها أراجيح صدئة. عندما وصلنا إلى الميناء، أخذونا إلى ما يشبه كوخاً مقسوماً طوليّاً بحاجز زجاجيّ: مكتب الهجرة، حيث ينبغي علينا الوقوف في الصفّ وانتظار دورنا. سرعان ما ظهر في الجهة الأخرى عبر الزجاج أشخاص مسنّون يلبسون ملابس السفر، ويحملون حقائب ربطوا عليها شرائط بيضاء وزرقاء. إنّهم المجموعة التي نزلت لتوّها عن السفينة، أشباح رحلتنا المستقبليّة. لوّحوا لنا مشجّعين، وحرّكوا شفاههم كأنّهم يقولون: ستحبّون الرحلة، ليس لديكم فكرة كم هي مدهشة، أنتم محظوظون للغاية. بعدها بدأ الواقفون جميعهم في جهتنا حرفيّاً بالطنين كالنحل: بازززززز باز آلدرِن،

باز آلدرِن، باز آلدرِن: في الجهة الأخرى ظهر رجل صغير مشعّث، يرتدي سترة طيّار من الجلد تغطّيها شعاراتُ ناسا، وذراعاه مثنيّتان عند المرفق وكأنّه يبحث عن شجار. ابتسامته كانت صادقة ودافئة، ووقف بتواضع خلف الزجاج ريثما وقف أفراد مجموعتنا إلى جواره والتقطوا الصور. التقط لي بابا صورة معه، سأخبر كينيدي: ها أنا ذا أزور باز آلدرِن[1] في السجن.

كان يوم جمعة عندما عدتُ إلى سياتل بعد أن تركتُ شوت، لذلك توجّهتُ على الفور إلى مجموعة الشباب. وجدتهم يلعبون لعبة غبيّة تُدعى العصافير الجائعة، حيث ينقسم الأطفال إلى مجموعتين، ويكون على العصفورة أن تلتقط البوشار من وعاء باستخدام قطعة من عرق السوس الأحمر كمصّاصة، من ثمّ تركض بها عبر الغرفة كي تُطعِم صيصانها. فوجئتُ أنّ كينيدي تشارك في لعبة أطفال كهذه! راقبتهم إلى أن لاحظوا وجودي أخيراً، فوقفوا صامتين. لم تقترب كينيدي منّي، بينما عانقني لوك وماي عناقاً طويلاً على الطريقة المسيحيّة.

«نحن آسفان جدّاً لما حدث لأمّك»، قال لوك.

«لم يحصل شيء لماما»، قلتُ.

أصبح الصمتُ أقسى، ثمّ نظر جميعهم إلى كينيدي لأنّها صديقتي، لكنّني حزرتُ أنّها أيضاً خائفة منّي.

«دعونا ننه اللعبة» قالت موجّهة كلامها للأرض، «فريقنا يتقدّم 7:10».

خُتِمت جوازات سفرنا، وخرجنا عبر خيمة. قالت لنا سيّدة أن نتبع الخطّ الأبيض إلى الكابتن الذي سيرحّب بنا على متن السفينة. مجرّد سماعي لكلمة «كابتن» جعلني أركض على طول الميناء المكسّر بسرعة خاطفة، لأنّ الحماس يحملني، لا ساقايّ.

هناك أسفل درج ما، يقف رجل يرتدي بدلة كحليّة وقبّعة بيضاء.

1- Buzz Aldrin طيّار ورائد فضاء أمريكيّ من مواليد 1930، كان ثاني رجل يهبط على القمر، وزار القطب الجنوبيّ في عمر السادسة والثمانين، ممّا جعله أكبر شخص يذهب إلى هناك. لم يدخل السجن دون شكّ، لكن بي تشير إلى أنّها تأخذ صورة معه عبر الفاصل الزجاجيّ، وكأنّهما في سجن. م

«هل أنت الكابتن آلتدورف؟» قلتُ، «أنا بي برانش» فابتسم محتاراً. أخذتُ شهيقاً وقلتُ: «برناديت فوكس هي أمّي».

من ثمّ انتبهتُ إلى الشارة التي تحمل اسمه: الكابتن خورخيه ڤاريلا، وتحت الاسم كُتِبَ: الأرجنتين.

«لحظة!» قلتُ، «أين الكابتن آلتدورف؟».

«آها!» قال هذا الكابتن المزيّف، «كابتن آلتدورف! كان قبلي، إنّه الآن في ألمانيا».

«بي!» كان هذا بابا الذي وصل لاهثاً، «لا يمكنكِ أن تركضي هاربة هكذا!».

«آسفة» تكسّر صوتي، وبدأتُ أبكي بكاء مكتوماً، «لقد رأيتُ صوراً كثيرة لسفينة أليغرا لدرجة أنّها تجعلني أسلّم بالواقع بقوّة».

وتلك كذبة بالطبع! كيف يمكن لرؤية سفينة أن تجعل المرء يسلّم بما حصل؟! لكن بعد شوت، أدركتُ فوراً أنّ بابا سيسمح لي بالقيام بأيّ شيء تحت مسمّى «التسليم بما حصل»: بإمكاني النوم في مقطورة ماما، بإمكاني عدم الذهاب إلى المدرسة، بل وحتّى القدوم إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة. شخصيّاً، أجد أنّ مفهوم التسليم بما حصل أمرٌ مهين، لأنّه يعني أنّني أحاول نسيان ماما. في الواقع، أنا قادمة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة للبحث عنها.

وجدنا الحقائب بانتظارنا عندما دخلنا القمّرة أنا وبابا، حقيبتان لكلّ منّا: واحدة تحتوي الملابس العاديّة، وواحدة فيها مستلزمات الرحلة. بدأ بابا على الفور بترتيب أغراضه.

«حسناً» قال، «سآخذ أنا الدرجين العلويّين، وأنت خذي السفليّين. هذه الجهة من الخزانة لي. ممتاز! هناك درجان في الحمّام، العلويّ لي».

«ليس ضروريّاً أن تشرح بالتفصيل كلّ أمر مملّ تقوم به» قلتُ، «هذه ليست مباراة كيرلنغ[1] أولمبيّة، أنت تقوم بإفراغ حقيبتك لا غير!».

أشار بابا إلى نفسه: «الذي ترينه الآن هو (أنا) الذي يتجاهلكِ. هذا ما نصحني الخبراء بفعله، وهذا ما أقوم به».

1- Kurling لعبة يلعبها فريقان. يتكوّن كلّ منهما من أربعة لاعبين، يحاولون دفع قرص على الجليد باستخدام العصي، كي تدخل إلى مركز دوائر حمراء مرسومة في الحلبة. م

جلس على سريره، جرّ حقيبته بين ساقيه وفتح السحّاب بحركة واحدة. أوّل شيء رأيتُه كان شفّاطة الأنف، ذلك الشيء الذي يُستخدم لترطيب مجرى الأنف من الداخل. مستحيل أن أبقى في هذه الغرفة الصغيرة مع بابا وهو يقوم بترطيب أنفه بالشفّاطة يوميّاً! وضعها في درج، ثمّ تابع إفراغ أغراضه.

«أوه! يا إلهي!»، قال.

«ماذا؟»

. «إنّها آلة ترطيب الجوّ!»، قال وهو يفتح علبة يوجد داخلها آلة بحجم علبة كورن فليكس صغيرة، من ثمّ انقبض وجهه، واستدار صوب الجدار.

«ماذا؟»، قلتُ.

«لقد طلبتُ من ماما أن تشتري لي واحدة، لأنّ هواء القارّة القطبيّة الجنوبيّة شديد الجفاف»

حملقتُ به. آه يا إلهي! لا تبدو الرحلة فكرة سديدة إن كان بابا سيبكي طوال الوقت!

«حسناً أيّتها السيّدات والسادة»، لحسن حظّي فرقع صوت رجل نيوزيلنديّ من مكبّر الصوت الموجود في السقف. «مرحباً بكم على متن السفينة. حالما تستقرّون، انضمّوا إلينا من فضلكم في قاعة شاكلتن كي نرحّب بكم ببعض الكوكتيلات والمقبّلات».

«أنا ذاهبة» اندفعتُ خارجاً، تاركة بابا ينتحب وحيداً.

كانت جنيّة الأسنان تترك لي أقراص DVD عندما تسقط أسناني اللبنيّة، أوّل ثلاثة حصلتُ عليها كانت أفلام «ليلةُ نهارٍ صعبٍ»، «وجه مضحكٌ»، و«تلك هي التسلية!». بعدها تركت لي الجنيّة لقاء سنّي الأماميّ الأيسر فيلم سانادو الذي أصبح فيلمي المفضّل على الإطلاق! أفضل جزء فيه هو الفقرة الختاميّة حيث يتزلّج الممثلون بزلّاجات جديدة من الكروم اللمّاع والخشب المصقول في حلبة الديسكو، بين المقاعد المدوّرة المخمليّة والجدران المغطّاة بسجّادات طويلةِ الوبر. هكذا بدت لي قاعة شاكلتن، إضافة إلى عدّة شاشات تلفزيون مسطّحة تتدلّى من السقف، ونوافذ تكشف البحر... القاعة

كلّها لي، لأنّ الجميع ما يزالون مشغولين بترتيب أغراضهم. جلب لي نادل رقائق البطاطا، فأكلتُ صحناً كاملاً بمفردي، وبعد دقائق دخل عدّة أشخاص شديدو السمرة بالشورت والشحّاطة يحملون شارات اسميّة، وجلسوا إلى البار. إنّهم علماء الطبيعة، وهم أفراد من الطاقم في الوقت ذاته.

ذهبتُ إليهم. «هل أستطيع أن أسألكَ سؤالاً؟»، قلتُ لأحدهم واسمه تشارلي.

«بالطبع»، ورمى زيتونة إلى فمه، «اسألي».

«هل رافقتَ الرحلة التي انطلقت بعد الكريسماس مباشرة؟»

«كلّا. بدأتُ العمل في منتصف شهر كانون الثاني»، ورمى حبّتي زيتون في فمه، «لماذا؟».

«كنتُ أتساءل إن كانت لديك معلومات حول إحدى المسافرات: برناديت فوكس»

«لا أعرفها»، وبصق حفنة من النوى في راحته.

دليل آخر أسمر مثله واسمه فروغ وفق المكتوب على شارته، سألني: «ما هو سؤالكِ؟»، كان أسترالياً.

«إنّه لا شيء»، قال تشارلي عالم الطبيعة وهو يهزّ رأسه بطريقة ما.

«هل كنتَ على متن رحلة السنة الجديدة؟» سألتُ فروغ، «كانت فيها امرأة تدعى برناديت...».

«السيّدة التي انتحرت؟»، سأل فروغ.

«لم تنتحر!»، قلتُ.

«لا أحد يعلم ماذا حصل»، قال تشارلي وهو يحملق بفروغ.

«إدواردو كان موجوداً»، قال فروغ وهو يمدّ يده إلى وعاء الفستق. «إدواردو! كنتَ حاضراً عندما قفزتِ السيّدة. كانت رحلة السنة الجديدة التي تحدّثنا عنها».

إدواردو له وجه كبير مدوّر وسحنة إسبانيّة، ويتكلّم الإنجليزيّة بلكنة. «أظنّ أنّ التحقيق ما يزال جارياً»، قال.

انضمّت للمحادثة امرأة شعرها الأسود المجعّد ملفوف في قمّة رأسها،

وتدعى كارِن: «هل كنتَ موجوداً إدواردو؟! آآآخخخخخ!» زعقت كارِن، وبصقت لقمة من مادّة تشبه العجين الأسمر في صحن، «ما هذا؟!».

«اللعنة! هل هذا فستق؟!» قال تشارلي، «كنتُ أبصق نوى الزيتون في ذلك الصحن!».

«تبّاً!» قالت كارن، «أعتقد أنّني كسرتُ سنّي».

من ثمّ حدث كلّ شيء بسرعة رهيبة: «سمعتُ أنّها هربت من مصحّة عقليّة، قبل أن تصعد إلى السفينة»، «لقد كسرتُ سنّي»، «كيف يسمحون لشخص مثلها بالصعود إلى السفينة؟! هذا ما يحيّرني»، «هل هذا سنّكِ؟»، «سيسمحون لأيّ شخص بالصعود إن كان معه العشرون ألف دولار المطلوبة»، «أيّها التافه!»، «آه يا إلهي! أنا آسف!»، «الحمد لله أنّها انتحرت. ماذا لو قتلتْ راكباً أو قتلتكَ أنت يا إدواردو؟».

«لم تنتحر!!» صرختُ، «إنّها أمّي، ومن المستحيل أن تقدم على الانتحار».

«أمّكِ؟!» غمغم إدواردو، «لم أكن أعرف!».

«أنتم لا تعرفون شيئاً!»، رفستُ كرسيّ كارِن، لكنّه لم يتحرّك من مكانه لأنّه مثبّت بالأرض، ثمّ ركضتُ عبر الدرج الخلفيّ، لكنّني نسيتُ رقم الغرفة وفي أيّة طبقة من السفينة توجد أصلاً. مشيتُ ومشيتُ عبر الممرّات الضيّقة الرهيبة ذات السقوف الواطئة، والتي تفوح منها رائحة الديزل.

أخيراً، فُتح أحد الأبواب ورأيتُ بابا.

«ها أنتِ ذا!» قال، «هل أنت مستعدّة للذهاب إلى سطح السفينة كي نتلقّى توجيهات الرحلة؟».

دفعته ودخلتُ الغرفة ثمّ صفقتُ الباب خلفي. انتظرتُ منه أن يدخل، لكنّه لم يفعل.

بشكل متقطّع، خلال الحضانة بل وفي بداية الروضة كذلك، كان جلدي يزرَقّ بسبب مشكلة قلبي. في معظم الأحيان يكون اللون الأزرق خفيفاً جدّاً لا يكاد يُرى، وفي أحيان أخرى يكون قاتماً بشدّة ممّا يعني أنّ الوقت

حان لإجراء عمليّة جراحيّة أخرى. مرّة، قبل جراحة «فونتان[1]»، أخذتني ماما إلى مركز سياتل، حيث لعبتُ في النافورة الموسيقيّة الضخمة. كنتُ ألعب مرتدية سروالي الداخليّ فقط، وأركض إلى الأعلى وإلى الأسفل على الحوافّ المنحدرة، محاولة أن أسبق نوافير الماء المندفع. أشار إليّ صبيّ أكبر سنّاً، «انظر!» قال لصديقه، «إنّها ڤيوليت بوريغارد!». ڤيوليت بوريغارد هي تلك الفتاة الصغيرة المزعجة في قصّة «ويلي وانكا ومصنع الشوكولاتة» التي أصبحتْ زرقاء اللون وانتفختْ ككرة كبيرة. أنا أيضاً كنتُ زرقاء ومتورّمة، لأنّهم حقنوني بالستيروئيدات تحضيراً للجراحة. ركضتُ إلى ماما التي تجلس على حافّة النافورة، وحشرتُ وجهي بين ثدييها. «ماذا يا بي؟»، «لقد لقّبوني بذلك اللقب» قلتُ بصوت أشبه بالزقزقة. «اللقب؟!»، سألتْ ماما وهي تنظر إليّ. تمكّنتُ من قول «ڤيوليت بوريغارد» ثمّ انفجرتُ بالبكاء من جديد. مرّ الصبيّان اللئيمان بجوارنا وهما يتظاهران بعدم رؤيتنا، آملَين أنّ ماما لن تشي بهما إلى والديهما، لكنّ ماما نادتهما: «ذلك مُبْتكرٌ! أتمنّى لو أنّني أنا من فكّر بذلك اللقب». أستطيع أن أشير إلى تلك اللحظة أنّها أسعد لحظة في حياتي،لأنّني عرفتُ أنّ ماما ستحميني دائماً. شعرتُ أنّني عملاقة، وركضتُ بأقصى سرعة إلى أسفل المصطبة الإسمنتيّة، أسرع من أيّة مرّة ركضتُ فيها، سريعة لدرجة تُحتِّمُ السقوطَ، لكنّني لم أسقط لأنّ ماما موجودة في هذا العالم.

جلستُ على أحد السريرين الضيّقين في القمّرة الصغيرة. بدأ محرّكُ السفينة يهدر، من ثمّ صدح صوت النيوزيلنديّ من مكبّر الصوت: «حسناً أيّتها السيّدات والسادة» قال، ثمّ صمت قليلاً وكأنّه على وشك أن يعلن نبأً سيّئاً وعليه أن يستجمع أفكاره. «ودِّعوا أوشوايا لأنّ مغامرتنا القطبيّة بدأت لتوّها. الشيف إيسي حضّر العشاء التقليديّ الذي نتمنّى لكم من خلاله رحلة ميمونة، وهو لحم البقر المشويّ مع بودنغ يوركشاير، وسيُقدَّم في قاعة الطعام بعد التوجيهات».

1- عمليّة جراحيّة تلطيفيّة تجرى عند الأطفال المصابين بآفات قلب ولادية، لتحويل مجرى الدمّ مباشرة من الوريدين الأجوفين العلويّ والسفليّ إلى الشرايين الرئويّة، دون المرور بالبطين الأيمن المعطوب. م

يستحيل أن أذهب إلى ذلك العشاء، لأنّه يقتضي الجلوس مع بابا. قرّرتُ أن أنطلق للعمل، سحبتُ حقيبتي وأخرجتُ منها تقرير الكابتن.

خطّتي كانت أن أتتبّع خطا ماما، لأنّني أعرف أنّ شيئاً ما سيظهر فجأة، دليلاً ما لن يلاحظه سواي. ما هو تحديداً؟ ليست لديّ فكرة.

أوّل ما فعلته ماما كان إنفاق 433 دولاراً في متجر الهدايا بعد ساعات قلائل من صعودها على متن السفينة، لكنّ الفاتورة لا تذكر المشتريات بالتفصيل. انطلقتُ، من ثمّ أدركتُ أنّ هذه هي فرصتي للتخلّص من شفّاطة أنف بابا. أمسكتها وذهبتُ إلى مقدّمة السفينة، رميتها في سلّة مهملات مثبّتة بالجدار، ثمّ غطّيتها بالمناديل الورقيّة.

انعطفتُ حول الزاوية باتّجاه متجر الهدايا، وعندها -آخخ!!- ضربني دوار البحر! كلّ ما استطعتُ القيام به كي أتماسك كان أن أستدير ببطء، وأنزل الدرج درجة درجة بهدوء شديد، لأنّني سأتقيّأ لو تحرّكتُ حركة بسيطة. أنا لا أمزح، استغرقتُ نحو ربع ساعة لنزول الدرج، وعندما وصلتُ إلى الردهة أخذتُ نفساً عميقاً، أو حاولت ذلك بالأحرى، كلّ عضلاتي تجمّدت.

«أيّتها الفتاة الصغيرة، هل أنتِ مريضة؟» اخترق صوتٌ ما أذنيّ. حتّى سماع الصوت جعلني أشعر برغبة بالتقيّؤ، وضعي سيّئ لتلك الدرجة.

استدرتُ بتشنّج، كانت تلك خادمة الغرفة التي تتدلّى سلّتها من حبل مرن مثبّتٍ بدرابزين الدرج.

«خذي يا سيّدة، خذي هذا من أجل دوار البحر»،وأعطتني علبة صغيرة بيضاء اللون.

وقفتُ بجمود، بالكاد أستطيع النظر إلى الأرض.

«أوه! أنتِ مريضة يا سيّدة!» وأعطتني زجاجة ماء. كلّ ما استطعتُ فعله كان التحديق بالزجاجة.

«ما هو رقم غرفتكِ؟» وأمسكتِ البطاقة الاسميّة الصغيرة التي تتدلّى من عنقي، «سأساعدكِ أيّتها الفتاة الصغيرة».

الغرفة كانت قريبة جدّاً، استعملت الخادمة مفتاحها وأشرعت الباب. الدخول يتطلّب عزيمة جبّارة، لكنّني تمكّنتُ ببطء من المشي، وخلال

الوقت الذي استغرقني كي أصبح داخل الغرفة، كانت الخادمة قد أسدلت الستائر وأزاحت الأغطية عن السريرين. وضعت قرصين من الدواء في يدي، وناولتني زجاجة الماء المفتوحة.

حدّقتُ بالزجاجة وبالقرصين فحسب، ثمّ عددتُ إلى الثلاثة، واستحضرتُ كلّ تركيزي لابتلاعهما، من ثمّ جلستُ على أحد السريرين. ركعت المرأة على الأرض، ونزعت حذائي من قدميّ.

«اخلعي سترتكِ وبنطالكِ، هذا أفضل»، قالت.

فككتُ سحّاب السترة وسحبتْها هي من يديّ، ثمّ تلوّيتُ متخلّصة من بنطالي. ارتجفتُ بسبب الهواء الذي هبّ على جلدي العاري.

«استلقي الآن ونامي»، قالت.

استجمعتُ شجاعتي للانزلاق تحت الأغطية المتجمّدة، تكوّرتُ على نفسي، وحدّقتُ بالعوارض الخشبيّة. أحسستُ أنّ معدتي مليئة بما يشبه البيوض المصنوعة من الكُروم التي تنوس من جهة إلى جهة أخرى على مكتب بابا. كنتُ وحيدة مع هدير المحرّك وطقطقة علّاقات الثياب وأصوات فتح الأدراج وإغلاقها. كنتُ وحيدة أنا والزمن، هذا يشبه ما يحصل عندما نذهب في جولة على كواليس مسرح الباليه، حيث توجد مئاتُ الحبال الثقيلة وجزيرة شاشات الڤيديو واللوح الضوئيّ الذي يحمل ألف إشارة ضوئيّة... وكلّها ضروريّة لإجراء تغيير واحد بسيط في المشهد! كنتُ مستلقية الآن في السرير وأنا أتفرّج على كواليس الزمن، كيف ينساب ببطء، وكيف أنّ كلّ مكوّناته هي: لا شيء.

الجدران عبارة عن سجّادة كحليّة من الأسفل، ثمّ شريط معدنيّ، ثمّ خشب صقيل وفوقه بلاستيك لونه بيج يصل إلى السقف. فكّرتُ عندها يا لهذه الألوان المريعة! سوف تقتلني، عليّ أن أغمض عينيّ! حتّى الجهد المطلوب لإغماض عينيّ بدا لي مستحيلاً. لذلك، كأنّني مديرة مسرح باليه، سحبتُ حبلاً في دماغي، ثمّ واحداً آخر، من ثمّ خمسة حبال أخرى، وهكذا انغلقت أجفاني. انفتح فمي لكن لم تخرج منه كلمات، مجرّد أنين متقطّع. لو أنّ الأنين كلماتٌ لكانت: أيّ شيء ما عدا هذا!

استيقظتُ بعد أربع عشرة ساعة، وجدتُ ملاحظة من بابا كتب فيها أنّه ذهب إلى القاعة كي يستمع إلى محاضرة عن الطيور البحريّة. قفزتُ من السرير، فارتختْ ساقاي ومعدتي مجدّداً. فتحتُ ستارة النافذة، وكأنّنا داخل غسّالة كهربائيّة! ارتميتُ على السرير من جديد! نحن نقطع معبر درايك، وأنا أريد أن أتأمّله، لكن هناك عملاً ينبغي القيام به.

ردهة السفينة مطوّقة بالأكياس تحسّباً للتقيؤ، أكياس مطويّة كالمراوح ومحشورة عند مفاصل الدرابزين، وخلف مضخّات معقّم الأيدي، وفي جيوب الأبواب. السفينة مائلة بحدّة لدرجة أنّني كنتُ أمشي بقدم على الجدار، وقدم على الأرض. منطقة الاستقبال فسيحة بالفعل، ممّا يعني أنّه لا يوجد عوارض للاستناد عليها عند المرور في القاعة، لذلك مدّدوا شبكة من الحبال تشبه شبكة سبايدرمان. أنا الشخص الوحيد هنا، بقيّة الركاب هربوا إلى جحورهم التعيسة كحيوانات مريضة. جذبتُ باب متجر الهدايا لكنّه مغلق. رفعت سيّدة تجلس خلف الكونتوار رأسها، إنّها تدلّك باطن معصمها بشيء ما.

«هل المتجر مفتوح؟»، غمغمتُ.

مشت السيّدة صوبي وفتحت الجزء المعدنيّ. «هل جئتِ لشراء ورق الأوريغامي؟»، سألتني.

«ماذا؟»، قلتُ.

«سيقدّم اليابانيّون عرض أوريغامي عند الحادية عشرة. لديّ ورق إن رغبتِ بالمشاركة»

سبق ورأيتُ اليابانيّين. إنّهم مجموعة سيّاح لا يعرفون ولو كلمة بالإنجليزيّة، ويرافقهم مترجمهم الخاصّ، الذي يلفت انتباههم بالتلويح بعصا تتدلّى منها شرائط وبطريق محشوّ.

تأرجح المركب، فسقطتُ في سلّة مليئة بكنزات هارمسن وهيث. حاولتُ النهوض لكن عبثاً! «هل الوضع سيّء هكذا دوماً؟»، سألتُ.

«البحر هائج جدّاً اليوم»، قالت وهي تعود إلى مكانها خلف الكاونتر، «ارتفاع الموج يبلغ ثلاثين قدماً».

«هل كنتِ هنا في رحلة الكريسماس؟»، سألتُها.

«أجل كنتُ». فتحتْ علبة صغيرة لا تحمل اسماً، وغطّست إصبعها فيها، ثمّ بدأت تفرك باطن معصمها الآخر.

«ماذا تفعلين؟» سألتها، «ماذا يوجد في تلك العلبة؟».

«إنّه كريم من أجل دوار الحركة. من دونه لن يستطيع الطاقمُ العملَ»

«ABHR؟»، سألتُ.

«في الحقيقة، أجل»

«ماذا عن عسر الحركيّة المتأخّر؟»

«واو!» قالت، «أنت تعرفين تلك الأمور! قال الطبيب إنّ الجرعة ضئيلة للغاية، لذلك حدوث عسر الحركيّة المتأخّر غير وارد».

«كانت هناك امرأة في رحلة الكريسماس» قلتُ، «اشترت مجموعة أغراض من متجر الهدايا مساءَ السادس والعشرين من كانون الأوّل. إن أعطيتكِ اسمها ورقم غرفتها، هل تستطيعين إيجاد الإيصال كي أعرف ما الذي اشترته بالضبط؟».

«أوه!». نظرت المرأة إليّ نظرة غريبة لم أفهمها.

«إنّها أمّي» قلتُ، «واشترت ما قيمته أربعمئة دولار من الأشياء».

«هل أنتِ هنا مع والدك؟»

«أجل»

«لماذا لا تعودين إلى غرفتكِ ريثما أبحث عن الإيصال؟ قد يستغرق هذا عشر دقائق».

أعطيتها رقم غرفتي، ثمّ تمسّكتُ بالحبال وعدتُ إلى القمّرة. تحمّستُ لوجود تلفاز في الغرفة، لكنّ حماسي خبا عندما اكتشفتُ هناك قناتين فقط، تبثّان فيلم «الأقدام السعيدة» ومحاضرة طيور البحر تلك. انفتح الباب، فقفزتُ. كان بابا، ومن خلفه السيّدة من متجر الهدايا!

«قالت بولي إنّكِ طلبتِ رؤية نسخة من إيصال ماما؟»

«تلقّينا تعليمات بإخبار والدك» قالت لي وهي تشعر بالعار، «جلبتُ لكِ بعضاً من ورق الأوريغامي».

عبستُ فيها بأسلوب كوبريك، ورميتُ نفسي على السرير.

نظر بابا إلى بولي نظرة معناها «سأتولّى الأمر الآن». انغلق الباب، ثمّ جلس بابا قبالتي. «علماء الطبيعة آسفون لما حدث مساء أمس» قال موجّهاً كلامه لظهري، «جاؤوا يبحثون عنّي، ثمّ تحدّث الكابتن مع كلّ الطاقم».

ساد صمت طويل

«تكلّمي معي بي، أريد أن أعرف.. كيف تشعرين؟ وبماذا تفكّرين؟»

«أريد إيجاد ماما»، قلتُ ووجهي مدفون في الوسادة.

«أعرف ذلك حبيبتي، وأنا أريد العثور عليها أيضاً»

أدرتُ رأسي صوبه بصعوبة، «إذاً لماذا تذهب إلى محاضرة غبيّة عن الطيور البحريّة؟! أنت تتصرّف وكأنّها ماتت، الأجدر بك أن تحاول البحث عنها».

«الآن؟! على متن السفينة؟»

الطاولة الموجودة إلى جانب السرير كانت مزدحمة بأغراض بابا: قطرات عينيه، نظّارة القراءة مع شريط لاصق يغطّي إحدى عدستيها، نظّارة داكنة مع شريط لاصق يغطّي إحدى عدستيها أيضاً، تلك الأربطة الفظيعة التي تثبّت النظّارة على الرأس، مونيتور ضربات القلب، ومجموعة من علب الڤيتامينات الصغيرة التي توضع أقراصها تحت اللسان... عليّ أن أجلس.

«في القارّة القطبيّة الجنوبيّة» قلتُ، وسحبتُ تقرير الكابتن من حقيبتي.

أخذ بابا شهيقاً عميقاً، «ماذا يفعل هذا الشيء معكِ؟».

«سيساعدني على إيجاد ماما»

«إنّه ليس الهدف من قدومنا» قال، «لقد جئنا لأنّك أردتِ ما يساعدكِ على التسليم بما حدث».

«قلت ذلك فقط كي أخدعك». أدركتُ بوضوح الآن أنّه لا يمكن أن تقول هذا الكلام لشخص ما وتتوقّع منه تقبّله، لكنّني كنتُ مهتاجة جدّاً. «أنت من أوحى لي بتلك الفكرة يا بابا، عندما قلتَ إنّ رسالة ذلك الرجل هارمسن هي كلام محامين. لو قرأتَ تقرير الكابتن بعقل منفتح لأثبتَ لك أنّ ماما أحبّت الرحلة، وكانت تستمتع بوقتها، تشرب النبيذ وتذهب في رحلات طوال النهار. لقد قرّرت أن تبقى هنا، وكتبت لي رسالة تخبرني بذلك كي لا أقلق».

«هل لي أن أعطيكِ تفسيراً ثانياً؟» قال بابا، «أرى امرأة منزوية على نفسها تشرب زجاجة نبيذ على العشاء، ثمّ تنتقل إلى المشروبات الأقوى. هذا ليس استمتاعاً بالوقت، بل انتحاراً بالكحول! وأنا واثق أنّ ماما كتبت لكِ رسالة، لكنّها رسالة مليئة بالوساوس الفارغة عن أودري غريفن».

«تقول فيها: من المحتمل جدّاً».

«لكن لن تعرف أبداً» قال بابا، «لأنّها لم ترسلها بالبريد».

«لقد أعطتها إلى أحد الركّاب كي يرسلها بالبريد عندما يصل إلى بلده، لكنّها ضاعت».

«ولماذا لم يذكر ذلك الراكب موضوع الرسالة في التحقيق؟»

«لأنّ ماما أوصت المسافرين بالصمت»

«هناك مثل يقول» قال بابا، «عندما تسمع وقع حوافر، فكّر بالحصان لا بحمار الوحش. هل تعرفين معناه؟».

«أجل». تهاويتُ على الوسادة، وزفرتُ زفرة كبيرة.

«يعني أنّه عندما تحاولين حلّ مسألة ما، لا تبدئي بالحلول التي لا تُصدّق أوّلاً»

«أعرف ما يعنيه!»، حرّكتُ رأسي، لأنّني وجدتُ نفسي في بقعة لعاب.

«لقد مضت ستّة أسابيع ولم يسمع أحد منها خبراً»، قال.

«إنّها بانتظاري في مكان ما، وهذه حقيقة» قلتُ. هاجمتْ هالةٌ من الطاقة النابضة النصفَ الأيمن من وجهي، مصدرها خردةُ بابا الموجودة على الطاولة. هناك الكثير من الخردة، وهي مرتّبة بأناقة بالغة تفوق أناقة فتاة! جعلتني أصاب بالغثيان، فحاولتُ الابتعاد عنها.

«لا أعرف من أين تأتين بهذه الأفكار حبيبتي، حقّاً لا أعرف»

«بابا! ماما لم تنتحر»

«هذا لا يعني أنّها لم تسكر في إحدى الليالي لدرجة أن تسقط عن المركب»

«لن تدع ذلك يحصل»، قلتُ.

«أتكلّم عن حادث يا بي. من حيث المبدأ، لا أحد يدع الحادث يحصل»

تعالت هبّة بخار من وراء كرسيّ المكتب، كان ذلك جهاز ترطيب الجوّ الذي اشترته ماما لبابا، وهو موصول الآن بالكهرباء وتبرز منه زجاجة ماء مقلوبة رأساً على عقب، كما أراد بابا بالضبط.

«أعرف لماذا يناسبك انتحار ماما!». لم أكن أعرف أنّ هذه الكلمات عالقة في أعماقي إلى أن نطقتُها، «لأنّك كنتَ تخونها، وانتحارها ينقذكَ. الآن تستطيع أن تنطلق كي... إلخ إلخ إلخ! كانت غاضبة منكَ للغاية».

«بي، هذا ليس صحيحاً»

«أنتَ ابحث عن الأحصنة!» قلتُ، «أنت أمضيتَ كلّ حياتك في العمل، بينما قضينا أنا وماما أجمل الأوقاتِ وأمتعها معاً. ماما وأنا كرّسنا حياتنا إحدانا للأخرى، لن تقوم ماما بأيّ تصرّف مثل أن تسكر وتتمشّى بمحاذاة حافّة السفينة، لأنّ ذلك يعني أنّها لن تراني أبداً بعد الآن... وهذا يجب أن يوضّح لكَ أنّك لا تعرف عن طبيعة ماما سوى القليل! ابحث أنت عن الأحصنة يا بابا».

«أين تختبئ إذن؟!» سأل وقد بدأ يغضب، «على جبل جليد؟ فوق طوف؟ ماذا تأكل؟ كيف تتدفأ؟».

«لذلك أريد رؤية إيصال متجر الهدايا» قلتُ ببطء شديد لعلّه يفهم، «لأبرهن أنّها اشترت ملابس دافئة، إنّهم يبيعونها هنا، لقد رأيتها: معاطف وأحذية وقبّعات... كما يبيعون أيضاً ألواح الغرانولا».

«ألواح غرانولا؟!!» طفح الكيل ببابا، «ألواح غرانولا؟! هل هذا ما تستندين إليه؟!». جلد رقبته كان شفّافاً، وفيها وريد كبير ينبض. «معاطف وألواح غرانولا؟! هل خرجتِ إلى سطح السفينة؟».

«كلّا»، غمغمتُ.

وقف قائلاً: «تعالي معي».

«لماذا؟»

«أريدك أن تعرفي درجة الحرارة»

«كلّا!»، قلتُ بأقصى درجة ممكنة من الحزم، «أعرف ما هو الشعور بالبرد».

«ليس هذا النوع من البرد»، واختطف تقرير الكابتن من يدي.

«هذا لي» صحتُ، «إنّه مُلكي».

«تعالي معي ما دمتِ مهتمّة بالوقائع». جذبني من قبّعة كنزتي وجرّني جرّاً إلى الباب، وأنا أصيح: «أفلتني!»، وهو يصيح: «ستأتين معي!». تدافعنا على السلالم الضيّقة الصعبة، وصعدنا طابقاً، ثمّ طابقين آخرين ونحن نتلاسن ونتضاربُ بضراوة، لذلك استغرقنا كلانا بعض الوقت كي ندرك أنّ عيون الجميع مصوّبة علينا. كنّا في القاعة الآن، واليابانيّون جالسون إلى طاولات تغطّيها أوراق الأوريغامي، وهم يحدّقون فينا فحسب.

«هل أنتما هنا من أجل الأوريغامي؟» سأل المترجمُ اليابانيّ حائراً. من جهة، يبدو ألّا أحد من المسافرين جاء إلى الورشة، ومن جهة أخرى، من يريد أنّ يعلّم اثنين مثلنا فنَّ الأوريغامي؟!

«كلّا شكراً»، قال بابا وهو يفلتني.

ركضتُ عبر القاعة، لكنّني اصطدمتُ بكرسيّ عن طريق الخطأ. نسيتُ أنّه مثبّت بالأرض، لذلك ارتطم بأضلاعي عوضاً عن أن ينقلب، ممّا جعلني أرتدّ عنه وأصطدم بطاولة، كما بدأت السفينة بالاهتزاز علاوة على ذلك.

وقف بابا فوقي: «أين تظنّين نفسكِ...»

«لن أخرج معكَ إلى سطح السفينة!»

تحوّلنا إلى مزيج من ورق الأوريغامي والملابس الجديدة من ماركة باتاغونيا، نتصارع ونخمش ونصفع ونتعثّر نحو المخرَج. ثبّتُّ قدميّ على إطار الباب، كي لا يستطيع بابا جرّي أكثر.

«ما هي جريمة ماما بأيّ حال؟» صرختُ، «أنّ لديها مساعِدة في الهند تقضي لها شؤونها؟! ما هي سامانثا 2؟ أليست شيئاً يستعمله الناس كي يتاح لهم الجلوس واقتناء روبوت يقوم بكلّ الأمور الخرائيّة عوضاً عنهم؟! لقد قضيتَ عشر سنين من عمركَ، وأنفقتَ مليارات الدولارات، كي تخترع شيئاً يرفع عن الناس عبء القيام بمتطلّبات حياتهم. ماما وجدتْ طريقة لفعل ذلك بخمسة وسبعين سنتاً في الساعة، وها أنت ذا تحاول رميها في مستشفى المجانين؟».

«أهذا ما تعتقدينه؟»

«كنتَ نجمَ روك حقيقياً بابا، وأنت تتمشّى بين مقاعد باص مايكروسوفت»

«أنا لم أكتب هذا!»

«عشيقتكَ كتبتْه!» صرختُ، «كلّنا نعرف الحقيقة. ماما هربت لأنّك وقعتَ في حبّ إداريّة فريقك».

«سنخرج إلى السطح»

تمارين بابا كانت فعّالة على ما يبدو، رفعني بذراع واحدة كأنّني مصنوعة من خشب البَلسا، ودفع الباب باليد الأخرى وفتحه.

قبل أن يُغلق الباب، لمحتُ اليابانيّين المساكين! لم يتحرّك منهم أحد، أيادي بعضهم متجمّدة في الهواء وقد توقّفتْ عن طيّ الورق. بدت القاعة كأنّها متحف شمع فيه مجسّمات لعرض أوريغامي!

هذه أوّل مرّة أصعد فيها إلى سطح السفينة منذ أن انطلقت الرحلة. على الفور، شعرتُ بالوخز في أذنيّ، وتحوّل أنفي إلى حجر بارد حارق في نهاية وجهي. الريح تعصف بشراسة لدرجة أنّ باطن عينيّ تجمّد، وكاد خدّاي يتشقّقان.

«ونحن لم نصل إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة بعد!» صاح بابا وسط الريح، «هل تشعرين بمدى برودة الجوّ؟ هل تشعرين؟».

فتحتُ فمي، فتجمّد اللعاب داخله كأنّه كهف جليديّ. استنزفتُ كلّ طاقتي كي أبتلعه، طعمه يشبه طعم الموت.

«كيف ستبقى برناديت حيّة خمسة أسابيع في طقس كهذا؟ انظري حوللكِ! اشعري بالهواء!هذا ونحن ما زلنا بعيدين عن القارّة القطبيّة الجنوبيّة!».

سحبتُ يديّ إلى داخل الكمّين، وكوّرتُ أصابعي الخدِرة.

لوّح بابا بتقرير الكابتن في وجهي: «الحقيقة الوحيدة هي أنّ ماما كانت موجودة بأمان على متن السفينة في الخامس من كانون الثاني في الساعة السادسة مساءً، من ثمّ سكِرَتْ. البحر كان هائجاً للغاية ولم يستطيعوا الرسوّ، وهذا كلّ شيء. هل تبحثين عن حقائق؟ ها هي الحقائق: هذه الريح، هذا البرد... ها هي الحقائق».

بابا كان على حقّ، إنّه أذكى منّي وهو على حقّ. لن أعثر على ماما أبداً!

«أعطني هذا!» قلتُ، وحاولتُ اختطاف التقرير.

«لن أسمح لكِ بفعل هذا يا بي! ليس من مصلحتكِ أن تتابعي البحث عن شيء غير موجود أبداً». هزّ بابا التقرير في وجهي، فحاولتُ أن أمسكه، لكنّ أصابعي كانت متجمّدة، وعلقت يداي في الكمّين، ومن ثمّ فات الأوان: طارت جميع الأوراق إلى السماء!

«لااا! إنّها كلّ ما لديّ!» صحتُ، ومع كلّ كلمة كانت أنفاسي الجليديّة تطعن أعماق رئتيّ كالسكاكين.

«هذا غير صحيح» قال بابا، «أنا معكِ يا بي».

«أنا أكرهكَ»

ركضتُ عائدة إلى غرفتنا، وابتلعتُ قرصين من أقراص الدواء البيضاء، لا لأنّني أشعر بدوار البحر، بل لأنّني أعرف أنّها ستجعلني أنام... ونمتُ. استيقظتُ مرّة واحدة ولم أعد أشعر بالتعب، نظرتُ من النافذة، البحر أسود تتقلّب فيه أمواج صغيرة والسماء سوداء كذلك، وهناك طائر بحريّ يطفو وحيداً في الهواء. غطس شيء ما في الماء، كانت كتلة ضخمة من الجليد، دليلنا الأوّل على اليابسة المرعبة التي تنتظرنا. ابتلعتُ قرصين آخرين، وعدتُ إلى النوم.

من ثمّ، ملأت الموسيقا الغرفةَ. موسيقا خافتة جدّاً تعالت تدريجيّاً خلال دقيقتين. «سأبدأ بالرَجل في المرآة...» إنّها أغنية مايكل جاكسون التي تصدح من مكبّر الصوت كنداء للاستيقاظ، ستارة النافذة قرقعت بدورها وهي تصطدم بالجدار.

«حسناً، صباح الخير» قال مكبّر الصوت، وبعد أن صمت ذلك الصمت المعتاد الذي يبعث على التشاؤم، تابع: «بالنسبة إلى أولئك الذين لم يحظوا بمتعة إلقاء نظرة من النافذة بعد، أهلاً بكم في القارّة القطبيّة الجنوبيّة». قفزتُ عند سماع هذه الكلمات، «العديد منكم موجودون الآن على ظهر السفينة، يستمتعون بالصباح الساكن الصافي. لقد لمحنا اليابسةَ أوّل مرّة في

الساعة 6:23 عندما مررنا بمحاذاة جزيرة سنو هِلْ، ونحن متّجهون الآن إلى خليج ديسبشن».

جذبتُ حبل الستارة

وها هي: جزيرة صخريّة سوداء تكسو الثلوج قمّتها، يحيط بها الماء الأسود والسماء الفسيحة الرماديّة... نحن في القارّة القطبيّة الجنوبيّة. شعرتُ بعقدة كبيرة في معدتي لأنّ القارّة القطبيّة الجنوبيّة ستقول لي أمراً واحداً لو تكلّمتْ: أنتِ لا تنتمين إلى هنا!

«سيبدأ ركوب قوارب زودياك في الساعة 9:30» قال المذيع النيوزيلانديّ، «سيقود علماء الطبيعة وخبراء التصوير نزهاتٍ سيراً على الأقدام، كما أنّ زوارق الكاياك متوافرة لأولئك الذين يفضلّون التجذيف. درجة الحرارة هي – 39 درجة مئويّة أي ما يعادل 8 فرنهايت. نهاركم سعيد، ومرحباً بكم مجدّداً في القارّة القطبيّة الجنوبيّة».

اندفع بابا قائلاً: «لقد استيقظتِ! هل تذهبين للسباحة؟».

«السباحة؟!»

«إنّها جزيرة بركانيّة» قال، «هناك ينبوع حارّ يسخّن بقعة من الماء قرب الشاطئ. ما رأيكِ؟ هل تريدين أن نغطس في المحيط القطبيّ الجنوبيّ؟».

«كلّا». تأمّلتُ نفسي، هناك بي القديمة التي تقف هناك وتقول لي «ماذا قلتِ؟! ستعجبكِ السباحة، ستجنّ كينيدي عندما تعرف»، لكنّ بي الجديدة هي من تتحكّم بصوتي وهي من أجابت: «يمكنكَ الذهاب، بابا».

«لديّ شعور أنّك ستغيّرين رأيكِ» قال بابا بصوت مرح، كلانا نعرف أنّه مرح زائف.

مرّت الأيّام. لم أستطع تحديد الوقت لأنّ الشمس لا تغرب أبداً، لذلك اعتمدتُ على بابا. كان يقوم بضبط المنبّه على الساعة السادسة صباحاً –تماماً مثلما يفعل في المنزل– من ثمّ يذهب ليتمرّن في نادي الرياضة، بينما أستمع أنا لمايكل جاكسون ريثما يعود كي يستحمّ. لقد ابتكر طريقة بحيث يأخذ سروالاً داخليّاً نظيفاً معه إلى الحمّام، ويلبسه هناك قبل أن يخرج، ثمّ يلبس بقيّة ثيابه في الغرفة. علّق مرّة: «تبّاً! أسوأ شيء أنّني لا أستطيع إيجاد شفّاطة

الأنف في أيّ مكان!». بعد أن ينطلق لتناول الفطور، يعود بطبق من الطعام لي، ونسخة من نيويورك تايمز دايجست مكوّنة من ستّ صفحات، مكتوب في أعلاها بخطّ اليد وبأحرف كبيرة: «نسخة مخصّصة لمكتب الاستقبال حصراً. ممنوع أخذها إلى الغرف». تُطبَعُ النسخة عادة على الوجه الخلفيّ لقائمة الطعام الخاصّة بالنهار الفائت... ليتني رأيتُ أسماك البارحة، لأنّني لم أسمع بأسمائها قطّ: سمكة السّنّ، وسمكة النازلي، وسمكة الحطام، وسمكة المرجان الأحمر. خبّأتُ القائمة في حال لم تصدّقني كينيدي.

بعد ذلك يقوم بابا -ملكُ الترتيب- بارتداء ملابس الرحلة بحرص، ويطلي نفسه بالكريم الواقي من الشمس وكريمات الشفاه وقطرات العين، من ثمّ ينطلق.

سرعان ما تنقل قواربُ زودياك -وهي قوارب مطّاطيّة سوداء ذات محرّك- الركّابَ إلى الشاطئ. بعد أن ينطلق آخر واحد منها، ولا يبقى على متن السفينة سواي أنا وعمّال التنظيف، تدبّ فيّ الحياة. أذهب إلى الطابق العلويّ حيث توجد المكتبة، وهناك أتفحّص تطوّراتِ لعبة «مستوطِني كاتان» ملحميّة يلعبها بعض المسافرين. هناك مجموعة من ألعاب البَزل أيضاً، ممّا أفرحني لأنّني أحبّ تلك اللعبة، لكنّني وجدتُ داخل العلب ملاحظات تقول: «هناك سبع قطع -أو أعدادٌ أخرى- مفقودة من هذه اللعبة»، وعندها أفكّر «لماذا سألعبها إذاً؟». هناك سيّدة غيري في المكتبة أيضاً، وهي لا تنزل أبداً من السفينة -لا أعرف لماذا- ولا تتحدّث معي، كما أنّها منكبّة دائماً على كتاب «السودوكو السهلة»، وتكتب في أعلى الصفحات أسماء الأمكنة التي انتهت فيها من حلّ حزورة السودوكو على سبيل الذكرى. الأسماء كلّها كانت: القارّة القطبيّة الجنوبيّة.

في أغلب الأحيان، كنتُ أجلس في المكتبة فحسب دون أن أقوم بأيّ شيء. فيها نوافذ زجاجيّة من كلّ الجهات لذلك بوسعي رؤية كلّ ما حولنا. كلّ ما يلزمكم معرفته عن القارّة القطبيّة الجنوبيّة هو أنّها تتألّف من ثلاثة مقاطع أفقيّة: مقطع مائيّ في الأسفل يتراوح لونه بين الأسود وتدرّجات الرماديّ الداكن، فوقه مقطعٌ من اليابسة وهي عادة إمّا بيضاء أو سوداء، من ثمّ مقطع السماء التي تكون إمّا زرقاء أو رماديّة بدرجات متنوّعة. لا يوجد

عَلَمٌ خاصٌّ بالقارّة القطبيّة الجنوبيّة، ولو وُجِدَ، لا بدّ أنّه سيتكوّن من ثلاثة شرائط أفقيّة بتدرّجات رماديّة مختلفة. أمّا إن أردتَ أن تكون فنّاناً حقّاً، يمكنك تلوين العَلَم بأكمله بدرجة واحدة من اللون الرماديّ، ثمّ تكتب أنّه مؤلّف من ثلاثة شرائط رماديّة مختلفة: ماء -يابسة- سماء، لكنّ هذا سيتطلّب الكثير من الشرح.

أخيراً، يتّجه أسطول زوارق زودياك عائداً إلى السفينة. لا أستطيع تمييز زورق بابا، لأنّ الركّاب جميعهم يلبسون ملابس حمراء متطابقة، مؤلّفة من معطّف ذي قبّعة وسروال ثلج أعطوها لنا في السفينة. ربّما اختاروا اللون الأحمر لأنّه أوضح الألوان على الخلفيّة الرماديّة، أمّا أفراد طاقم السفينة الذين يرافقونهم، فيرتدون ملابس سوداء. كنتُ أعود إلى الغرفة قبل أن يصل أوّل زورق، كي يعتقد بابا أنّني أمضيتُ الوقت بالبكاء. خادمة الغرفة تترك لي دائماً منشفة ملفوفة على شكل أرنب فوق وسادتي، وكلّ يوم تزيّنه أكثر: أوّلاً ارتدى الأرنبُ - المنشفة نظّارتي الشمسيّة، ثمّ ربطات شعري، ثمّ واحدة من لصاقات الشخير «تنفّس بشكل صحيح» الخاصّة ببابا.

بعد ذلك، يندفع بابا إلى الغرفة بثيابه التي ما تزال مشبعة بالبرد، حاملاً القصص والمعلومات، ويريني الصور التي التقطها بكاميرته قائلاً إنّ الصور لا تفي الطبيعة حقّها. يذهب إلى قاعة الطعام لتناول الغداء، ويجلب لي شيئاً ما آكله، ثمّ ينطلق في رحلة ما بعد الظهر. أمتع الأوقات بالنسبة لي كانت الملخّص المسائيّ الذي أشاهده في تلفاز الغرفة، والذي يعرض ما يصوّره الغوّاصون يوميّاً في قاع البحر. اكتشفتُ أنّ ملايين المخلوقات المدهشة تعيش في هذه المياه السوداء العدائيّة، كائنات مثل خيار البحر الزجاجيّ، وديدان تغطّيها أشواك أنيقة بطول قدم، ونجوم بحر زاهية الألوان، و«مجذافيّات الأرجل» المخطّطة والمنقّطة، وكأنّها كلّها خارجة من فيلم «الغوّاصة الصفراء». السبب في أنّني لا ألقّبها بأسمائها العلميّة (ولن أفعل مطلقاً) هو أنّها لا تملك أسماء بعد، معظم هذه المخلوقات تُشاهَدُ للمرّة الأولى.

حاولتُ أن أحبّ بابا وألّا أكرهه بسبب بهجته الزائفة وطريقته في ارتداء الثياب، حاولتُ أن أتخيّل ماذا رأت فيه ماما عندما كانت مهندسة معماريّة،

حاولتُ أن أضع نفسي مكان شخص يبتهج بكلّ ما يفعله بابا مهما كان بسيطاً. كان ذلك مثيراً للحزن في الوقت نفسه، لأنّ التفكير به وبكلّ إكسسواراته يتسبّب لي بالغثيان دائماً. أتمنى لو أنّني لم أتخيّله على هيئة فتاة ضخمة، من الصعب التخلّص من هذه الفكرة ما أن تعلق في الرأس.

أحياناً يكون الأمر رائعاً لدرجة أنّني لا أصدّق كم أنّني محظوظة لأني أنا، مثلاً عندما نَمُرّ بجبال الجليد الطافية وسط المحيط. هناك أشكال غريبة منحوتة فيها، وهي عملاقة وسحريّة وعظيمة لدرجة أن أشعر بقلبي يتفتّت، على الرغم من أنّها مجرّد كتل من الجليد لا تعني شيئاً. أشاهد شواطئ سوداء مبقّعة بالثلج، وأشاهد أحياناً بطريقاً من نوع البطريق الإمبراطور العملاق ذي الخدّين البرتقاليّين، يقف وحده على جبل جليد. لا أعرف كيف وصل إلى هناك، أو كيف سينزل، أو ما إذا كان يريد النزول أصلاً. عل جبل جليد آخر أرى أسد بحر يبتسم وهو يتشمّس، ويبدو بريئاً لا يؤذي ذبابة. في الواقع، أسد البحر هو من أشرس المخلوقات على وجه الأرض، ولن يمانع أن يقفز ويقتنص إنساناً بين أسنانه الحادّة، من ثمّ يجرّه إلى المياه الجليديّة حيث يهزّه إلى أن يسلخ جلده. أحياناً كنتُ أتطلّع من حافّة السفينة إلى الكتل الجليديّة العائمة في البحر، كأنّها قطع لعبة بزل بيضاء لن تتطابق أبداً، ونحن نمرّ من بينها كأنّها مكعّبات ثلج تتصادم في كوكتيل. هناك حيتان في كلّ مكان، رأيتُ مرّة سرب حيتان قاتلة مؤلّفاً من أمّهات وأطفالها عددها يقارب الخمسين، وهي تتشقلب خلف السفينة وتنفث بخار الماء بسعادة، والبطاريق تفرّ كالذباب عبر المحيط الأسود، ثمّ تقفز إلى برّ الأمان على الجليد. إن كان عليّ الاختيار، سأقول إن ذلك هو أروع جزء من الرحلة: الطريقة التي تقفز فيها البطاريق من الماء إلى اليابسة. نادراً ما يتاح لأيّ شخص في العالم رؤية هذا، ممّا يلقي على عاتقي عبء حرصي على عدم نسيان ما رأيتُ، ومحاولتي إيجاد كلمات تصف عظمته... من ثمّ ستخطر لي فكرة ما، مثل الملاحظات التي اعتادت ماما أن تكتبها وتضعها في علبة طعامي، وكيف ترفقها أحياناً بملاحظات لكينيدي، لأنّ أمّها لا تكتب لها مثلها أبداً، وكيف كانت الملاحظات في أحيان أخرى عبارة عن قصّة تستغرق أسابيع كي تكتمل. أخيراً، أنهض من مقعدي في المكتبة، وأتفحّص ما حولنا بالمنظار،

لكنّني لم ألمح ماما أبداً. سرعان ما توقّفتُ عن التفكير بالوطن وبالأصدقاء، من أنتم عندما تسافرون على متن سفينة في القارّة القطبيّة الجنوبيّة، والليل لا يحلّ؟! أعتقد أنّ ما أقوله هو أنّني شبح على سفينة أشباح في أرض الأشباح.

ذات يوم، كنتُ أتابع الملخّص المسائيّ عندما جلب لي بابا طبقاً من الذرة المخبوزة بالجبنة، وعاد إلى القاعة. في الملخّص، قدّم أحد العلماء عرضاً عن إحصاء صيصان البطريق كجزء من دراسة جارية، من ثمّ حان الوقت لإعلان مخطّط اليوم التالي: زيارة ميناء لوكروي، وهو مركز اتّصالات سرّيٌّ بريطانيّ سابق من مخلّفات الحرب العالميّة الثانية، تحوّل الآن إلى متحف للتراث القطبيّ الجنوبيّ، يعيش فيه أشخاصٌ يديرون مكتب هدايا ومتجر بريد. شجّعنا الملخّص على شراء طوابع القارّة القطبيّة الجنوبيّة التي تحمل صورة بطريق، وإرسال الرسائل إلى الوطن!

كاد قلبي ينخلع من صدري وأنا أدور في الغرفة كالمجنونة وأردّد: آه يا إلهي!آه يا إلهي!آه يا إلهي! بانتظار أن يدخل بابا من الباب.

«حسناً، أيّتها السيّدات والسادة» صدح مكبّر الصوت، «كان ذلك ملخّصاً رائعاً. الشيف إيسي أبلغني للتوّ أنّ العشاء جاهز. شهيّة طيّبة».

طرتُ إلى القاعة، ربّما يجلس بابا هناك وهو مصعوق الآن. وجدتُ أنّ الحشد كلّه تفرّق وهناك مجموعة أشخاص ينزلون الدرج، لذلك عدتُ أدراجي ركضاً، وسلكتُ الطريق الأطول إلى قاعة الطعام، حيث وجدتُ بابا جالساً إلى إحدى الطاولات مع رجل ما.

«بي!» قال، «هل ستنضمّين إلينا لتناول العشاء؟».

«انتظر! ألم تشاهد الملخّص؟!» سألته، «ألم تسمع؟...»

«بلى، وهذا هو نيك الذي يدرس مستعمرة البطاريق. قال لي إنّه يحتاج دائماً إلى متطوّعين لعدّ الصيصان».

«مرحباً» كنتُ خائفة جدّاً من بابا في تلك اللحظة، فتراجعتُ خطوة للخلف واصطدمتُ بنادل. «آسفة... مرحبا... إلى اللقاء». استدرتُ وركضتُ بأقصى سرعة للخارج، ذهبتُ إلى غرفة الخرائط حيث توجد طاولة عملاقة فُرِشَت عليها خريطة شبه الجزيرة القطبيّة الجنوبيّة. في

كلّ يوم، يرسم أفراد الطاقم مسيرة سفينتنا بخطّ منقّط، ثمّ يمرّ المسافرون كي ينسخوا المسار بصعوبة إلى خرائطهم. فتحتُ درجاً ضخماً مسطّحاً، وبحثتُ عن خريطة رحلة ماما، وضعتُها فوق خريطة رحلتنا، وتعقّبتُ المسار بإصبعي نقطة بنقطة. دون شكّ، توقّفتْ سفينتها في ميناء لوكروي!

في الصباح التالي، بينما كان بابا في النادي الرياضيّ، خرجتُ إلى سطح السفينة. على الشاطئ الصخريّ يلوح بناء من الخشب الأسود على شكل حرف L، يشبه فندقين في لعبة مونوبولي موضوعين جنباً إلى جنب، النوافذ أفاريزها بيضاء ومصاريعها حمراء كالكرز. البطاريق متناثرة في كلّ مكان، وفي خلفيّة المشهد هناك حقلٌ مغطّى بالثلج يطلّ عليه جبلٌ كبير قمّته مستدقّة، وإلى جانبه سبع قمم أصغر منه يندمج بعضها ببعض، وكأنّها بياض الثلج والأقزام السبعة.

سبق لبابا أن سجّل اسمه للتجذيف في زوارق الكاياك مع المجموعة الأولى، من ثمّ زيارة ميناء لوكروي مع المجموعة الثانية. انتظرتُ إلى أن غادر، ثمّ نزعتُ البطاقات عن المعطف الأحمر وسروال الثلج الأحمر ولبستهما. انضممتُ إلى تيّار الركّاب وأنا أتمايل مثل رائد الفضاء على الدرج، وصولاً إلى قسم انطلاق القوارب، وهو قاعة مليئة بالخزائن، ولها فتحتان واحدةٌ في كلّ جهة، حيث ثُبّتتْ المراسي العائمة.

نزلتُ عبر مصطبة إلى زورق زودياك محرّكه يهدر.

«ميناء لوكروي؟» سألني البحّار كي يتأكّد، «هل سجّلتِ خروجكِ؟» وأشار إلى جهاز كمبيوتر، حيث مرّرتُ البطاقة الاسميّة عبر الماسح الضوئيّ. ظهرت صورتي على الشاشة مرفقة بعبارة «استمتعي بوقتكِ على الشاطئ، بالاكريشنا». غضبتُ من مانجولا التي كان عليها أن تحرص على مناداتي بـ«بي»، ثمّ تذكّرتُ أنّ مانجولا في الحقيقة هي عصابة إنترنت.

انحشر نحو اثنا عشر شخصاً بالملابس الحمراء في الزورق، مع تشارلي الذي يتحكّم بالمحرّك. معظم الركّاب من النساء اللواتي رأين ما يكفي من البطاريق، وهنّ يشعرن الآن برغبة بالتسوّق. انهالت أسئلتهنّ على تشارلي، حول ما يمكن شراؤه من لوكروي.

«لا أعرف» أجاب تشارلي بنبرة امتعاض، «تيشرتات؟».

هذه هي المرّة الأولى التي أتواجد فيها فوق الماء الجليديّ. هاجمتني الريح الشرسة من كلّ الجهات فانكمش جسدي كلّه على الفور، وكلّما تحرّكتُ لامس جلدي بقعةً باردة جديدة في بدلة الثلج، لذلك فضّلتُ أن أبقى دون حراك. أدرتُ رأسي بأقلّ مقدار ممكن، فقط بما يكفي لرؤية الشاطئ.

عجيب! كلّما اقتربنا من ميناء لوكروي أصبح المبنى أصغر فأصغر، وشعرتُ بالخوف للمرّة الأولى. زاد تشارلي سرعة المحرّك، ووجّه الزورق نحو الصخور. انزلقتُ على بطني عن الحافّة المنفوخة الكبيرة، وأوقعتُ سترة النجاة الخاصّة بي، ثمّ تعثّرتُ وأنا أركض فوق الصخور الكبيرة متجنّبة بطاريق الجِنتو المغنيّة التي تحرس أعشاشها الصخريّة، حتّى وصلتُ إلى مصطبة خشبيّة تقود إلى المدخل الذي ترفرف فوقه راية بريطانيا في الريح الرماديّة الكئيبة. كنتُ أوّل من وصل، فتحتُ الباب. هناك فتاتان في سنّ الجامعة، متحمّستان وسخيفتان نوعاً ما، رحّبتا بي:

«أهلاً بكم إلى ميناء لوكروي!»، قالتا بلكنة بريطانيّة.

الغرفة هي واحدة من تلك الأمكنة البائسة حيث تكون درجة الحرارة هي ذاتها في الداخل وفي الخارج، كما أنّها مطليّة باللون التركوازيّ: متجر الهدايا. هناك لافتات ملوّنة تتدلى من السقف، وطاولات تغطّيها الكتب والدمى المحشوّة والبطاقات البريديّة، وخزّائن زجاجيّة مليئة بالكنزات وقبّعات البيسبول، وأيّ شيء يمكن أن يُطرّز عليه بطريق.

لا أثر لماما. لكن لماذا ستكون هنا؟ هذا هو متجر الهدايا فحسب.

في آخر الغرفة هناك مخرج يقود إلى بقيّة أجزاء ميناء لوكروي، لكنّ الفتاتين البريطانيّتين تسدّانه. بقيتُ معهما وتظاهرتُ أنّني مهتّمة باللوحات الإعلانيّة، بينما تقاطر المسافرون الآخرون للداخل وهم يتأوّهون إعجاباً بالبضائع، حتّى سيّدة السودوكو انتزعت نفسها من المكتبة وجاءت إلى هنا.

«أهلاً بكم إلى ميناء لوكروي!» قالت الفتاتان بالتناوب، «أهلاً بكم إلى ميناء لوكروي!».

بدا لي وكأنّ ساعة كاملة انقضت ونحن واقفون! «أين الناس الذين يعيشون هنا؟!»سألتُهما أخيراً، «أين تقيمان أنتما؟».

«أنتِ تنظرين إلى بيتنا» قالت إحداهما، «دعونا ننتظر وصول الجميع كي نبدأ المحاضرة»، من ثمّ بدأتا مجدّداً: «أهلاً بكم إلى ميناء لوكروي!».

«لكن أين تنامان؟»، سألتُ.

«أهلاً بكم إلى ميناء لوكروي! هل بقي أحد؟ أوه، المزيد قادمون»

«هل هناك مثلاً، قاعة طعام حيث يوجد بقيّة السكّان الآن؟»

تجاهلتْني الفتاتان، «أهلاً بكم إلى ميناء لوكروي! حسناً، يبدو أنّ جميعهم هنا» ثمّ بدأت إحداهما تتلو خطاباً ترويجياً: «خلال الحرب العالميّة الثانية، كان ميناء لوكروي مركزاً سرّيّاً للجيش البريطانيّ...» توقّفتْ عن الكلام عندما دخل السيّاح اليابانيّون الذين يحيط بهم كالعادة ارتباك خفيف.

لم أعد أتحمّل أكثر! انسللتُ من بين الفتاتين الإنجليزيّتين.

وجدتُ غرفتين صغيرتين، اتّجهتُ يساراً إلى مركز قيادة عتيق الطراز، فيه مقاعد وآلات صدئة مليئة بالنوابض والأزرار، لكن ليس فيه بشر. في آخر الغرفة هناك باب مكتوب عليه «لا تفتح الباب»، مشيتُ بجانب حائط تغطّيه كتب مهترئة، وجذبتُ الباب، فأعماني الضوء الساطع: إنّه يُفتح مباشرة على حقل الثلج! أغلقته وعدتُ إلى الغرفة الثانية.

«عام 1996، موّلت الأمانة العامة البريطانيّة لتراث القطب الجنوبيّ تحويل ميناء لوكروي إلى متحف حيّ»، قالت إحدى الفتاتين.

الغرفة الثانية هي مطبخ، فيه موقد صدئ، ورفوف مليئة بحصص طعام غريبة ومعلّبات بريطانيّة. هناك أيضاً باب مكتوب عليه «لا تفتح الباب»، ركضتُ صوبه وفتحته... صدمة الثلج المؤلمة مرّة ثانية! أغلقته بسرعة، وما أن تأقلمت عيناي مع ضوء الغرفة، حتّى عدتُ إلى القسم الرئيس وحاولتُ أن أفكّر. حسناً، هناك ثلاثة أبواب فقط، الباب الأماميّ الذي دخلنا منه، والاثنان اللذان يقودان إلى الخارج...

«خلال الحرب العالميّة الثانية، كان ميناء لوكروي مقرّاً لحملة تابارين...»، تابعت الفتاتان.

«لا أفهم!» قاطعتُها، «كم عدد الأشخاص الذين يعيشون هنا؟».

«نحن الاثنتان فقط»

«لكن أين تقيمان فعليّاً؟! أين تنامان؟»

«هنا»

«ماذا تقصدين: هنا؟!»

«نفرش أكياس النوم هنا في متجر الهدايا»

«أين المرحاض؟»

«نذهب إلى الخارج و...»

«أين تغسلان الملابس؟»

«حسناً، نحن...»

«أين تستحمّان؟!»

«هكذا تعيشان!» زجرتني سائحة زرقاء العينين، يغطّي النمش وجنتيها، ويشوب اللون الرماديّ شعرها الأشقر. «لا تكوني وقحة. جاءت هاتان الفتاتان إلى هنا لقضاء ثلاثة أشهر في هذا المكان، كي تتبوّلا في سطلٍ من التنك على سبيل المغامرة».

«أحقّاً لا يوجد سواكما أنتما الاثنتان؟»، سألتُ بضعف.

«وركّاب السفن السيّاحية مثلكم عندما يزوروننا»

«إذاً، لا أحد مثلاً، نزل عن السفينة كي يعيش معكما؟» عندما سمعتُ صوت الكلمات وهي تخرج من فمي، أدركتُ أنّ الاعتقاد بوجود ماما هنا بانتظاري هو فكرة طفوليّة، لذلك انفجرتُ فجأة ببكاء طفوليّ. امتزج شعوري بالخزي مع غضبي من نفسي، لأنّني سمحتُ لآمالي بالتحليق عالياً بغباء هكذا. سال المخاط على وجهي إلى فمي وذقني، ومن ثمّ على المعطف الأحمر الجديد الذي كنّا سنحتفظ به، وهو ما أسعدني في وقت سابق.

«يا إلهي!» قالت السيّدة ذات النمش، «ما مشكلتها؟».

لم أستطع التوقّف عن البكاء. أنا محاصَرةٌ في معرض يحوي مؤن «بيميكان[1]»، صور الممثّلة دوريس داي، صناديق ويسكي، علبة شوفان كويكر صدئة تعود إلى الزمن الذي كان فيه رجل شوفان كويكر المرسوم عليها شاباً، آلات إشارة مورس، سراويل قطنيّة طويلة ذات فتحات عند

1- مزيج مكثّف من اللحم المطحون والشحم الحيوانيّ، اخترعه سكّان أمريكا الشماليّة الأصليّون، يستخدمه المستكشفون والصيّادون كمصدر للطاقة لأنّه يبقى صالحاً للأكل فترة طويلة، ولا يشغل حيّزاً كبيراً. م

المؤخرة منشورة على حبل الغسيل، وصدريّات أطفال مكتوب عليها «نادي شاطئ القارّة القطبيّة الجنوبيّة». أطرق تشارلي رأسه، وقال شيئاً ما في جهاز لاسلكيّ مثبّت بمعطفه. بدأت العديد من النسوة القلقات بالتساؤل «ما المشكلة؟»، وهي عبارة أعرف كيف أقولها باليابانيّة:

Anata wa daijo¯budesu?

شققتُ طريقي عبر الحشد المتدثّر بالملابس المصنوعة من النايلون نحو الباب الأماميّ. تعثّرتُ وأنا أسير فوق المصطبة، وعندما وصلتُ إلى أسفلها تسلّقتُ بصعوبة بعض الصخور الكبيرة إلى أبعد مكان استطعتُ الوصول إليه، حيث وجدتُ خليجاً صغيراً. ألقيتُ نظرة خلفي، لا أحد. جلستُ والتقطتُ أنفاسي. هناك فقمة «فيل» واحدة ملفوفة بشحومها الخاصّة مستلقيَة على جنبها، كيف تستطيع أن تتحرّك؟! عيناها تشبهان زرّين كبيرين أسودين، وتنزّان دموعاً سوداء، وهناك مادّة سوداء أيضاً تسيل من أنفها. أنفاسي كانت أشبه بغمامة كثيفة، وجمّدني البرد. هل سأتحرّك مجدداً؟! القارّة القطبيّة الجنوبيّة هي مكان رهيب بالفعل!

«بي، عزيزتي؟» كان بابا، «شكراً لكِ» قال بصوت خافت للسيّدة اليابانيّة التي دلّته على مكاني، ثمّ جلس وناولني منديلاً.

«ظننتُها هنا، بابا»

«أفهم لماذا خطرت لكِ هذه الفكرة»، قال.

بكيتُ قليلاً ثمّ سكتُّ، لكنّ البكاء لم يتوقّف: بابا يبكي.

«أنا أفتقدها أيضاً يا بي» قال وصدره يختلج بعنف، بابا فاشل في البكاء. «أعرف أنّكِ تعتقدين نفسكِ الوحيدة التي تفتقدها، لكنّ ماما كانت أفضل أصدقائي».

«كانت أفضل أصدقائي أنا»، قلتُ.

«عرفتها لفترة أطول منكِ»

لم يكن ما قاله طريفاً!

بما أنّ بابا يبكي الآن، شعرتُ أنّه لا يمكن لكلينا الجلوس على صخور القارّة القطبيّة الجنوبيّة ونحن نبكي. «سيكون الأمر على ما يرام، بابا»، قلتُ.

«أنت محقّة تماماً» قال وهو يتمخّط، «كلّ ذلك بدأ عندما أرسلتُ تلك الرسالة إلى د. كورتز. كنتُ أحاول مساعدة ماما لا غير، صدقّيني».

«أصدّقكَ»

«أنتِ عظيمة يا بي، لقد كنتِ عظيمة دائماً. أنتِ أهمّ إنجازاتنا»

«ليس صحيحاً»

«بلى، صحيح». لفّ ذراعه حولي وشدّني إليه، وجدتُ لكتفي مكاناً مثاليّاً تحت كتفه وشعرتُ بالدفء ينساب من إبطه، فالتصقتُ به أكثر. «خذي، جرّبي هذه»، مدّ يده داخل معطفه وأخرج اثنين من تلك الأجهزة الساخنة التي تُستَخدم لتدفئة الجيوب. انتحبتُ، لكنّني شعرتُ بشعور طيّب.

«أعرف أنّ هذه الرحلة كانت صعبة عليكِ، ولم تكن كما حلمتِ بها» قال بابا، ثمّ تنهّد تنهيدة عاطفيّة كبيرة. «يؤسفني أنّكِ اضطررتِ لقراءة تلك الملفّات يا بي، لم يكن المفروض بكِ أبداً قراءتها. في الواقع، لا يفترض أبداً بمن هو في عمر الخامسة عشرة أن يقرأها».

«أنا سعيدة لأنّني قرأتُها» قلتُ. لم أكن أعرف بوجود كلّ أولئك الأطفال في حياة ماما، وفكّرتُ أنّه عوضاً عن أن يكون لها كلّ أولئك الأبناء بدلاً منّي والذين ستحبّهم كما أحبّتْني، كنتُ أنا من بقيت حيّة، لكنّني معطوبة بسبب قلبي.

«بول جيلينك كان محقّاً» قال بابا، «إنّه رجل رائع وصديق حقيقيّ. أرغب أن نذهب ذات يوم إلى لوس أنجلس كي نقضي بعض الوقت بصحبته. إنّه أفضل من يعرف برناديت، كما أنّه أدرك حاجتها للإبداع».

«وإلّا ستسبّب الأذى للمجتمع»، قلتُ.

«لقد خذلتُ أمّكِ في هذه النقطة تحديداً» قال، «إنّها فنّانة توقّفتْ عن الإبداع. كان عليّ بذل كلّ ما في وسعي لجعلها تبدع من جديد».

«لماذا لم تقم بذلك؟»

«لم أعرف كيف! محاولة أن تجعلي فنّاناً يعود إلى حالة الإبداع هي... مهمّة ضخمة! أنا أكتب برامج الكمبيوتر، لم أفهم كيف أقوم بذلك، وما زلتُ لا أفهم. تعرفين، لقد نسيتُ –إلى أن قرأتُ مقال آرت فورم ذاك– أنّنا

استثمرنا المال الذي حصلت عليه ماما من منحة ماك آرثر لشراء سترايت غايت. كان الوضع أشبه بما يكون في أنّ آمال برناديت وأحلامها تتداعى فعليّاً من حولنا».

«لا أعرف لماذا ينتقد الجميع منزلنا؟»، قلتُ.

«هل سمعتِ يوماً أنّ الدماغ هو آليّة اختزاليّة؟»

«كلّا»

«لنقل إنّك حصلتِ على هديّة، وإنّكِ وجدتِ قلادة رائعة من الماس عندما فتحتِها. في البداية، سوف تجنّين من السعادة، وتقفزين إلى أعلى وإلى أسفل لأنّك سعيدة للغاية. في اليوم التالي، ستبعث فيكِ القلادة السعادة أيضاً لكن بمقدار أقلّ. بعد سنة، ستقولين لنفسك إن رأيتِ القلادة: آه! ذلك الشيء العتيق! الأمر مماثل بالنسبة للمشاعر السلبيّة، لنقل إنّ هناك صدعاً في زجاج سيّارتكِ الأماميّ، وإنّك منزعجة جدّاً بسببه: أوه لا، زجاج سيّارتي! إنّه محطّم! بالكاد أستطيع أن أرى من خلاله، هذه كارثة! لكنّك لا تملكين المال لإصلاحه، لذلك تستمرّين بقيادة السيّارة بوضعها الراهن. بعد شهر، سيسألكِ أحدهم: ماذا جرى لزجاج سيّارتكِ؟ وعندها ستجيبين: ماذا تقصد؟! لأنّ دماغك قام باختزال الموضوع».

«عندما زرتُ كينيدي أوّل مرّة» قلتُ، «شممتُ تلك الرائحة الرهيبة المميّزة، أمّها تقلي السمك طوال الوقت في المنزل. سألتُ كينيدي: ما هي هذه الرائحة المقرفة؟! وعندها أجابتني: أيّة رائحة؟!».

«بالضبط» قال بابا، «وهل تعرفين لماذا يقوم دماغك بالاختزال؟».

«كلّا»

«من أجل البقاء. يجب أن تكوني مستعدّة للتجارب الجديدة، لأنّ التجارب الجديدة تدلّ في كثير من الأحيان على الخطر. إن عشتِ في غابة مليئة بالأزهار الفوّاحة، يجب عليكِ أن تستيقظي من سحر رائحتها الجميلة، وإلّا لن تشمّي رائحة المفترسين... لذلك يُعتبَر الدماغ آليّة اختزاليّة، إنّها حرفيّاً مسألة حياة أو موت».

«رائع!»

«الأمر مماثل في حالة سترايت غايت» قال، «لقد اختزلنا ثقوبَ السقف والبقعَ الرطبة على الأرض والغرفَ المغلقة. أكره أن أكون من ينقل لكِ الخبر، ولكنّ الناس لا يعيشون بهذه الطريقة».

«إنّها طريقتنا نحن»

«إنّها طريقتنا نحن!» قال، ثمّ ساد صمتٌ طويل لطيف. لا يوجد سوانا، أنا والفقمة وبابا الذي يدهن شفتيه بـ «تشاب ستيك».

«كنّا مثل فرقة البيتلز يا بابا»

«أعرف أنّك تعتقدين هذا يا حلوتي»

«جدّيّاً! ماما هي جون، أنت بول، أنا جورج، وآيس كريم هي رنغو»

«آيس كريم!»، هتف بابا وهو يضحك.

«آيس كريم!» قلتُ، «ممتعضة من الماضي وخائفة من المستقبل».

«ماذا تقصدين؟»، سأل وهو يفرك شفتيه.

«شيء ما قرأتْه ماما في كتاب عن رينغو ستار. يقولون إنّه حالياً ممتعض من الماضي، وخائف من المستقبل، ممّا جعل ماما تضحك كما لم تضحك من قبل في حياتها. كلّما رأينا آيس كريم جالسة بفمها الفاغر كنّا نقول: يا لآيس الكريم المسكينة! ممتعضة من الماضي، وخائفة من المستقبل».

ابتسم بابا ابتسامة كبيرة.

«سو - لِن...» بدأتُ، لكنّ مجرّد نطق اسمها جعل الاستمرار بالكلام صعباً. «إنّها لطيفة، لكنّها تشبه خراء في الحساء».

«خراء في الحساء؟!»، قال.

«لنقل إنّك أعددت الحساء» شرحتُ له، «حساء شهيّ تريد أن تأكل منه، حسناً؟»

«حسناً»، قال.

«من ثمّ جاء شخص ما ووضع فيه قطعة ضئيلة من الخراء. حتّى ولو كانت صغيرة لا تُذكَر، وحتّى ولو امتزجتْ جيّداً، هل ستأكل منه؟»

كلّا»، أجاب بابا.

«هكذا هي سو - لِن، خراء في الحساء»

«حسناً، أعتقد أنّك تظلمينها» قال، فضحكنا كلانا.

هذه هي المرّة الأولى التي أسمح فيها لنفسي بالنظر إلى بابا منذ بداية الرحلة. كان يضع واقية أذنين من الصوف، وأنفه مغطّى بأكسيد الزنك، أمّا بقيّة وجهه فيلمع بسبب الواقي الشمسيّ ومرطّبات البشرة، فضلاً عن نظّارته الداكنة التي تشبه نظّاراتِ متسلّقي الجبال، ولها مصاريع من جانبيها. العدستان قاتمتان لدرجة أنّ الشريط اللّاصق الذي يغطّي واحدة منهما كان غير مرئيّ... في الحقيقة، لا يوجد سببٌ كي أكرهه.

«كما تعرفين» قال بابا، «لستِ الوحيدة التي تخطر لها أفكار مجنونة حول ما حصل لماما. اعتقدتُ أنّها نزلت عن السفينة، وغافلتْني بطريقة أو بأخرى عندما رأتني مع سو - لِن. هل تعرفين ماذا فعلتُ؟».

«ماذا؟»

«وظّفتُ صيّاد جوائز من سياتل كي يفتّش عنها في أوشوايا»

«حقّاً؟!» قلتُ، «صيّاد جوائز حقيقيّ؟!».

«إنّه متخصّص بالعثور على الأشخاص الهاربين خارج بلادهم» قال، «وظّفته بناء على تزكية شخص معي في العمل، وأمضى أسبوعين في أوشوايا يبحث عن برناديت. فتّش السفن القادمة والمغادِرة، والفنادق كذلك، لكنّه لم يعثر لها على أثر... من ثمّ وصل تقرير الكابتن».

«أجل»، قلتُ.

«بي» قال بحذر، «لديّ ما أقوله لكِ. هل لاحظتِ أنّني لم أُجنّ بسبب انقطاع الإيميلات؟».

«ليس تماماً» شعرتُ بالذنب، في هذه اللحظة فقط خطر لي أنّني لم أفكّر أبداً ببابا. ما يقوله صحيح، إذ إنّه يكون منكبّاً على إيميلاته عادةً.

«سيقومون بإعادة هيكلة ضخمة في الشركة، إنّهم يعلنون عنها الآن على الأغلب ونحن جالسان هنا على الصخور». تأكّد من ساعته، ثمّ سألني: «هل اليوم هو العاشر من الشهر؟».

«لا أعرف، ربّما»، أجبته.

«اعتباراً من العاشر في هذا الشهر، سيُلغى مشروع سامانثا 2»

«يُلغى؟!» لم أفهم كيف يمكن أن تُستعمل هذه المفردة هنا!

«لقد انتهى المشروع، وسينقلوننا إلى قسم الألعاب»

«تقصد مثل الإكس بوكس؟!»

«بالضبط» قال، «لقد انسحب والتر ريد بسبب تقليص الميزانية. في مايكروسوفت، أنتِ لا تساوين شيئاً إن لم تبيعي اختراعكِ، سيبيعون ملايين القطع من سامانثا 2 إن استثمروها في مجال الألعاب».

«ماذا عن كلّ أولئك المصابين بالشلل النصفيّ الذين كنت تعمل معهم؟!»

«أنا أجري مفاوضات مع جامعة واشنطن» أجاب، «آمل أن نتابع عملنا معهم. المسألة معقّدة لأنّ مايكروسوفت تملك براءة الاختراع».

«ظننتُ أنّك أنت من يملك براءة الاختراع»

«كلّا. أنا أملك المكعبّات التذكاريّة لا غير، أمّا مايكروسوفت فهي من تملك براءات الاختراع»

«إذاً، يبدو وكأنّك ستترك مايكروسوفت؟»

«لقد تركتُها. سلّمتُ شارتي في الأسبوع الماضي»

لم أرَ بابا يوماً دون شارته! غمرني حزن رهيب تسلّل من رأسي، ثمّ ملأني كلّي وكأنّني وعاء عسل على شكل دبّ. ظننتُ أنّني سأنفجر من الحزن، وكلّ ما استطعتُ التعقيب به كان: «غريب جدّاً!».

«هل الوقت ملائم كي أخبركِ بأمر ثانٍ أغرب؟!»، سأل.

«ربّما»، أجبتُ.

«سو – لِن حامل»

«ماذا؟!»

«ما زلتِ صغيرة جدّاً على فهم مثل هذه الأمور، لكنّها كانت علاقة لمرّة واحدة، كنتُ ثملاً يومها وانتهى الأمر قبل أن يبدأ. أعرف أنّ ذلك يبدو في الحقيقة... ماذا كانت الكلمة التي استعملتِها؟ مقرف؟»

«لم أقل أبداً: مقرف»

«فعلتِها لتوّك!» قال بابا، «وصفتِ بها رائحة بيت كينيدي».

«هل هي حامل حقّاً؟»

«أجل»

يا للرجل المسكين! بدا وكأنّه على وشك أن يتقيّأ.

«إذاً من حيث المبدأ» قلتُ، «حياتكَ تحطّمت». أنا أشعر بالأسف، لكنّني ابتسمتُ لسبب ما.

«لا أستطيع أن أقول إنّ تلك الفكرة لم تخطر لي» قال، «لكنّني أحاول ألّا أفكّر بالأمر على هذا النحو. أحاول تأطير المسألة على أنّ حياتي أصبحت مختلفة، حياتنا أصبحت مختلفة، أنا وأنتِ».

«إذن، سيصبح لنا أنا ولنكولن وألكساندرا أخٌ شقيق أو أختٌ شقيقة؟!»

«أجل»

«هذا عشوائيّ جدّاً»

«عشوائيّ!» قال، «أكره أن تستعملي هذه الكلمة، لكنّ الأمر عشوائيّ بالفعل».

«بابا!» قلتُ، «لقد نعتُّها بـ يوكو أونو يومَها لأنّ يوكو أونو هي من فرّقت شمل البيتلز، لا لأنّ أصولها آسيويّة. أشعر بالذنب!»

«أعرف»، قال بابا.

لحسن الحظّ أنّ الفقمة ذات العينين اللطيفتين كانت هنا كي نتأمّلها دون أن نقوم بشيء آخر، من ثمّ أخذ بابا ينقّط القطرة في عينيه.

«بابا!» قلتُ، «لا أريد أن أجرح مشاعرك ولكن...».

«لكن ماذا؟»

«لديك الكثير من الإكسسوارات، لدرجة أنّني غير قادرة على إحصائها»

«من الجيّد أنّك غير مضطرّة لإحصائها، أليس كذلك؟»

سكتنا قليلاً، ثمّ قلتُ: «أعتقد أن أكثر ما يعجبني في القارّة القطبيّة الجنوبيّة هو مجرّد التحديق إلى البعيد».

«هل تعرفين لماذا؟» سألني بابا، «عندما تركّز عيناكِ بلطف على الأفق بشكل متواصل ولفترة ما، يقوم دماغك بإفراز الإندورفينات، وهي تسبّب

شعوراً يماثل النشوة التي يشعر بها العدّاؤون. في هذه الأيّام نحن نقضي حياتنا بالتحديق إلى شاشة لا تبعد عن وجوهنا أكثر من اثني عشر إنشاً، التحديق بالأفق تغيير لطيف».

«عندي فكرة!» هتفتُ، «لِمَ لا تخترع تطبيقاً يخدع دماغك عندما تحدّق بهاتفك الخليويّ، ويجعلك تعتقد أنّك تحدّق بالأفق، وبالتالي تنتشي كالعدّائين عندما تكتب الرسائل النصيّة؟!».

«ماذا قلتِ للتوّ؟» أدار بابا رأسه كي ينظر إليّ، ودماغه يعمل بأقصى سرعة.

«لا تتجرّأ على سرقة فكرتي!» قلتُ، ودفعتُه.

«اعتبري أنّني أعلمتكِ بما أنويه»

تأوّهتُ وتركت الموضوع عند هذا الحدّ، بعدها جاء تشارلي وأبلغنا أنّ الوقت حان كي نعود إلى السفينة.

أثناء الفطور، سألني نيك الذي يعدّ البطاريق مجدّداً إن كنتُ أقبل بمساعدته، وهو ما بدا لي أمراً ممتعاً. كان علينا الانطلاق قبل الباقين في زورق زودياك خاصّ بنا، وسمح لي نيك بالوقوف عند الحافّة وتوجيه المحرّك. أفضل طريقة لوصف نيك هي أنّه لا يملك شخصيّة مهما كانت، طريقة لئيمة لكنّها صحيحة. أقرب ما قام به لامتلاك شخصيّة، كان أن طلب منّي مسح الأفق مثل ضوء الكشّاف يميناً ويساراً، يميناً ويساراً. قال لي إنّه بعد أن قاد زورق زودياك في زيارته الأولى إلى هنا، عاد إلى بلده وتسبّب على الفور بحادث سيّارة، لأنّه كان ينظر من اليسار إلى اليمين، من اليسار إلى اليمين، وانتهى به الحال وهو يصدم مؤخّرة السيّارة التي أمامه مباشرة... لكنّ هذا لا ينمّ عن شخصيّة، كان مجرّد حادث سيّارة!

أنزلني في مستعمرة لبطاريق آديلي، وأعطاني لوحاً وخارطة أقمار صناعيّة رُسِمَتْ عليها بعض الحدود. ما نقوم به اليوم هو متابعة لدراسة تمّت قبل شهر، قام فيها عالِمٌ آخر بعدّ بيوض البطاريق. مهمّتي هي أن أعرف كم بيضة فقست بنجاح.

خمّن نيك حجم المستعمرة. «يبدو أنّ التفريخ فشل فشلاً ذريعاً»، قال.

صعقني كيف قال ذلك بتلقائيّة! «ماذا تقصد بالفشل الذريع؟!»، سألته.

«بطاريق آديلي مبرمجة جينيّاً بحيث تضع بيوضها في البقعة ذاتها بدقّة، عاماً بعد عام» أجاب، «كان الشتاء أطول من المعتاد، وظلّت أراضي المستعمرة مطمورة تحت الثلج عندما قامت البطاريق ببناء أعشاشها... بالتالي لا يوجد صيصان على ما يبدو».

«وكيف تتنبّأ بذلك أصلاً؟!» بالنسبة لي، لا توجد طريقة كي أخمّن.

«أنتِ ستقولين لي» أجاب، «راقبي سلوكها، وأخبريني ماذا رأيتِ». أعطاني عـدّادة يدويّة، وانطلق إلى مستعمرة أخرى قائلاً إنّه سيعود بعد ساعتين.

بطاريق آديلي هي الأظرف على الإطلاق! رؤوسها سوداء تماماً، عدا دائرتين بيضاوين مثاليّتين تُبرِزان عيونها السوداء الصغيرة. بدأتُ من زاوية المستعمرة العلويّة اليسرى، وكبستُ العدّادة في كلّ مرّة رأيتُ فيها كرة زغب رماديّة تبزغ من بين قدميّ بطريق آديلي: طق طق طق، من ثمّ تابعتُ عبر أعلى المنطقة المحدّدة على الخريطة، ثمّ نزولاً حتّى انتهيتُ. الحرص واجب كي لا أعدّ العشّ نفسه مرّتين، صحيح أنّه أمر مستحيل نسبيّاً لأنّ الأعشاش ليست موزّعة بالترتيب، لكنّني أعدتُ العمليّة برمّتها عندما انتهيتُ، وتوصّلتُ إلى النتيجة ذاتها.

ما فاجأني في البطاريق: صدورها ليست بيضاء صافية، بل مشوبة ببقع خضراء وأخرى بلون الدرّاق. تنجم البقع بشكل أساسيّ عن بقايا الكريل[1] والطحالب المهضومة جزئيّاً، والتي تُلطّخ البطاريق عندما تتقيّأ كي تُطعم صغارها. أمر آخر: رائحة البطاريق مقرفة! كما أنّها صاخبة، تهدل أحياناً هديلاً لطيفاً، لكنّها تصرخ في معظم الأوقات. البطاريق التي راقبتها كانت تقضي معظم أوقاتها وهي تتهادى في المكان، يسرق بعضها الحجارة من أعشاش بعضها الآخر، من ثمّ تخوض قتالاً عنيفاً، وينقر بعضها بعضاً إلى أن ينفر منها الدمّ.

تسلّقتُ عالياً فوق الصخور، ونظرتُ حولي. الجليد، بكلّ أشكاله

1- Krill نوع من القشريّات يشبه القريدس لا يزيد طوله عن 6 سم. م

الممكنة، يمتدّ إلى ما لا نهاية: أنهار جليديّة، جليد يتماهى مع الشاطئ، جبال جليد، كتلٌ جليديّة تطفو في الماء الساكن... الهواء بارد جدّاً ونظيف، إلى درجة أنّ الجليد البعيد يبدو واضحاً وحادّاً، كأنّه موجود أمامي بالضبط. العظَمة، السلام، السكينة، الصمتُ الهائل... حسناً، يمكنني أن أجلس هنا للأبد!

«ما السلوكُ الذي لاحظتِه؟»، سألني نيك عندما عاد.

«البطاريق التي تقضي معظم وقتها بالشجار هي تلك التي ليس عندها صيصان»، أجبتُ.

«صحيح»، قال.

«المفروض على ما يبدو أن تعتني بصغارها في هذه الفترة، لذلك ليس أمامها ما تفرّغ به طاقتها سوى افتعال الشجارات بما أنّها لا تملك صيصاناً»، قلتُ.

«أعجبني هذا!» ثمّ تفقّد ما أنجزتُه، «يبدو جيّداً» قال، «أريد أن توقّعي باسم جون هانوك».

وقّعتُ في الأسفل على أنّني العالِم المذكور.

عندما عدنا أنا ونيك إلى السفينة، وجدْنا بابا في قسم انطلاق القوارب وهو يخلع طبقاتٍ من الملابس. مرّرتُ بطاقتي على الماسح الضوئيّ، فصدر صوت كصوت الجرس ثمّ ظهرت العبارة التالية على الشاشة: «بالاكريشنا، راجعي الإدارة من فضلك». امم! أعدتُ الكرّة، جرسٌ آخر. «هذا لأنّكِ لم تسجّلي خروجكِ» قال نيك، «وفقاً للكمبيوتر، أنتِ ما تزالين على متن السفينة». «حسناً سيّداتي وسادتي» قال مكبّر الصوت الموجود في السقف، ثمّ صمتَ صمتاً طويلاً. «نأمل أنّكم استمتعتم بالرحلة الصباحيّة، وأنّكم الآن جائعون. تُقدّم المشاوي الأرجنتينيّة الآن في قاعة الطعام». وصلتُ إلى منتصف الدرج وعندها انتبهتُ أنّ بابا لم يرافقني، ما يزال واقفاً أمام الماسح الضوئيّ والحيرة تعلو وجهه.

«بابا!» ناديته. أعرف أنّ الجميع سيندفعون للوقوف في الصفّ أمام البوفيه، ولم أرغب أن أعلق في آخره.

«حسناً، حسناً» قال بابا، وهكذا سبقْنا الحشدَ الذي ينتظر الغداء.

لا توجد رحلة مسائيّة اليوم، لأنّ علينا اجتياز مسافة كبيرة ولا وقت للتوقّف. ذهبنا أنا وبابا إلى المكتبة كي نبحث عن لعبة نلعبها، وهناك وجَدنا نيك وأعطاني بعض الأوراق. «ها هي نسخ من البيانات التي جمعتِها اليوم ومن البياناتِ السابقة، إن كنتِ مهتمّة بالاطلاع عليها». ربّما هذه هي شخصيّته إذن: لطيف!

«رائع!» قلتُ، «هل تنضمّ إلينا في لعبة؟».

«كلّا، عليّ أن أحزم أمتعتي»، أجاب.

«مؤسف جدّاً» قلتُ لبابا، «أريد أن ألعب لعبة ريسك، لكنّها تتطلّب ثلاثة لاعبين».

«نحن نلعب معكِ» قال صوت فتاة بريطانيّة خلفي: إنّهما البنتان من ميناء لوكروي! هناك بطاقة مكتوبة بخطّ اليد مثبّتة على قميص كلّ منهما، تحمل الاسم إضافة إلى عبارة «اسألوني عن ميناء لوكروي». لقد أخذتا حمّاماً للتوّ، والابتسامات البرّاقة تعلو وجهيهما.

«ماذا تفعلان هنا؟!»، سألتُ.

«لن تزور أيّة سفينة ميناءَ لوكروي خلال اليومين القادمين...» قالت ڤيڤيان.

«لذلك سمح لنا الكابتن بقضاء الليلة في أليغرا»، أكملت آيرِس.

يبدو أنّهما تشعران برغبة ملحّة بالثرثرة، وكأنّهما سائقتا سيّارة سباق تحاول كلّ منهما قطع الطريق على الأخرى. لا بدّ أنّ السبب يعود إلى افتقادهما للصحبة في ميناء لوكروي.

«كيف ستعودان؟»، سألتُهما.

«طرأ تغيير على الخطط بخصوص نيك...»، بدأت ڤيڤيان.

«لذلك لا توجد رحلة مسائيّة...»، أكملت آيرِس.

«يجب أن توصله أليغرا إلى بالمر»، قالت ڤيڤيان.

«وبالتالي سيتقاطع مسارها مع مسار السفينة التالية التي ستزور ميناء لوكروي، وسننتقل أنا وڤيڤيان إلى تلك...»

«شركة السياحة ترغب بإبقاء الموضوع سرّاً مع ذلك...»

«يحبّون أن يعطوا المسافرين انطباعاً أنّهم معزولون في المحيط القطبيّ الجنوبيّ الشاسع، لذلك يتمّ نقل أفراد الطاقم دائماً بعد منتصف الليل...»

«سيسعدكِ أن تعرفي أنّنا أخذنا حمّاماً!»، قالت ڤيڤيان، ثمّ انفجرت الاثنتان بالقهقهة وانتهى سباق الثرثرة.

«آسفة حقّاً إن كنتُ وقحة»، قلتُ.

نظرتُ إلى بابا، إنّه ذاهب إلى غرفة قيادة السفينة. لم أندهه لأنّه يعرف استراتيجيّتي في لعبة ريسك، وهي احتلال أستراليا منذ البداية. صحيح أنّ أستراليا صغيرة، لكنّ هناك طريقاً واحداً للدخول إليها والخروج منها. إن لم تكن ملكاً لك، ستدخلها عندما يحين الوقت لاستعمار العالَم وسيُحاصَر جيشكَ فيها إلى أن يحين دورك في اللعبة مرّة أخرى، بينما يبتلع اللاعب التالي الجيوشَ المتفرّقة التي خلّفتها في مسارك.

قبل أن يعود بابا، قامت كلّ منّا بسرعة بانتقاء اللون الذي تريده، ووزّعنا جيوشنا، ثمّ اختطفتُ أستراليا بعد أربع نقلات.

لعبة ريسك مع هذين البنتين ممتعةٌ جدّاً! لم أرَ أسعد منهما في حياتي كلّها، هذا ما يفعله حمّامٌ ساخن واستعمال مرحاض حقيقيّ! قصّت عليّ ڤيڤيان وآيريس قصّة طريفة، مفادها أنّهما كانتا جالستين ذات يوم بين السفن السياحيّة في ميناء لوكروي، عندما وصل يختٌ فاخر ضخم اسمه «الأخطبوط»، تعود ملكيّته لبول آلن الذي نزل منه برفقة توم هانكس، وطلب من الفتاتين اصطحابهما في جولة. سألتُهما إن تمكّنتا من أخذ حمّام على متن «الأخطبوط»، فأجابتا أنّهما خافتا من طرح السؤال.

جاءت السيّدة ذات النمش التي نعتتني بالوقحة في ميناء لوكروي، وجلست بالقرب منّا وبيدها كتاب. رأتنا ونحن نضحك، وكأنّنا أصدقاء منذ الأزل.

«مرحبا!!!»، قلتُ لها وكأنّني قطّة كبيرة تبتسم.

قبل أن يتسنّى لها أن تردّ، صدح مكبّر الصوت: «حسناً، مساء الخير»، وأعلن عن سرب حيتان –سبق لي أن لمحتُه– يسبح أمام السفينة. بعد عدّة

عبارات «مساء الخير» أخرى، أعلن عن محاضرة في التصوير الفوتوغرافيّ من ثمّ عن العشاء، وبعدها عن فيلم «مسيرة البطاريق»، لكنّنا لم نرغب بإنهاء اللعبة، لذلك تبادلنا الأدوار بالركض إلى قاعة الطعام، وجلب الأطباق إلى المكتبة. مع كلّ إعلان يذيعه مكبّر الصوت، يطلّ رأس بابا ويشجّعني بإيماءة من خلال النافذة، فأردّ عليه بإيماءة مماثلة.

الشمس ما تزال ساطعة، والطريقة الوحيدة للحكم على مرور الوقت كانت رؤية الآخرين يغادرون المكتبة. سرعان ما توقّف بابا عن الظهور، وبقينا نحن الثلاثة فقط نلعب ريسك. لا بدّ أن ساعات انقضت! لا يوجد أحد الآن سوانا نحن وطاقم التنظيف، من ثمّ بدا لي أنّ مكبّر الصوت يعلن عن «حسناً، مساء الخير» من جديد، لكنّني لم أكن متأكّدة بسبب صوت المكنسة الكهربائيّة. ظهر المسافرون بعيونهم الناعسة على سطح السفينة، وهم يلبسون المعاطف فوق البيجامات ويحملون الكاميرات.

«ما الذي يجري؟» سألتُ، إنّها الثانية فجراً.

«أوه! لا بدّ أنّنا في بالمر!» قالت ڤيڤيان وهي تهزّ يدها. إنّه دورها الآن، وهي توشك على احتلال أوروبا.

تدفّق المزيد من الناس إلى السطح، ولم أستطع الرؤية من فوق رؤوسهم. أخيراً، وقفتُ على كرسيّ. «أوه يا إلهي!»، هتفتُ.

أمامنا مدينة صغيرة، إن كان بإمكاننا إطلاق هذا الاسم على مجموعة من حاويات الشحن وبضعة أبنية من الصفيح المحزّز. «ما هذا المكان؟»، سألتُ.

«إنّها بالمر»، قالت آيريس.

بالمر هي اختصار لـ «محطّة بالمر». عندما قال نيك إنّ عليه حزم أمتعته، وقالت آيريس إنّ أليغرا ستنزله في بالمر، ظننتُ أنّه ذاهب لعدّ البطاريق في جزيرة ما.

«سيتمركز نيك هنا طوال الشهر القادم»

أنا أعرف كلّ شيء عن المواقع الثلاثة في القارّة القطبيّة الجنوبيّة التي يمكن للأمريكيّين العيشُ فيها: محطّة ماك موردو التي تبدو كمزبلة مقرفة يعيش فيها ألف شخص، والقطب الجنوبيّ بالطبع، لكنّه يقع في عمق القارّة

ومن المستحيل الوصول إليه، ويعيش فيه عشرون شخصاً. أخيراً، هناك محطّة بالمر التي يعيش فيها نحو خمسة وأربعين شخصاً. كلّ المواقع الثلاثة مأهولة بالعلماء وطواقم الدعم. سبق لي أن تحقّقتُ من مسارنا في غرفة الخرائط، وسألتُ الكابتن الذي أكّد لي: سفينة أليغرا لا تتوقّف أبداً في محطّة بالمر.

مع ذلك، ها نحن في بالمر!

«هل سننزل؟»، سألتُ الفتاتين.

«أوه كلّا!»، أجابت آيريس.

«فقط العلماء» أضافت ڤيڤيان، «إنّهم يديرون عمليّة حصريّة».

اندفعتُ إلى سطح السفينة، هناك بضعة زوارق زودياك تروح وتجيء عبر مسافة المئتي ياردة التي تفصل سفينتنا عن بالمر، ونيك يبتعد عنّا في زورق محمّل بالمبرّدات وصناديق الطعام.

«من هؤلاء الناس الذين يصعدون إلى السفينة؟»، تساءلتُ بصوت عالٍ.

«إنّه تقليد هنا» أجابنا تشارلي عالم الطبيعة الذي كان واقفاً إلى جواري، «نحن نسمح لعلماء محطّة بالمر بالصعود إلى أليغرا لاحتساء شراب».

لا بدّ أنّ النظرة التي علت وجهي جعلته يضيف بسرعة: «كلّا! يقدّم الناس طلباتهم قبل خمس سنوات للقدوم إلى محطّة بالمر. الأسرّة والمؤن محدودة للغاية، ولا ينتهي الحال بالأمّهات من سياتل في بالمر بنزوة مفاجئة! آسف أنّني هكذا، لكن... تعرفين!».

«بي!» همس صوتٌ متحمّس. إنّه بابا! كنتُ أعتقد أنّه نائم لأنّها الثانية فجراً، وقبل أن يتسنّى لي الكلام قادني إلى أسفل الدرج. «خطرت لي الفكرة عندما رفض الماسح الضوئيّ بطاقتكِ» قال بصوت مرتجف، «ماذا لو أنّ برناديت غادرت السفينة دون أن تسجّل خروجها؟! ستُظهر البطاقة أنّها ما زالت على متن السفينة، وبالتالي سنستنتج جميعنا تلقائياً أنّها وقعت في البحر عندما اختفت. لكنّها لو نزلت عن السفينة في مكان ما دون أن تسجّل خروجها، ربّما ما تزال موجودة في ذلك المكان؟».

فتح بابا بابَ القاعة التي أخذت تمتلئ شيئاً فشيئاً بأشخاص مظهرهم مهلهل: علماء محطّة بالمر.

«آخر مكان نزلت فيه ماما كان ميناء نيكو» قلتُ وأنا أحاول استجماع أفكاري، «ومن ثمّ صعدت إلى السفينة مجدّداً».

«استناداً للمسح الضوئيّ لبطاقتها» شرح لي بابا مرّة أخرى، «لكن ماذا لو أنّها تسلّلت خارج السفينة فيما بعد؟ دون أن تسجّل خروجها؟ لقد كنتُ في البار لتوّي، وجاءت سيّدة طلبت مشروب البطريق الورديّ».

«البطريق الورديّ؟!» بدأ نبض قلبي يتسارع. إنّه المشروب المذكور في تقرير الكابتن!

«تبيّن لي أنّ السيّدة عالمة من محطّة بالمر» قال بابا، «والبطريق الورديّ هو مشروب العلماء الرسميّ».

تفحّصتُ وجوه القادمين الجديد، كلّهم يافعون ومظهرهم رثّ، كأنّ جميعهم يعملون في شركة آر. إي. آي[1]، وكلّهم يضحكون، لكنّ وجه ماما ليس بينهم.

«انظري إلى ذلك المكان!» قال بابا، «لم أعرف أنّه موجود أصلاً».

ركعتُ على مقعد بجوار النافذة ونظرتُ إلى الخارج. هناك سلسلة من ممرّات المشي حمراء اللون تصل بين المباني المعدنيّة الزرقاء، وأكثر من عشرة أعمدة كهرباء، وحوض مياه مرسوم عليه حوت قاتل. إلى جوار المحطّة ترسو سفينة عملاقة برتقاليّة اللون لا تشبه السفن السياحيّة، بل تلك الصناعيّة التي ترسو دائماً في خليج إليوت.

«وفق تلك العالِمة، محطّة بالمر هي درّةُ القارّة القطبيّة الجنوبيّة» قال بابا، «حتّى إنّ لديهم طاهياً محترفاً ممتازاً! يا إله السماوات!».

تحتنا، تروح زوارق زودياك وتجيء بين سفينتنا وبين الشاطئ الصخريّ.

1- Recreational Equipment, Inc شركة أمريكيّة معروفة بـREI، تبيع المعدّات الرياضيّة ولوازم الرحلات والتخييم والملابس، كما تنظّم رحلات سياحيّة وعطلات في الطبيعة. م

واحد منها يحمل مانيكاناً يشبه إلڤيس بريسلي، يقوم علماء الطبيعة بتصويره بكاميرات الڤيديو وهم يصفّرون ويزعقون. من يدري؟ ربّما كانت هذه مزحة خاصّة بهم هنا!

«إذن، كؤوس البطريق الورديّ التي ذكرها تقرير الكابتن كانت...»، قلتُ، ما زلتُ أحاول جمع الأجزاء معاً.

«لم تكن من أجل برناديت» قال بابا، «لا بدّ أنّها كانت لعالم ما -مثل نيك- أنزلوه في محطّة بالمر بعد أن أصبح صديقاً لماما».

ما زلتُ عالقة عند أمر واحد: «لكنّ سفينة ماما لم تقترب من محطّة بالمر...» ثمّ خطر لي: «أعرف أين يمكننا أن نتحقّق!».

ركضتُ خارج القاعة إلى أسفل الدرج، ومن ثمّ إلى غرفة الخرائط، وبابا يجري في أعقابي. خريطة شبه الجزيرة القطبيّة الجنوبيّة مفروشة على الطاولة الخشبيّة اللمّاعة، وعليها خطّ منقّط أحمر يمثّل مسار رحلتنا. فتحتُ الدرج، وفتّشت بين الخرائط حتّى عثرتُ على خريطة رحلة السادس والعشرين من كانون الأوّل.

«هذه هي رحلة ماما» وضعتُها على الطاولة، وثبّتُّ زواياها الأربع بأثقال نحاسيّة. تتبّعتُ الخطّ المنقّط الأحمر الذي يمثّل مسار رحلة ماما: بعد أن غادروا تييرا ديل فوغو، توقّفت أليغرا في جزيرة ديسبشن كما فعلنا، من ثمّ اتّجهت إلى الأعلى، ودارت حول شبه الجزيرة القطبيّة ومضت إلى عمق بحر ويدِل، ثمّ استدارت عائدة إلى ميناء نيكو وجزيرة أديلايد، وبعدها استدارت وعادت أدراجها عبر مضيق برانسفيلد، وصولاً إلى جزيرة الملك جورج، من ثمّ إلى أوشوايا. لم تقترب رحلة ماما من بالمر، ذلك غير ممكن!

«ما هذا؟» أشار بابا إلى شحطات رماديّة تتقاطع مع الخطّ الأحمر المنقّط في ثلاثة أماكن مختلفة.

«تيّارات بحريّة أو شيء ما»، خمّنتُ.

«كلّا ليست تيّارات!» قال بابا، «انظري، كلّ منها يحمل رمزاً...».

بالفعل! الشحطات الرماديّة تحمل إمّا ندفة ثلج أو جرساً أو مثلّثاً.

«أين مفتاح الخريطة؟»

وها هو المفتاح في الزاوية السفليّة اليسرى، حيث قرأنا ما يلي إلى جوار الرموز السابقة: سيتكا ستار ساوث، لورنس إم. غولد، أنتارتيك آڤالون.

«لورنس إم. غولد ليس اسماً غريباً»، قلتُ.

«تبدو لي أسماء سفن»، قال بابا.

«من أين أعرف الاسم؟!»

«بي!» قال بابا بابتسامة عريضة، «انظري إلى الأعلى».

رفعتُ رأسي. خارج النافذة، رأيت السفينة العملاقة بهيكلها البرتقاليّ، والتي كُتِب عليها بأحرف طباعيّة زرقاء: آرڤي لورنس إم. غولد.

«لقد تقاطع مسارها مع رحلة ماما!» قال بابا، «وانظري أين هي الآن!».

خفتُ حتّى من نطق ما أفكر به!

«إنّها هنا يا بي!» هتف بابا، «ماما هنا».

«بسرعة» قلتُ، «دعنا نذهب ونسأل أحد أولئك الناس في القاعة...».

قبض بابا على ذراعي قائلاً: «كلّا! إن اكتشفت ماما أنّنا سألنا عنها ربّما تختفي من جديد».

«بابا! نحن في القارّة القطبيّة الجنوبيّة، أين يمكنها أن تذهب؟!»

نظر إليّ نظرة تقول: حقّاً؟!!

«حسناً، حسناً، حسناً» قلتُ، «لكن لا يُسمَح للسيّاح بالنزول، كيف...».

«سنسرق زورق زودياك، لدينا أربعون دقيقة بالضبط»، أجابني.

عندها فقط انتبهتُ أنّه يحمل معطفينا الأحمرين. شدّني من يدي، ونزلنا ثلاثة طوابق حتّى وصلنا إلى قسم انطلاق الزوارق.

«كيف حالكما اليوم؟» حيّتنا فتاة تجلس خلف الكاونتر، «هل حلّ الصباح؟! أجل بالفعل!»، وعادت إلى الأوراق أمامها.

«سنصعد إلى أعلى»، قال بابا بصوت عالٍ. دفعتُه خلف مجموعة من الخزائن، «أعطني هذين» قلتُ، وحشرت المعطفين في خزانة فارغة، ثمّ أخذت بابا إلى القسم المخصّص للطاقم والذي سبق أن دخلته مع نيك. هناك صفّ من المعاطف السوداء معلّقة على الحائط، «البس واحداً منها...» همستُ.

مشيتُ إلى المرسى الطافي حيث يوجد زورق زودياك مربوط. البحّار الوحيد هناك كان فيليبينياً اسمه وفق بطاقته هو: جاكو.

«لقد سمعتُ البحّارة يتحدّثون» قلتُ له، «السفينة تلتقط إشارات الأقمار الصناعيّة من محطّة بالمر، لذلك ذهب جميعهم إلى غرفة القيادة كي يتّصلوا مجّاناً بالوطن».

اختفى جاكو فوراً وهو يقفز درجتين على السّلم. همستُ لبابا: «الآن!»،ولبستُ معطفاً عملاقاً من معاطف الطاقم، طويتُ كمّيه إلى الأعلى. أخذنا سترتي نجاة، وتسلّقنا إلى القارب. فككتُ الحبل من الوتد، وكبستُ زرّاً في المحرّك فبدأ يهدر. خرجنا من أليغرا، وانطلقنا فوق الماء الأسود المتلألئ.

ألقيت نظرة إلى الخلف.عاد معظم الركّاب إلى الداخل، وبقي القليل منهم على ظهر السفينة وهم يلتقطون الصور. سيّدة السودوكو تجلس في المكتبة، ڤيڤيان وآيريس تلعبان ريسك وتنظران من النافذة، ومعظم الستائر مسدلة. باعتقاد من في السفينة، أنا وبابا ننعم بالراحة على متنها الآن.

«اخفضي رأسكِ!» قال بابا، هناك زورق زودياك قادم باتّجاهنا. «أنتِ أصغر حجماً بكثير ممّا يفترض بشخص يركب هذا الزورق!»، ثمّ جلس أمام المحرّك وأمسك الدفّة. «انبطحي!» أمرني.

استلقيتُ على بطني في قعر الزورق. «اخلع نظّارتكَ الغبيّة!» قلتُ له. بابا يلبس نظّارته الشفّافة، والشريط اللّاصق مرئيّ الآن بوضوح فوق العدسة.

«تبّاً!» دسّ نظّارته في جيبه بحركة خرقاء، ورفع سحّاب معطفه إلى ما فوق أنفه.

«من القادم باتّجاهنا؟ هل يمكنك رؤيته؟»، سألتُ.

«فروغ، جيلي، وكارِن» قال من بين أسنانه. «سأنحرف قليلاً إلى هذه الجهة دون مبالغة، كي أترك بعض المسافة بيننا وبينهم»، ثمّ لوّح لهم.

شعرتُ بزورقهم يمرّ بمحاذاتنا.

«حسناً، نحن بأمان» قال، «أنا الآن أبحث عن مكان للرسو».

استرقتُ نظرة فوق الحافّة المطاطيّة، نحن وسط محطّة بالمر. «ما عليك إلّا أن تندفع بالزورق بسرعة فائقة فوق الصخور...»، قلتُ.

«كلّا، لا يجب أن تفعلي ذلك...»

«بلى، يجب» قلتُ وأنا أقف، «بأقصى سرعة».

نفّذ بابا ما قلتُه، وإذ بي أُقْذَفُ فجأة فوق الحافّة المطّاطيّة. تمسّكت بالحبال التي تحيط بها قبل أن يرتطم جسدي بالقارب من الخارج. علقتْ قدماي وإحدى ركبتيّ بين المطّاط القاسي والشاطئ الصخريّ. «آخخخخخ!!»، صرختُ.

«بي! هل أنتِ بخير؟!»

في الواقع، لم أكن بخيرٍ أبداً لكنّني أجبته: «أنا على ما يرام». حرّرتُ نفسي، ووقفتُ مترنّحة.

«آه! لا!» قال بابا، لقد استدار قارب الزودياك الآخر وعاد باتّجاهنا، ركّابه يصرخون ويلوّحون لنا. اختبأتُ خلف زورقنا.

«اذهبي»، قال بابا.

«إلى أين؟!»

«فقط اعثري عليها» أجابني، «أنا سأؤخّرهم. سفينتنا تغادر عند الثالثة فجراً، أي بعد ثلاثين دقيقة بالضبط من الآن. اعثري على شخص ما، اسألي عن ماما، إمّا أن تكون هنا أو لا. إن كنتِ تريدين العودة، عليك أن تتّصلي باللاسلكيّ بسفينتنا في الساعة 02:50 هل فهمتِ؟ 02:50؟».

«ماذا تقصد إن كنتُ أريد العودة؟!»

«لا أعرف ماذا أقصد»، أجاب بابا.

أخذتُ شهيقاً عميقاً، وحدّقتُ بالدرب المتعرّج الوعر.

«احرصي على...» مدّ بابا يده إلى جيبه، وسحب كيساً مخمليّاً صغيراً أسود اللون، مربوطاً بشريط من الحريرالذهبيّ. «احرصي على إعطائها هذا»، قال.

دون أن أودّعه، تسلّقتُ الدرب وأنا أعرج. معظم الإسفلت الذي يغطّيه

تآكل مع مرور الزمن. توجد على يميني وعلى يساري حاويات شحن ضخمة مطليّة بتدرّجات مختلفة من اللون الأزرق، ومطبوعة عليها إشاراتُ: ريفر، فولاتايل، فلام لوكر، كور لوكر، ذه بات كايڤ. هناك منصّات خشبيّة نُصِبَت عليها خيام لها أبواب حقيقيّة، وتحمل رايات مضحكة كراية قرصان أو بارت سمبسون. الشمس مشرقة، لكنّني في الواقع أمشي في هدأة الليل. كلّما تقدّمتُ أصبحت المباني أكثر عدداً، وهي موصولة بعضها ببعض بما يشبه أقفاص الهامستر من الجسور الحمراء وحزم الأنابيب. إلى يساري رأيتُ حوضاً زجاجيّاً فيه أخطبوط ونجمة بحر ملتصقان بالزجاج، ومخلوقات بحريّة غريبة تشبه تلك التي أراها في الملخّص المسائيّ. رأيتُ كذلك صهريجاً كبيراً من الألمنيوم، إلى جواره لافتة تحمل كأس مارتيني وعبارة: «ممنوع منعاً باتّاً وضعُ الحاويات الزجاجيّة بالقرب من الحوض الساخن».

وصلتُ إلى درج المبنى الرئيس، وتجرّأتُ على إلقاء نظرة إلى الخلف بعد أن قطعتُ نصفه. لقد رسا قارب الزودياك الآخر بالقرب من بابا، وتسلّق أحد ركّابه زورقنا. من الواضح أنّ هناك شجاراً يدور، لكنّ بابا ظلّ متمركزاً عند المحرّك، ممّا يعني أنّ الباقين يديرون ظهورهم لي. لم يكتشف أحد وجودي حتّى الآن.

فتحتُ الباب، فوجدت نفسي وحيدة في غرفة كبيرة دافئة مفروشة بالسجّاد، فيها صفّ من طاولات النزهات المصنوعة من الألمنيوم، ورائحتها تشبه رائحة حلبة تزلّج على الجليد. أحد الجدران مكرّس لرفوف مليئة بأقراص DVD، في الخلف هناك كاونتر ومطبخ مفتوح تجهيزاته من الستانلس ستيل، كما يوجد لوح مخصّص لأقلام الحبر القابل للمحو، كُتِبَ عليه: أهلاً بك في المنزل يا نيك.

تعالت ضحكات من مكان ما، فاندفعتُ عبر القاعة وبدأتُ أفتح الأبواب. هناك غرفة لا تحتوي سوى على أجهزة ووكي – توكي موصولة بشواحن الكهرباء، وفيها لافتة ضخمة تقول: «ممنوع إدخال أكواب القهوة، ما عدا كوب لجويس». الغرفة التالية فيها مقاعد وأجهزة كمبيوتر وأسطوانات أوكسجين، وفي غرفة ثالثة رأيت آلات علميّة غريبة، من ثمّ وجدتُ الحمّام. سمعتُ أصواتاً تنبعث عند الزاوية فركضتُ صوبها، لكنّني تعثّرتُ...

على الأرض، فوق كيس قمامة مفرود، هناك قدر سباغيتي يوجد داخله تيشرت يحمل صورة مألوفة: قوس قزح مطبوع يدويّاً! انحنيتُ والتقطته من الماء الرماديّ البارد. إنّه تيشرت غايلر ستريت!

«بابا!» صرختُ، «بابا!»، وركضتُ عبر القاعة إلى حيث توجد النوافذ. قاربا الزودياك ينطلقان، كلاهما الآن يبتعدان عن محطّة بالمر باتّجاه سفينتنا، وبابا على متن أحدهما.

خلفي، سمعتُ من يقول: «أيّتها اللئيمة الصغيرة!».

إنّها ماما! وتلبس بنطال كارهارت وكنزة صوف.

«ماما!» انهمرت الدموع من عينيّ وركضتُ صوبها، فركعتْ على ركبتيها. عانقتها بقوّة ودفنتُ جسدي في جسدها. «لقد عثرتُ عليكِ!»، قلتُ.

كان عليها أن تسندني بذراعيها، لأنّني تهاويتُ عليها بكلّ ثقلي. حدّقتُ بوجهها الجميل، وهي تتفحّصني بعينيها الزرقاوين كما اعتادت أن تفعل دائماً.

«ماذا تفعلين هنا؟!» قالت، «كيف وصلتِ؟!» ارتسمت تجاعيد وجهها كأشعّة الشمس حول عينيها المبتسمتين، ورأيتُ شريطاً عريضاً من اللون الرماديّ يمتدّ على طول مفرق شعرها.

«انظري إلى شعركِ!»، قلتُ.

«كدتِ أن تقتليني!» قالت، هل تعرفين ذلك؟!»، ومن ثمّ ما بين الدموع والحيرة سألتني: «لماذا لم تكتبي لي رسالة؟!».

«لم أكن أعرف أين أنتِ!»، أجبتُ.

«ورسالتي؟!»، قالت.

«رسالتكِ؟!»

«أرسلتُها لكِ قبل أسابيع»

«لم تصلني رسالتكِ الغبيّة أبداً!» قلتُ، «خذي، هذا من بابا» وناولتُها الكيس المخمليّ. عرفتْ ماذا يوجد بداخله قبل أن تفتحه، ضغطتْه على خدّها وأغمضت عينيها.

«افتحيه!» قلتُ.

فكّت ماما الشريط الذهبيّ، وأخرجت من الكيس قلادة تحمل صورة. إنّها قلادة القدّيسة برناديت التي أهداها إيّاها بابا بعد أن ربحت جائزة الهندسة المعماريّة تلك، وهذه أوّل مرّة أراها.

«ما هذه؟!» أخرجت ماما بطاقة من الكيس، وأمسكتها بعيداً عن وجهها، «لا أستطيع قراءتها».

أخذتها من يدها وقرأتُ بصوت عالٍ:

1. بيبر بايفوكال.
2. منزل العشرين ميلاً.
3. بي.
4. هروبكِ

ما زال هناك 14 معجزة قادمة.

«إيلجي!» قالت ماما، وابتسمت ابتسامة حلوة هادئة.

«عرفتُ أنّني سأعثر عليكِ!» قلتُ، وعانقتُها بقوّة أكثر. «لم يصدّقني أحد، لكنّني عرفتُ أنّني سأجدكِ».

«رسالتي» قالت ماما، «إن لم تصلكِ أصلاً...» باعدت بين ذراعيّ ونظرت إلى وجهي، وتابعت: «بي، لا أفهم! كيف وصلتِ إلى هنا إن لم تستلمي رسالتي؟!».

«فعلتُ الأمر بطريقتكِ» قلتُ، «هربتُ بعيداً».

الجزء السابع

الأرنوب الهارِب

الاثنين 21 شباط

في أوّل يوم عدتُ فيه إلى غايلر ستريت، توقّفتُ في طريقي إلى صفّ الموسيقا عند خزانتي. إنّها مليئة بالملاحظات التي تعود إلى الأشهر السابقة، وهناك مغلّف محشور ما بين منشورات «تحدّي إعادة تدوير المهملات» ومنشورات «يوم القدوم إلى المدرسة بالدرّاجة الهوائيّة». المغلّف مختوم وموجّه إليّ عبر مدرسة غايلر ستريت، وعنوان المرسل هو شركة مقاولات في دنفر، أمّا الكتابة فبخطّ يدِ... ماما!

شاهدت كينيدي النظرة على وجهي وبدأت تلحّ: «ما هذا؟ ما هذا؟». لم أشأ أن أفتح المغلّف أمامها، لكنّني لم أكن قادرة على فتحه وحيدة، لذلك ركضتُ عائدة إلى غرفة الصفّ.

كان مستر ليڤي واقفاً مع بعض الأساتذة الذين سيذهبون إلى ستار باكس خلال استراحتهم، لكنّه أشار إلى الباقين أن يسبقوه عندما رآني. أغلقنا الباب، وحاولتُ أن أخبره بكلّ ما حدث دفعة واحدة: التدخّل العلاجيّ، أودري غريفن التي أنقذت ماما، شوت، شريكتي في السكن التي لم تستلطفني، القارّة القطبيّة الجنوبيّة، طفلُ سو – لِن، العثور على ماما... والآن هذه: الرسالة المفقودة! لكنّ الكلام تدفّق من فمي مختلطاً ومشوّشاً، لذلك انتقلتُ إلى الخيار الثاني. جلبتُ له من خزانتي الكتابَ الذي كتبته في شوت، ثمّ ذهبتُ إلى صفّ الموسيقا.

بحث مستر ليڤي عنّي في استراحة الغداء. قال إنّ كتابي أعجبه، لا بأس به، لكنّه يحتاج برأيه إلى مزيد من العمل، ولديه فكرة: ماذا لو أكملته على أنّه مشروع لبحثِ الربيع؟

ولكن كيف أكمله؟

اقترح أن أسأل أودري وبول جيلينك ومسز غوديير وأيّ شخص يمكن أن يزوّدني بالمعلومات، وكذلك ماما بالطبع، لكنّها لن تعود من القطب الجنوبيّ قبل أسبوعين. قال مستر ليڤي إنّه سيمنحني علاماتٍ عن الدروس التي فاتتني كي أتخرّج مع بقيّة الصفّ.

وهكذا كان.

الجمعة 7 كانون الثاني

رسالة ماما الضائعة

بي،

أنا أكتب لكِ من حاوية شحن في القارّة القطبيّة الجنوبيّة، حيث أنتظر طوعاً أن يقوم طبيب بيطريّ بانتزاع أضراس العقل الأربعة الخاصّة بي.

دعيني ألخّص الوضع.

آخر ما تعلمينه هو أنّني اختفيتُ وهم يطاردونني في غرفة الجلوس محاولين إثبات جنوني. في وقت مبكّر من ذلك النهار، كما تتذكّرين، كنتُ في احتفال يوم العالَم، وكي أتجنّب «الاحتفال» الفعليّ مع شاغلي هذا «العالَم»، تظاهرتُ أنّني منشغلة بصبّ ما مجموعه خمسة فناجين من القهوة التي تشبه الوحل، وتحريكها بالملعقة، وخبطها على الطاولة. عندما انتهى العرض اتّجهتُ فوراً إلى المنزل (لا إلى عيادة الدكتور نيرغارد كي يقتلع أضراسي. كانت فكرة جنونيّة، حتّى أنا أدركتُ ذلك!)، ومن ثمّ قاطعتُ خطّة علاجي، والتي أصبحت مؤلمة أكثر نتيجة حاجتي الملحّة للتبوّل. ذهبتُ إلى الحمّام، وعندها سمعتُ طرقات: طق طق طق. هل تتذكّرين كيف كنّا نظنّ أنّ أودري غريفن هي شيطان؟! حسناً، اتّضح أنّ أودري غريفن هي ملاك. أنزلتني عن الشرفة، وأخذتني إلى برّ الأمان في مطبخها، حيث أعطتني الملفّ الذي يحتوي على معلومات عن سلوكي الرهيب... لا بدّ أنّكِ استلمتِه بالبريد.

أعرف أنّ الوضع يبدو لكِ وكأنّني اختفيتُ فجأة، لكن في الحقيقة: لا!

وفق معلوماتي، إيلجي ينوي أخذكِ إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، وكان مصمّماً على ذلك أثناء جلسة التدخّل العلاجيّ، لذلك اتّجهتُ إلى المطار

في الصباح التالي كي أتحدّث معكما وجهاً لوجه (أحذّركِ: أنا لن أستخدم الإيميل أوالرسائل النصيّة بعد اليوم، وربّما أستغني عن الهاتف أيضاً. من الآن فصاعداً، أنا مثل المافيا، إمّا أن أتواصل وجهاً لوجه أو لا أتواصل أبداً). سألتُ إن كنتما قد وصلتما، لكن كشف تلك المعلومات كان ممنوعاً بصرامة -تداعياتُ خطف طائرات 11/9- بالتالي، الخيار الوحيد الذي بقي أمامي كان أن أركب الطائرة بنفسي.

بالطبع، لم تكونا على متن الطائرة. شعرتُ بالفزع، لكنّ مضيفة جميلة قدّمت لي كأساً من عصير البرتقال المليء بالثلج. يا لطعمه الرائع! لذلك أخذتُ الرحلة المتّجهة إلى ميامي والأفكار تعصف برأسي، كأنّني قذيفة غاضبة تريد أن تدمّر: إيلجي هو من وشى بي، وأنا العبقريّة التي يُساء فهمها. الخطاب الذي تمرّنتُ عليه في ذهني كان ملحميّاً ومعصوماً عن الخطأ.

النزول من الطائرة في ميامي كان بمثابة العودة إلى الرحم! هل السبب هو صوت لوبرون جيمس وغلوريا استيفان يرحّبان بي؟ كلّا، إنّها رائحة لفائف سينابون! اشتريتُ واحدة كبيرة، واتّجهتُ إلى عربة ستأخذني إلى مكتب التذاكر، حيث سأشتري تذكرة للعودة إلى سياتل، وأتقبّل قدري.

لفافة السينابون لن تأكل نفسها بنفسها، لذلك جلستُ. أتت العربات وراحتْ وأنا أقشّر اللفافة المنفوخة اللذيذة وأتمتّع بكلّ قضمة منها، إلى أن أدركتُ أنّني نسيتُ المناديل. يداي الاثنتان ملوّثتان بالسكّر، وكذلك وجهي، هناك منديل في أحد جيوبي، لذلك رفعتُ يديّ إلى الأعلى مثل الجرّاحين، وطلبتُ من إحدى السيّدات «من فضلكِ، هل يمكنكِ أن تفتحي السحّاب؟». في الجيب الذي فتحته السيّدة، لم أجد سوى كتاب عن القارّة القطبيّة الجنوبيّة، أخذتُه ومسحتُ يديّ ووجهي، أجل، بصفحاته النظيفة. وصلتْ عربة وفُتحت أبوابها، فركبتُ. ألقيتُ نظرة على الكتاب الذي وضعته في حضني، عنوانه «أسوأ رحلة في العالَم» للكاتب آبسلي شيري غارارد، وهو أحد الناجين القلائل من حملة الكابتن سكوت سيّئة الحظّ إلى القطب الجنوبيّ. على الغلاف الخلفيّ للكتاب قرأتُ: الناس لا يذهبون إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة، القارّة القطبيّة الجنوبيّة هي من تستدعيهم.

وصلنا إلى مبنى المغادرين الرئيس، لكنّني لم أنزل من العربة... ذهبتُ إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة! شركة الرحلات السياحيّة هي أوّل مكان ستبحثين فيه عنّي دون شكّ، وسيخبرونكِ أنّني موجودة على متن السفينة، أي أنّني بأمان. ميزة إضافيّة: لا توجد طريقة للتواصل معي عندما نبدأ الإبحار، وهذا بالضبط ما نحتاجه أنا وبابا: ثلاثة أسابيع من الوقت المستقطع.

ما أن صعدتُ على متن أليغرا -مصعوقة نوعاً ما، لأنّ أحداً لم يلقِ القبض عليّ في اللحظة الأخيرة- حتّى حيّاني أحد علماء الطبيعة، فسألتُه كيف حاله.

«بخير» قال، «طالما أنّنا نعود إلى الجليد».

«ألم تعد لتوّك من هناك؟!»، سألته.

«منذ ثلاثة أيّام»، أجاب بأسى.

لم أقدر أن أتخيّل ما يتحدّث عنه! إنّه جليد! كيف يمكن لكِ أن تحبّي الجليد؟!

حسناً، اكتشفتُ بنفسي. بعد يومين من دوار البحر الشنيع استيقظتُ في القارّة القطبيّة الجنوبيّة، ورأيتُ خارج نافذتي جبل جليد أعلى بثلاث مرّات وأعرض بمرّتين من السفينة. كان حبّاً من اللمحة الأولى! أعلنوا أنّه بإمكاننا التجذيف بقوارب الكاياك، لذلك تدثّرتُ ملابس دافئة، وكنتُ الأولى في الصفّ. لا بدّ لي من التواصل عن قرب مع الجليد.

الجليد، إنّه زلق، إنّه سمفونيّة متجمّدة، إنّه عودة المغشيّ عليه للحياة، إنّه لمسة الألوان: أزرق! (الثلج أبيض والجليد أزرق. لا بدّ أنّك تعرفين السبب لأنّك ضليعة بمثل هذه الأمور، أمّا أنا فلا فكرة لديّ!). من النادر أن تثلج في القارّة القطبيّة الجنوبيّة، لأنّ القارّة القطبيّة الجنوبيّة هي صحراء. جبال الجليد عمرها عشراتُ الملايين من السنين، وتتحرّر من نهر جليديّ (هذا ما يجعلكِ تحبّين الحياة: في أحد الأيّام تعطين رقم الضمان الاجتماعيّ الخاصّ بكِ للمافيا الروسيّة، وفي اليوم التالي تتحدّثين عن تحرّر جبال الجليد!). رأيتُ المئات منها، كاتدرائيّاتُ جليد مصقولة كأنّها قطع ملح لعقتها الحيوانات، كأنّها حطام سفن، كأنّها درجات مرمريّة في الفاتيكان صقلها الزمن، كأنّها

مركز لينكولن[1] مقلوب في الماء ومليء بالحفر، كأنّها هنغارات طائرات نحتها لويس نيفلسون، كأنّها مبانٍ من ثلاثين طابقاً منحنية بطريقة لا تُصدَّق كالأقواس في معرض عالميّ. بيضاء، أجل، لكنّها زرقاء أيضاً، تتألّق بكلّ تدرّجات اللون الأزرق على دائرة الألوان: غامقٌ مثل سترة كحليّة، مبهرٌ مثل أضواء النيون، ملكيٌّ مثل قميص فرنشمان، سماويٌّ مثل معطف «الأرنب بيتر[2]»... هذه الوحوش الجليديّة تهيم فوق الأسود الممنوع.

هناك شيء ما نبيلٌ تعجز الكلمات عن وصفه يتعلّق بعمر جبال الجليد تلك، بحجمها، بافتقارها للوعيّ، بحقّها في الوجود. كلّ جبل منها ملأني بشعور من الحزن والدهشة، وليس بأفكار عن الحزن أو الدهشة –لأنّ الأفكار تتطلّب مفكّراً، بينما كان رأسي عاجزاً عن التفكير وأشبه ببالون منفوخ– لم أفكّر ببابا، لم أفكّر بكِ، والأهمّ: لم أفكّر بنفسي. تأثير جبال الجليد أشبه بالهيروين (كما أفترض)، وأردتُه أن يدوم إلى أقصى فترة ممكنة.

أقلّ قدر من التواصل مع الناس كان يعيدني فوراً إلى الأفكار الدنيويّة، لذلك كنتُ أوّل من يخرج صباحاً، وآخر من يعود. جذّفتُ بقوارب الكاياك فقط لا غير، ولم أضع قدمي فعليّاً على القارّة البيضاء. حاولتُ ألّا ألفت النظر، وبقيتُ في غرفتي ونمتُ، لكن بالدرجة الأولى: كنتُ أنا! لا قلب يتسارع ولا أفكار تتطاير.

ذات يوم، كنتُ أجذّف في الماء، حين سمعتُ صوتاً من اللّامكان يقول: «مرحباً. هل تساعدينني؟!». ربّما كان صوتاً يسألني: هل أنتِ ساحرة طيّبة أم ساحرة شرّيرة؟! كان مرحاً إلى ذلك الحدّ، وكأنّه لون أزرق بتقنيّة تكنيكولور، أو جبل جليد عالٍ كبرج.

صاحبة التحيّة كانت بيكي، عالمة مختصّة بالبيولوجيا البحريّة تركب زورق كاياك، وتأخذ عيّنات من الماء. بيكي ترافقنا على متن سفينة أليغرا في طريقها إلى محطّة بالمر، وهي مركز بحث علميّ ستعيش فيه كما شرحت

1- مركز لينكولن للفنون الاستعراضيّة في نيويورك، يتألّف من مجموعة أبنية تتربّع على مساحة تقارب 7 هكتارات، ويتسع لخمسة ملايين زائر. م

2- الشخصيّة الرئيسة في قصّة الكاتبة الشهيرة بياتريكس بوتر: حكاية الأرنب بيتر. م

لي طوال الأشهر القادمة. فكّرتُ: مستحيل! هل يمكنكِ فعلاً أن تعيشي في القارّة القطبيّة الجنوبيّة؟!

تسلّقتُ إلى زورقها، وسجّلتُ مستويات كثافة الفيتوبلانكتون. بيكي ثرثارة، أخبرتني أنّ زوجها مقاول، وهو موجود في تلك اللحظة في أوهايو حيث يستخدم برنامج كمبيوتر يُدعى كويكي أركيتيكت (!)، لأنّه يريد الفوز بمشروع في القطب الجنوبيّ، حيث سيفكّكون قبّة جيوديسيّة ويستبدلونها بمحطّة أبحاث.

ماذا؟؟!!

تعلمين الآن أنّني عبقريّة مشهود لها. لا تقولي إنّني لم أخبركِ عن منحة ماك آرثر، لأنّني فعلتُ، لكنّني لم أشدّد أبداً على أهمّيّتها. في الواقع، مَن الأمُّ التي تريد أن تعترف لابنتها أنّها كانت ذات يوم المهندسة المعماريّة الأهمّ في البلاد، لكنّها الآن تشتم السائق الذي أمامها، لأنّ سيّارته تحمل لوحات آيداهو؟!

بي! أعرف كم كان الوضع سيّئاً بالنسبة لكِ طوال كلّ تلك السنين، وأنتِ تجلسين في المقعد الخلفيّ رهينة لمزاجي المتقلّب. حاولتُ، قرّرتُ ألّا أتفوّه بكلمة سيّئة بحقّ السائقين الآخرين، لكن عندما كنتُ أنتظر وأنتظرُ خروج باص صغير من موقف السيّارات، كنتُ أذكّر نفسي: «لن أقول شيئاً!»، وعندها تزقزقين أنتِ من المقعد الخلفيّ: «أعرف ما الذي ستقولينه، ستنعتين السائق بالأحمق المغفّل!».

لماذا أخبركِ بكلّ هذا الآن؟! أعتقد كي أقول لكِ إنّني خذلتكِ بمئة طريقة مختلفة. هل قلتُ مئة؟! الألف أقرب إلى الواقع.

ماذا تقصد بيكي بتفكيك القبّة؟ ماذا سيفعلون بها؟ ممّاذا ستُبنى المحطّة الجديدة؟ ما هي الموادّ المتوافرة في القطب الجنوبيّ؟ أليست الجليد فقط؟ كان عندي مليون سؤال، لذلك دعوتُ بيكي لتناول العشاء معي. إنّها من النوع المملّ ومؤخّرتها ضخمة جدّاً، لطفها تجاه النذل مبالغ به، وتعاملهم بأسلوب متعالٍ يقول: «أرأيتِ كيف أعامل الخدم بطريقة حسنة؟» (أظنّ أنّه طبع من طباع سكّان ولايات الغرب الأوسط).

بعد العشاء، أصرّت بيكي أن نذهب إلى البار. ما بين الأسئلة التي وجّهتُها إلى النادل عن أعمار «صغاره» في كشمير، استنطقتُها للحصول على المزيد من الوقائع. سأخاطر أن أصبح مثل بابا، وأشرح لكِ باستفاضة معلومات تعرفينها: القارّة القطبيّة الجنوبيّة هي المكان الأعلى والأبرد والأشدّ جفافاً والأعتى ريحاً في كلّ الكوكب. متوسّط درجة الحرارة في القطب الجنوبيّ هو ستّون تحت الصفر، الرياح هناك أشبه بالأعاصير، وارتفاعه عشرة آلاف قدم. بكلمات أخرى، لم يتطلّب استكشافه من قبل الروّاد الأوائل أن يصلوا إليه فحسب، بل كان عليهم أن يتسلّقوا جبالاً وعرة في سبيل ذلك (ملاحظة جانبيّة: هنا، أنتِ إمّا من جماعة أمندسِن أو شاكلتن أو سكوت. أمندسِن كان أوّل من وصل إلى القطب الجنوبيّ، لكنّه نجح بذلك لأنّه أطعم الكلابَ بعضها لبعض، ممّا يجعله بمنزلة مايكل ڤيك[1] بين المستكشفين: يمكنكِ أن تحيّيه لكن سرّاً، وإلّا سينتهي بكِ الأمر بالشجار مع حفنة من المتعصّبين. شاكلتن هو بمنزلة تشارلز باركلي[2] في المجموعة: إنّه أسطورة، وشخصيّته مميّزة، لكنّ المعلومة الإضافيّة هي أنّه لم يصل أبداً إلى القطب الجنوبيّ، وبالتالي لم يربح البطولة -لا أعرف كيف تحوّل هذا الأمر إلى مقارنة رياضيّة!- أخيراً، هناك الكابتن سكوت شفيعُ الفشل، وهو غير محبوب على الإطلاق إلى يومنا هذا بسبب طباعه الرهيبة مع الناس. أنا سأصوّت لسكوت، تفهمينني!). القطب الجنوبيّ موجود فوق صفيحة جليديّة متحرّكة، ويتوجّب عليهم كلّ سنة أن يغرزوا علامته الرسميّة في موقع جديد، لأنّها تنزاح بمقدار قد يصل إلى مئة قدم! هل يعني هذا أنّ المبنى الذي سأصمّمه يجب أن يكون كوخاً جليديّاً زاحفاً كالسلطعون يتحرّك بفضل قوّة الرياح؟! ربّما، لن أقلق بشأنه، الاحتراف والأرق سيتكفّلان به.

1- Michael Dwayne Vick لاعب كرة أمريكيّ مشهور من مواليد 1980، لعب في 13 موسماً متتالياً في الفريق الوطنيّ، لكن مسيرته الرياضية توقّفت عام 2007 عندما أدين بتهمة إدارة حلبة قتال غير شرعيّة للكلاب، وحُكم عليه بالسجن 21 شهراً. م

2- Charles Wade Barkley لاعب كرة سلّة أمريكيّ من مواليد 1963، كان رابع لاعب في تاريخ NBA يحرز عشرين ألف نقطة خلال مسيرته الرياضيّة عندما تقاعد. مَثُل أمام المحاكم عدّة مرّات، وأثار جدلاً وطنياً. م

أيّة عملية للبناء في القطب الجنوبيّ يجب أن تُنسّق في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. كلّ الموادّ، حتّى المسامير، يجب أن تُنقَل بالطائرات، ونقل المستلزمات إلى هنا باهظ التكاليف لذلك لا يجوز هدر أيّ شيء على الإطلاق. قبل عشرين عاماً، بنيتُ منزلاً بنسبة هدر تبلغ الصفر، واستخدمتُ موادَّ جلبتُها من دائرة لا يزيد قطرها على العشرين ميلاً. البناء هنا يتطلّب موادَّ تبعد عنّي تسعة آلاف ميل على الأقلّ!

بدأ نبض قلبي يتسارع... ليس التسارع السيّء وكأنّني سوف أموت، وإنّما النموذج الجيّد من تسارع القلب الذي يشبه: مرحباً، هل لي أن أساعدكِ بأمر ما؟ ابتعدي من فضلكِ إن كنتِ لا تحتاجين المساعدة لأنّني سوف أندفع إلى الحياة!

فكّرتُ طوال الوقت: يا لفكرتي الرائعة بالقدوم في هذه الرحلة العائليّة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة!

أنتِ تعرفينني، أو ربّما لا تعرفينني، لكن اعتباراً من تلك اللحظة أصبحت كلّ ساعة من ساعات نهاري مكرّسة للتخطيط للاستيلاء على محطّة القطب الجنوبيّ الجديدة... وعندما أقول كلّ ساعة من ساعات نهاري، هذا يعني أربعاً وعشرين ساعة، لأنّ الشمس لا تغرب أبداً هنا.

لو سألني أيّ شخص (كما فعل مراسل آرت فورم ذاك بالحاح –وأنا أتحدّث دفاعاً عنه الآن– لكن في كلّ مرّة كنتُ أرى فيها اسمه في البريد الوارد كنتُ أضغطُ: حذف حذف حذف بجنون)، لن أقول أبداً إنّني أعتبر نفسي مهندسة معماريّة عظيمة. سأقول إنّني أقربُ إلى مبدعة تستنبط الحلول للمشكلات، وتتمتّع بذوق جيّد وميلٍ إلى الكوابيس اللوجستيّة. لا بدّ أن أذهب إلى القطب الجنوبيّ، حتّى ولو كان السبب الوحيد لذهابي هو أن أضع يدي على العلامة وأصرّح أنّ العالم كلّه يدور حولي حرفيّاً.

لم أنم طوال ليلتين متتاليتين لأنّ الموضوع برمّته مثير جدّاً! القطب الجنوبيّ، محطّة ماك موردو، ومحطّة بالمر، كلّها تُديرها شركة المقاولات العسكريّة ذاتها في دنفر، ويصدف أنّ منسّقة جميع عمليّات القطب الجنوبيّ ستتواجد في بالمر طيلة الشهر القادم. صلة الوصل الأقرب إلى كلّ شيء هي

بيكي، لذلك قرّرتُ: لا يهمّني كيف تعتذر بيكي بحرارة في كلّ مرّة تطلب فيها من النادل إحضار المزيد من اللفائف، سألتصق بها.

في أحد الأيام، كنتُ أنا وبيكي في البحر نأخذ القياسات في مختبرنا العلميّ العائم. لمّحتُ لها أنّ ذهابي معها إلى محطّة بالمر سيكون ممتعاً، ويا للهياج الذي انتابها! لا يُسمَح بدخول المدنيّين، بل الموظّفون الرئيسيّون فقط! هناك فترة انتظار تقارب خمس سنوات! إنّها أكثر مكان يتنافس العلماء للقدوم إليه! لقد أمضت هي سنواتٍ من حياتها تقدّم الطلبات للقدوم إلى بالمر!

مساء ذلك اليوم، ودّعتني بيكي وداعاً نهائيّاً! صدمتني لأنّنا ما زلنا بعيدين جدّاً عن محطّة بالمر، لكنّ سفينة ظهرت بالقرب منّا في الثالثة فجراً كي تأخذها! اتّضح أنّ هناك شبكة نقل خفيّة متكاملة في القارّة القطبيّة الجنوبيّة -مثل باصات مايكروسوفت- تتألّف من مراكب خاصّة بالأبحاث العلميّة، وهي في حالة ذهاب وإياب دائمة لنقل الأشخاص والمعدّات بين المحطّات المختلفة، بالتنسيق في معظم الأحيان مع السفن السياحيّة التي تتولّى تزويد تلك المحطّات النائية بالمؤن.

أمامي ستّ ساعات لا غير، ولا مجال لإقناع بيكي باصطحابي معها إلى محطّة بالمر. استلقيتُ في سريري بيأس، من ثمّ، في الثالثة فجراً بالضبط، ظهرت بمحاذاتنا سفينة عملاقة بلون البابريكا هي لورنس إم. غولد.

نزلتُ إلى قسم انطلاق المراكب كي أرتّب خطّة هروبي القادم. فوق المرسى العائم تصطفّ خزائن بيكي، وخمسون صندوقاً من الخضار والفواكه الطازجة: برتقال، قرع، ملفوف... وهناك بحّار فيليبينيّ نعسان يقوم بتحميلها في زورق زودياك مترنّح لا يوجد فيه أحد. فجأة، رمى صوبي صندوقَ أناناس! وعندها فهمتُ: كنتُ أرافق بيكي يوميّاً في الفترة الماضية لقياس مستويات البلانكتون، ولا بدّ أنّ هذا الرجل يظنّني واحدة من العلماء! أخذتُ الصندوق، وقفزتُ إلى الزورق ووقفتُ فيه، وهو يمرّر لي بقيّة الحمولة. عندما امتلأ الزودياك إلى سعته القصوى، قفز البحّار إليه وشغّل المحرّك... وهكذا، ببساطة، كنتُ في طريقي إلى سفينة الشحن لورنس إم غولد العملاقة!

لاقانا بحّار روسيّ نعسان وممتعض كالفليبينيّ بالضبط. بقي الفليبينيّ في الزورق، بينما صعدتُ أنا إلى سطح السفينة وبدأنا بتفريغ الصناديق، بينما كان همّ الروسيّ الوحيد هو تسجيل وصولها. عندما انتهينا، وكي أؤكّد لنفسي فعلاً أنّني لا أحلم، لوّحتُ بفتور للفليبينيّ الذي شغّل المحرّك، وعاد وحيداً إلى أليغرا.

وهأنذا، واقفة بثبات على سفينة لورنس إم غولد. الجزء الأفضل: لم أسجّل خروجي من أليغرا، وبالتالي لا يوجد ما يثبتُ أنّني غادرتها، ولن يكتشفوا أنّني مفقودة إلى أن يصلوا إلى أوشوايا على الأغلب. سأتمكّن من إرسال رسالة لكِ بحلول ذلك الوقت.

نظرتُ إلى أليغرا وأومأتُ إليها إيماءة شكر، من ثمّ لاح لي شبح بيكي التي تحمّل ما تبقى من الصناديق في قارب زودياك. عندها سيطر عليّ مجدّداً شعور غير عقلانيّ أنّني لا أطيقها، وتساءلتُ: بماذا تلزمني بيكي؟! إنّها ليست رئيستي. شققتُ طريقي إلى بطن السفينة عبر متاهة من الممرّات كريهة الرائحة –مزيج من الديزل والطعام المقليّ والسجائر– إلى أن وجدتُ قاعة صغيرة فيها كنبات ألوانها باهتة بشعة، وتلفاز عاديّ، فجلستُ فيها. انطلقت السفينة، بقيتُ جالسة قليلاً ثمّ غفوت.

استيقظتُ على زعيق بيكي! عند موعد الفطور تقريباً لمحني بعض البحّارة نائمة، واستفسروا عمّن أكون. لحسن حظّي أنّنا كنّا على بعد ستّ ساعات فقط من محطّة بالمر، فقرّرت بيكي أنّ ما يجب عمله هو تسليمي إلى إيلِن إيدلسن، مديرة عمليّات القارّة القطبيّة الجنوبيّة. تحوّلتُ إلى أسيرة في القاعة خلال ما تبقّى من الرحلة، وإلى مخلوق غريب للفرجة أيضاً: كان العلماء الروس يمدّون رؤوسهم إلى داخل القاعة، ويتفرّجون عليّ وأنا أشاهد «لورينزو أويل».

عندما وصلنا إلى بالمر، جرّتني بيكي من ياقتي إلى رئيستها العزيزة إيلِن إيدلسن. ثار غضبها عندما تحمّستْ إيلن لأنّني أعلنتُ أنّني سأعمل بالمجّان، وسأقبل بأيّ عمل.

«لكن كيف ستعود إلى منزلها؟!»، صاحت بيكي.

«سنضعها على متن سفينة لورنس إم. غولد»، أجابت إيلن.

«لكنّ الأسرّة كلّها مشغولة!»، قالت بيكي.

«أجل» ردّت إيلن، «هذا ما نردّده دائماً».

«لكنّها لا تحمل جواز سفر! تركتْه في أليغرا!»

«هذه مشكلتها هي، أليس كذلك؟»

نظر كلانا إلى بيكي وهي تطلق زفرة غاضبة.

«إنّها بارعة حقّاً في كتابة الطلبات» علّقت إيلن باشمئزاز. إنّها حالة «عدوُّ عدوّي هو صديقي» كلاسيكيّة، الوضع أفضل من رائع!

سلّموني إلى مايك، وهو سيناتور سابق من بوسطن تدرّب كي يصبح ميكانيكيّ محرّكات ديزل، بسبب رغبته العارمة بقضاء فترة القارّة القطبيّة الجنوبيّة. كلّفني بسنفرة المنصّات الخشبيّة حول مبنى المحرّكات وطلائها، وأعطاني رزمة من ورق السنفرة الصناعيّ. لا بدّ أوّلاً من كشط الخشب قبل سنفرته، لكنّ الأداة التي أعطوني إيّاها كانت مثلّمة، ففكرتُ باستعارة حجر الشحذ من المطبخ.

«ها هي ذي!» قالت إيلن التي كانت تتبادل حديثاً خاصّاً مع الشيف عندما دخلتُ، وأشارت إلى طاولة نزهات، فأطعتُها وجلستُ.

حملت لابتوباً مفتوحاً وجلست معي. على الشاشة، رأيتُ صفحة ويكيبيديا الخاصّة بي، وخلفها تظهر نافذة آرت فورم دوت كوم (ملاحظة جانبيّة: الإنترنت هنا أسرع من أيّ مكان آخر، ربّما لأنّه إنترنت عسكريّ أو ما شابه. يجب أن يكون شعارهم هنا «محطّة بالمر: تعال من أجل الجليد، وابقَ من أجل الإنترنت»).

«ما قمتِ به كان رائعاً!» قالت إيلن، «أقصد التسلّل إلى سفينة غولد. لم أشأ أن تهتاج بيكي أكثر، هذا ليس جيّداً للروح المعنويّة».

«أفهمكِ»

«ماذا تريدين؟» سألتني، «لماذا أنتِ هنا؟».

«أريد أن أرسل رسالة لابنتي. ليس إيميلاً، وإنّما رسالة حقيقيّة تصل إلى

سياتل قبل السابع عشر من كانون الثاني». من المهمّ أن تصلك تلك الرسالة يا بي قبل أن تعود سفينة أليغرا إلى أوشوايا، كي لا يقلق أحد.

«البريد ينطلق غداً» قالت إيلن، «ستصل رسالتكِ في موعدها».

«وأريد أيضاً فرصة لتصميم محطّة القطب الجنوبيّ، لكن يجب أن أذهب إلى هناك شخصيّاً كي أحسّ بالمكان».

«آها!» قالت إيلن، «كنتُ أتساءل».

بدأتْ بالحديث عن استحالة ذلك الأمر استحالة مطلقة: تنطلق الطائرات إلى القطب الجنوبيّ فقط من محطّة ماك موردو التي تبعد ألفين ومئتي ميل بحريّ عن بالمر. الوصول إلى ماك موردو سهلٌ نسبيّاً، أمّا الطيران إلى القطب الجنوبيّ فمسألة أخرى. الرحلات مخصّصة حصراً للشخصيات الأساسيّة، وفي وضعي الراهن، أنا أعطي معنى جديداً لـ «الشخصيّة غير الأساسيّة».

أثناء حديثها، خطر لي أنّ إيلن إديلسن هي مقاولة، وأنّها تمثّل استعراضَ المقاول. استعراض المقاول هو طقس يتمّ على النحو التالي: أ) يشرح لكِ المقاول بأدقّ التفاصيل استحالة تنفيذ المهمّة التي طلبْتِها منه، ب) تعبّرين أنتِ عن ندمكِ العميق لمجرّد أنّك اقترحتِ مثل تلك المهمّة، وتتراجعين عن طلبكِ. جـ) يقول لكِ المقاول إنّه سيجد حلّاً. د) تصبحين مدينة له بخدمة لقاء المهمّة التي وظّفتِه كي يقوم بها في المقام الأوّل.

مثّلنا أدوارنا باحتراف، إيلن تعدّد الصعوبات، وأنا أعتذر بأسى عن طلبي الطائش غير المعقول. هززتُ رأسي بأسى بالغ، ثمّ انسحبتُ لأباشر مهمّة السنفرة التي كُلِّفتُ بها. بعد خمس ساعات، استدعتني إيلن إلى مكتبها بنفخة من صافرتها.

«لحسن حظّكِ» قالت، «أنا منحازة إلى صفّ غريبي الأطوار والغامضين والعباقرة. لقد أمّنتُ لكِ مكاناً على متن طائرة هيركوليس تنطلق من ماك موردو إلى القطب الجنوبيّ. ستغادر الطائرة بعد ستّة أسابيع، وأنت ستغادرين بالمر بعد خمسة. يتوجّب عليك السفر وقوفاً طوال الرحلة التي تستغرق ثلاث ساعات، لأنّ الطائرة مكتظّة بمناطيد الطقس والحليب المجفّف ووقود الطائرات».

«لا أمانع الوقوف»، قلتُ.

«هذا ما تقولينه الآن!» قالت إيلن، «عندي سؤال واحد مع ذلك، أما زلتِ تحتفظين بأضراس العقل؟».

«أجل» أجبتها، «لماذا تسألين؟».

«لا يسمح لمن يحتفظ بأضراس العقل التواجد في القطب الجنوبيّ. قبل سنتين، اضطررنا إلى إرسال طائرة لإجلاء ثلاثة أشخاص أصيبوا بخرّاج في أضراس العقل، ولا تسأليني كم كلّفنا الأمر! لذلك أصدرنا قانوناً: لا أضراس عقل في القطب الجنوبيّ».

«تبّاً!» قفزتُ إلى أعلى وإلى أسفل مثل يوسيمتي سام[1]. جننتُ لأنّه من بين كلّ الأسباب التي قد تضيّع الفرصة من يدي، عدمُ ذهابي إلى ذلك الموعد اللعين في عيادة طبيب الأسنان هو ما سيحرمني من القطب الجنوبيّ!

«اهدئي!» قالت إيلن، «يمكنكِ اقتلاعها هنا، لكن عليكِ القيام بذلك اليوم حصراً».

ارتعش جسدي ارتعاشة صغيرة. أمامي هنا توجد امرأة تنقل القدرة على تنفيذ مهمّة ما إلى مستوى جديد مثير!

«ولكن» تابعتْ، «ينبغي أن تعرفي بماذا تورّطين نفسك. بيئة القطب الجنوبيّ هي الأقسى من حيث شروط الحياة فيها. ستُحاصَرين في مكان ضيّق مع عشرين شخصاً آخرين لن تطيقيهم على الأغلب، وكلّهم فظيعون برأيي، لكنّ العزلة تجعلهم أفظع»، ثمّ أعطتني ملفّاً. «ها هو اختبار التقييم النفسيّ للمقيمين هناك شتاء. سبعمئة سؤال، معظمها ترّهات، ألقي عليها نظرة على الأقلّ». جلستُ وفتحتُ إحدى الصفحات عشوائيّاً: «صحّ أم خطأ؟ أرتّب أحذيتي جميعها وفق ألوانها. إن وجدتها بحالة فوضى، يمكن أن أصبح عنيفاً». إيلن على حقّ، هذه ترّهات!

صفحة الغلاف كانت ذات صلة أوثق بالموضوع، لأنّها تحدّد الصفات

1- Yosemite Sam شخصية رسوم متحركة في لووني تونز وميري ميلوديز، وهو قاطع طريق من الغرب الأمريكيّ، قصير القامة، لحيته حمراء، متذمّر، غاضب طوال الوقت، ويكره الأرانب خصوصاً باغز باني. م

النفسيّة للمرشّح المثاليّ الذي يتحمّل شروط الحياة القاسية في القطب الجنوبيّ، وهي: شخصٌ لا مبال ذو ميول معادية للمجتمع، الأشخاص الذين يشعرون بالراحة لقضاء أوقات طويلة وحدهم في غرف صغيرة، الذين لا يشعرون بالحاجة للخروج وأداء بعض التمارين الرياضيّة، القادرون على البقاء فترة طويلة دون استحمام... وهي الصفة الأهمّ برأيي.

خلال العشرين سنة الماضية، كنتُ أتدرّب لقضاء الشتاء في القطب الجنوبيّ! كنتُ أعرف أنّني أخطّط لأمر ما!

«يمكنني تدبّر أمري» قلتُ لإيلن، «إن باركتني ابنتي. عليّ أن أرسل لها رسالة».

«إنّه أسهل جزء!» أجابت إيلن وهي تبتسم لي أخيراً.

يوجد شابّ يدرس فقمة الفراء، وهو طبيب بيطريّ من باسادينا متخصّص بطبّ أسنان الخيول، كان يقوم بتنظيف أسنان زنياتا[1]. صدّقيني: هناك بشر من كلّ الأصناف هنا! أثناء الغداء اليوم، شرح لنا عالم فيزياء ربح جائزة نوبل عن «الكون المُبَّطن». أنا لا أتحدّث هنا عن ساعة انصراف الطلّاب في غايلر ستريت عندما يقف الأهالي بانتظار أبنائهم، وهم يلبسون جاكيتات نورث فايس المبطّنة. إنّه مفهوم في الفيزياء الكموميّة، ينصّ أنّه حين يمكن لأيّ شيء أن يحدث، فإنّه يحدث في عدد لا نهائيّ من الأكوان المتوازية. اللعنة! لا أستطيع شرح الفكرة، لكن سأقول لكِ إنّني فهمتها للحظة عابرة أثناء الغداء. مثل كلّ شيء آخر في حياتي: أدركتُها وخسرتها!

وهكذا، سيقتلع الطبيب البيطريّ أضراسي، وسيساعده دوغ طبيبُ المحطّة -دوغ هو جرّاح من آسبن، جاء إلى بالمر كجزء من خطّة تدوم مدى الحياة للتزلّج في القارّات السبع- وهما واثقان أنّ العملية ستكون سهلة، لأنّ أضراسي بزغت عبر اللثّة بزوايا معقولة. لسبب ما يريد كال، وهو عالم نيوترينو لطيف، أن يرافقني خلال العمليّة. يبدو أنّ الجميع هنا يحبّونني، وذلك لأنّني جئتهم بالخضروات والفواكه الطازجة، وبسبب ندرة النساء

1- Zenyatta فرس سباق أمريكيّة ولدت عام 2004، ربحت 19 سباقاً متالياً من أصل عشرين. م

هنا. أنا أصُنَّفُ بدرجة 10/10 على مقياس القارّة القطبيّة الجنوبيّة، وهذا يتفوّق بمسافة ركوب زورق عن كوني 5 / 10 في السابق.

يا بي، لديّ فرصة واحدة للذهاب إلى القطب الجنوبيّ. لورنس إم غولد تتجّه إلى ماك موردو بعد خمسة أسابيع، ومن هناك إن استمرّ حظّي الجيّد، سأستقلّ تلك الطائرة إلى القطب الجنوبيّ. سأذهب فقط في حال تلقّيتُ ردّكِ (أرسلي رسالة إلى إيميل إيلن إديلسن الموجود في الأسفل)، إن لم تردّي، سأذهب بالسفينة إلى ماك موردو. ومن هناك أستقلّ طائرة إلى الوطن.

قبلاتي

***

أعطاني الجرّاح للتوّ ڤايكودين ونوڤوكائين، وهما السبب الوحيد الذي جعل النيوترينو كال يرافقني بعد أن سمع أنّهم سيفتحون خزانة الأدوية. لقد غادر الآن، وليس أمامي متسعٌ من الوقت قبل أن أدوخ لذلك سأنتقل إلى الأهمّ:

بي! لا تكرهي بابا، أنا أكرهه نيابة عنّا أنا وأنت معاً. ربّما أسامحه بما أنّني قلتُ هذا،لأنّني لا أعرف ماذا سيكون كلٌّ منّا بمعزل عن الآخر. حسناً، أعرف ماذا سيكون هو: رجل يعاشر إداريّة فريقه، لكن لا فكرة لديّ عمّن سأصبح أنا! هل تتذكّرين كلّ ما كنتِ تكرهينه فيّ وأنتِ صغيرة؟ كنتِ تكرهين أن أغنّي، كنتِ تكرهين أن أرقص، كنتِ تكرهين بشكل خاصّ أن أشير بـ «أخي» إلى ذلك المتشرّد الذي يضفّر شعره، ويتجوّل في الشوارع حاملاً بطّانيّاته على كتفيه، وكنتِ تكرهين أن أقول لكِ إنّكِ أفضل أصدقائي.

أتّفق معكِ بخصوص النقطة الأخيرة. أنا لستُ أفضل أصدقائك، أنا أمّكِ! وباعتباري أمّكِ، لديّ تصريحان:

أوّلاً، سننتقل من سترايت غايت. ذلك المنزل كان كابوساً طال عقوداً، وثلاثتنا سنفيق منه عندما أفرقع بأصابعي.

قبل عدّة أشهر، اتّصل بي مجنون يُدعى أوللي - أو، كان يقوم بجمع التبرّعات لشراء مقرّ جديد لغايلر ستريت. ما رأيكِ أن نتبرّع بسترايت غايت للمدرسة؟! أو أن نبيعه لها لقاء دولار واحد؟! الحقيقة التي لا يمكن

إنكارها: غايلر ستريت هي أفضل ما مرّ في حياتي، لأنّهم اعتنوا بكِ عناية رائعة. الأساتذة يحبّونكِ، وهناك أينعتِ كالإله كريشنا عازف الناي، ولم تعودي بالا الطفل. هم يحتاجون مقرّاً، ونحن يلزمنا أن نعيش كعائلة طبيعيّة.

سأفتقد تلك الأمسيات حين كنتُ أخرج إلى مرجنا وأرفع رأسي. السماء في سياتل واطئة جدّاً، وكأنّ الربّ أنزل مظلّة حريريّة فوقنا. كلّ شعوراختبرتُه يوماً موجود هناك في السماء: الشمس المبهجة المتلألئة، حفنات الغيوم الخفيفة الضاحكة، أشعّة الشمس التي تعمي الأبصار، كواكب ذهبيّة ووردية وحمراء ضوؤها لا يُذكَر، غيوم منفوشة عملاقة مُرَحِّبة متسامحة تتكرّر دون نهاية عبر الأفق، كما لو أنّها انعكاس بين المرايا، حزم المطر التي تصبّ تعاسةً مبلّلةً في البعيد، من ثمّ تتحوّل في جزء آخر من السماء إلى بقعة سوداء جافّة.

السماء رقعٌ، طبقاتٌ، متداخلة معاً، متحرّكة دائماً، تغلي، وهناك شيء ما يئزّ دائماً فيها. إنّها واطئة جدّاً، أحياناً كنتُ أمدّ يديّ إلى تيّاراتها –مثلما فعلتِ أنتِ يا بي عندما شاهدتِ فيلم 3D للمرّة الأولى– مقتنعة أنّني أستطيع إمساك السماء، وبعدها سأتحوّل أنا إلى سماء!

كلّ أولئك الحمقى مخطئون! أفضل ما في سياتل هو طقسها. ينتهي العالَم، ومنازل الناس تطلّ على المحيط، لكن في محيطنا توجد جزيرة باينبريدج –ذلك القرص دائم الخضرة– وفوقها الحديقة الأولمبيّة، بجبالها الوعرة ذات القمم المغطّاة بالثلوج وغاباتها الزاهية. أعتقد أنّني أحاول أن أقول: أنا أفتقدها! أفتقد الجبال والبحر!

تصريحي الثاني: لن تذهبي إلى المدرسة الداخليّة. أجل، بكلّ أنانيّة: أنا لا أستطيع أن أتحمّل الحياة دونك، لكن في المقام الأوّل –وأنا أعني ما أقول– ارتياد مدرسة داخليّة لا يصبّ في مصلحتك. ببساطة، لن تشعري بالانسجام مع أولئك الأطفال الأغنياء المتكبّرين. إنّهم لا يشبهونكِ، وباقتباس عبارة الإداريّة «لا أريد أن أستخدم كلمة رقيّ»... حسناً، علينا أن نقسم بألّا نغيظ بابا أبداً بإيميلات الإداريّة. ربّما تشعرين أنّ هذا صعب عليكِ، لكن ثقي بي، علاقتهما لا تعني شيئاً. لا بدّ أنّ المسكين بابا يموت

الآن بسبب شعوره بالذنب. إن لم يكن قد تخلّص منها قبل موعد رجوعي، لا تخافي، سأطردها أنا!

بي حبيبتي، أنت ابنة كوكب الأرض، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ولاية واشنطن، سياتل. هؤلاء الأطفال الأثرياء في الساحل الشرقيّ هم سلالة مختلفة تنحدر سريعاً إلى اللّامكان. أصدقاؤك في سياتل يحلّون في المرتبة الثانية بعد الكنديّين من حيث اللطف: لا أحد منكم يملك هاتفاً خليويّاً، الفتيات يلبسن كنزات ذات قبّعات وسراويل داخليّة من القطن، ويتجوّلن بشعر مشعّث، ويحملن حقائب ظهر لطيفة مزركشة. لم تفسدكِ الموضة أوالثقافة الشعبيّة، هل تعرفين كم هذا نادر؟! قبل شهر ذكرتُ بِن ستيلر[1] أمامكِ، هل تتذكّرين ردّ فعلك؟ سألِتني: «من هو هذا؟!»، فأحببتكِ أكثر.

أنا ألوم نفسي، الذنب لم يكن ذنب سياتل بأيّ ممّا حصل لي. حسناً، ربّما كان ذنب سياتل، سكّانها مملّون للغاية... لكن دعينا نؤجّل الحكم النهائيّ إلى أن أصل إلى حالة فنّ أكثر / أذى أقلّ. أعدكِ وعداً واحداً فقط: سأتقدّم للأمام!

آسفة لكن لا خيار أمامك. ستبقين معي، معنا، قريبة من المنزل، ولا أريد أن أسمع شيئاً عن الأرنوب الهارب: الأرنوب الهارب سيبقى.

قولي أجل، وسأغيب عنك شهراً إضافياً. سأعود كي أعمل على مخطّطات محطّة القطب الجنوبيّ الجديدة، ستتخرّجين من غايلر ستريت، وتذهبين إلى لايك سايد، بابا سيتابع عمله في مايكروسوفت كي يجعل العالم مكاناً أفضل، وسننتقل إلى منزل طبيعيّ... هل أتجرّأ وأقول: من طراز كرافتسمان؟!

قولي أجل، وسأبقى دائماً ماما.

1- Ben Stiller ممثل أمريكي كوميديّ مشهور، من أفلامه «ليلة في المتحف». م

شكر وتقدير

شكراً لكم...

آنّا شتاين، الوكيلة الأدبيّة الحازمة والأنيقة، وصديقتي العزيزة.

جودي كلاين، المؤمنة الحقيقيّة بي، المليئة بالطاقة واللطف.

والداي: جويس لأنّها تؤمن بي إيماناً أعمى، ولورنزو الذي جعلني أرغب أن أصبح كاتبة.

جميع من مدّوا لي يد العون: بلايز أغويرا أركاس، هيذر باربييري، كايت بايرر، ريان بودينوت، كارول كاسيلا، جيجي ديفس، ريتشارد داي، كلير ديديرير، باتريك دي ويت، مارك دريسكول، روبن دريسكول، ساره دَن، جوناثان إيفسون، هولي غولدبيرغ سلون، كارولاين هيلدمان، باربرا هيللر -أرتجف عندما أفكّر بالفوضى التي كانت بين يديّ لولا ملاحظاتك- جوانا هيرفيتز، جاي جايكوبس، آندرو كِد، ماثيو نيل -نجمتي الرومانيّة المتلألئة- وخصوصاً خصوصاً بول لوبوفيكي، كليف ماس، جون ماك إيلوي، جايسون ريتشمان، سالي رايلي، ماهر سابا، هيوي ساندرز، لورنزو سمبل الثالث، غارث شتاين، فِل ستوتز، آرزو تاهين، وينك ثورن، كريستول وايت، جون يونكر.

بنات آل كاسيلا: إليز، وجوليا، وسارة. ما كانت «بي» لتوجد دون تواضعكنّ وسحركنّ.

في ليتل وبراون: تيري آدامز، ريغان آرثر، أماندا براور، إيميلي كافيدون، نيكول ديوي -نجمة الروك!- هيذر فاين، كيث هايز، مورغان موروني، مايكل بيتش، ناثان روسترون -أحياناً أفكّر أنّ مهنتي بأكملها في الكتابة هي

حيلة مبتكرة لجعلكم تردّون على اتّصالاتي- جيف شاندلر، أماندا توبير، جاي ياف كيمب.

شكر عميق طوال الحياة إلى: نيكولاس كالاواي، ميا فارو، ميريل ماركوي، بيتر مينش، سو نايغل، آن روث، جايمس سالتر، لاري سالز، بروس فاغنر، ليتا وارنر.

إلى شخصيّات سياتل جميعهم: أهلي، والكليّة، وأعضاء الهيئة التدريسية، مستر ليفيس... كلّكم مهمّون. شكري الخاصّ إلى رفاقي في «كتّاب سياتل السبعة»، شركة إليوت باي للكتب، ومطبوعات يونيڤرسيتي، ودار ريتشارد هيوغو.

والأهمّ: جورج ماير، الذي تحمّل كلّ شيء بلطف دون أن يتذمّر كثيراً، كي أستطيع أنا أن أنعزل وأتفرّغ للكتابة. شكراً لك للبقاء معي يا حبيبي.

في مديح الرواية

– من أفضل الكُتب في هذا العام!

New York Times, Washington Post, San Francisco Chronicle, People,

Time, Entertainment Weekly, Christian Science Monitor, Flavorwire,

BookPage, Miami Herald, Fort Worth Star – Telegram, Kansas City Star,

Entertainment Weekly, Philadelphia Inquirer, Denver Post, Parents.com,

The Today Show, Daily Candy, The Millions.

***

–كوميديّة سماويّة وطريفة إلهيّة! إنّها رواية متعدّدة الوجوه. «أين ذهبتِ، برناديت؟» تتجاوز القناعات السائدة، وتشهد عوضاً عن ذلك على مقدرة السيّدة سمبل بإيصال وجهة نظرها من خلال أصوات متعدّدة، وتجاوزِ التفاصيلِ العاديّة. إنّها رواية تنتصر كليّاً على فكرة أنّ الروايات الخياليّة متعدّدة الوسائط هي كسولة أو بطيئة أو أشبه بالمدوّنات الإلكترونيّة. «أين ذهبتِ، برناديت؟» هي رواية محكمة البناء كُتِبتْ بصياغات عديدة– إيميلات، رسائل، وثائق إف بي آي، مراسلات مع الطبيبة النفسيّة، بل وحتّى فاتورة غرفة إسعاف – مع ذلك، تترابط تلك الأجزاء بذكاء شديد، ليكون سرد السيّدة سمبل دائماً مركزيّاً ومتصدّراً. يستوقفنا كيف تتلاءم كلّ صيغة

مع الأخرى، وكيف أنّ السيّدة سمبل نادراً ما تكرّر نفسها، وكيف تكشف ببراعة عن كلّ معلومة...

لكن ينبغي عليكم أن تتوقّفوا عن الضحك أوّلاً!

Janet Maslin, New York Times

***

- «أين ذهبتِ، برناديت؟» هي متعة خالصة... لمسة سمبل الرقيقة ونثرها البرّاق يُبقيان الرواية محلّقة في الأعالي.

Kate Tuttle, Boston Globe

***

- ترقى إلى مستوى جماهيريّ... مثل جين أوستن التي أرست أسس هجاء المجتمع. حتّى أسخف الشخصيّات في رواية سمبل تؤمن أنّها شخصيّات طبيعيّة! من الممتع للغاية رؤية الشخصيّات تتصرّف على نحو بغيض، مؤمنة أنّ اللوم لا يقع عليها. إنّه كتاب نادر يستحقّ فعلاً لقب «طريف لدرجة أنّه يثير القهقهة»، وجدتُ نفسي أقرأ مقاطع منه، من كلّ صفحة تقريباً، على أيّ شخص يسمعني، على الرغم من أنّني قادرة بالكاد على نطق الكلمات بين ضحكاتي.

Malena Watrous, San Francisco Chronicle

***

- «أين ذهبتِ، برناديت؟» هي هجاء للمجتمع، أي أنّها تشرح ما هو المريض والمحزن في الحياة الأمريكيّة، وتجعلك تضحك في الوقت ذاته.... أذهلتني واستحوذت عليّ، رواية ذكيّة قويّة استثنائيّة.

Lev Grossman, Time

***

-شخصيّات سمبل المؤثّرة- وليس بالضرورة الهزل اللطيف - والانقلابات المفاجئة في الحبكة، تجعل هذه الرواية رحلة سحريّة.

Carolyn Kellogg, Los Angeles Times

***

-مبهجة للغاية، تُدخِل سمبل الكثير من الكوميديا المتقلّبة إلى الرواية، ممّا يضعها في مصافّ الكتب الجيّدة النادرة التي تجعلك تشعر حقّاً بشعور طيّب عندما تنتهي منها. سخريّتها من سياتل مرحة، بما فيها مجموعة دعم «الضحايا ضدّ جعلهم ضحايا»، الأمّهات اللواتي يعرضن على البستانيّين العضويّين جبنة سويسريّة لقاء الأجور، الأساتذة الذين يعتقدون أنّهم على صواب سياسيّاً، حيث يتوقّعون من طلّاب الصفّ الرابع أن يناقشوا بجديّة إيجابيّات الاحتلال الصينيّ للتيبت وسلبيّاته... لكنّ قلب هذه الرواية هو بي- التي تصفها مستشارة القبول بالقول: «تحقّق أعلى من المطلوب بالاختبارات وذلك بشجاعتها ورزانتها» - وأمّها التي قامت بعمل ممتاز بتربيّة طفلة رائعة مثلها، على الرغم من جميع أنواع الرهاب التي تعاني منها.

Yvonne Zipp, Christian Science Monitor

***

- ربّما تعاني الشخصيّات في رواية «أين ذهبتِ، برناديت؟» من ألم عاطفيّ حقيقيّ، لكنّ سمبل تمتلك من الفطنة والخيال والمنظور ما يمكّنها من جعل القصّة مرحة. قلّبتُ صفحات هذا الكتاب بمتعة لم تنته!

Jonathan Franzen, author of Freedom

***

- دافئة، قاتمة، حزينة، طريفة... ومجنونة قليلاً. هذه الرواية الخلّاقة الطريفة للغاية، تستحقّ تقديراً إضافياً بسبب أسلوبها المتفوّق.

Susan Coll, Washington Post

***

- رواية معاصرة مكتوبة بشكل رسائل، ذكيّة، وتستحوذ على الاهتمام.

Stephan Lee, Entertainment Weekly

***

- «أين ذهبتِ، برناديت؟» جديدة وطريفة وبارعة، أفضل ما فيها هو أنّني لم أتمكّن من تخمين ماذا سيحصل لاحقاً، كانت رحلة مشوّقة.

Kate Atkinson مؤلّفةُ كتابي
«تواريخ الحالة» و«بدؤوا مبكّراً، أخذوا كلبي».

***

– مبهجة ومثيرة للفضول... سمبل تقتطع شريحة ساخرة من الحياة، شريحة مسكونة بالمدارس الخاصّة، بالأهل الذين يتنقّلون بالهليكوبتر، بالجيران المهووسين بالبيئة، بالإفراط بالعصير الأخضر، بالأزواج الذين يلقون خطاباتٍ في TED... وهي رواية ذكيّة لدرجة أنها تجعلنا نشعر بالارتياح، لأنّنا غير مضطّرين للعيش في مكان ريفيّ مثل سياتل.

Megan O'Grady, Vogue

***

–هناك الكثير ممّا يستحقّ الإعجاب في رواية سمبل الساخرة: المرح الحيويّ، الدرس الذي نتعلّمه أنّ القوى الإبداعيّة– مثل برناديت – تتحوّل إلى أذى للمجتمع عندما تتوقّف عن الخلق. ما يجذبنا أكثر هو علاقة الحبّ المتبادلة بين الابنة وأمّها، والتي تمثّل قلب الرواية الدافئ.

Heller McAlpin, NPR

***

– بورتريه عميق وعاطفيّ لعائلة مختلّة، ولتقلّبِ العبقريّة في رواية ساخرة طموحة لا تقاوم. «أين ذهبتِ، برناديت؟» تأخذ القرّاء في مغامرة خياليّة أصيلة ومؤثّرة.

Catherine Straut, Elle

***

– حبكة بارعة وهجاء متقن... «أين ذهبتِ، برناديت؟» ممتعة حقاً، حقاً.

Janet Potter, The Millions

***

– اكتشف شفيع خيبة الأمل الخاصّ بك في روايتنا المفضّلة لهذا الصيف «أين ذهبتِ، برناديت؟». ستضحك إلى أن تسيل دموعك، وستحبّ

كيف تجرفك الرواية، وكيف تسوقك الحياة التي تنحرف عن مسارها في اتّجاه جديد برّاق.

Redbook

***

- واحدة من أكثر الروايات تشويقاً في هذا الصيف.

Julie Bosman, New York Times

***

- مليئة باللحظات المحبّبة والهجاء المبهر. «أين ذهبتِ، برناديت؟» تنتمي إلى الأدب الظريف الإلهيّ.

The Week

***

- كانت المسألة مسألة وقت حتّى توجّه سمبل ذلك الهزل الطريف الشقيّ الذكي والمُعرّي إلى سياتل، وتوجّه بصرها الدقيق كالليزر إلى قلب مايكروسوفت. أحياناً، تجعلني هذه الرواية أضحك حتّى تسيل دموعي وهي تنتقد مدينتي (وربّما أمّي أيضاً)، لكنّ «أين ذهبتِ، برناديت؟» هي في الوقت نفسه نظرة متعاطفة مع عائلة معطوبة، ومع العبقريّة المشلولة، ومع حبّ الأهل التقليديّ. إنّها مبنيّة بذكاء، ومنفّذة بألمعيّة. وصلت سمبل إلى مرادها بمهارة عالية، وأثبتت مجدّداً أنّها تُصنَّف بين أفضل من يكتبون الهجاء الأدبيّ المعاصر.

Garth Stein مؤلّف «فنّ التسابق تحت المطر».

***

- لامعة، هزليّة، مبتكرة، ولا تستطيع إلّا أن تقرأها. «أين ذهبتِ، برناديت؟» تشدّك ولا تدعك تفلتها من يدك. سمبل ليست مجرّد متلاعِبة ماهرة أو ناقدة اجتماعيّة فطنة فحسب، إنّها ساحرة!

Jonathan Evison مؤلّف «إلى الغرب من هنا».

***

- كوميديا معاصرة مليئة بالأصالة والعاطفة، وصورة مركّبة لا تستطيع إلّا أن تقرأها عن حياة امرأة من منظورها الشخصيّ، ومن منظور الآخرين الذين يتقاسمون معها تلك الحياة، كما نتوقّع من كاتبة كتبت حلقات Arrested Development. التفاصيل الدقيقة المتقاطعة للحياة العاديّة مأخوذة ببراعة، واللغز المتراكب يتعمّق أكثر فأكثر مع كلّ صفحة، إلى أن ينكشف في النهاية، ويبعث فينا الرضا.

من المراجعة الممتازة في Publishers Weekly

***

- انتهيت للتوّ من رواية ماريا سمبل «أين ذهبتِ، برناديت؟»، وضحكتُ بشدّة، لدرجة أنّ فتات كعكة القهوة تطاير من فمي. ها هو الغلاف يتجشّأ!

Ken Jennings, Parade.com

***

-ليس من الضروريّ أن تعرف سياتل كي تفهم رواية ماريا سمبل الهجائيّة عموماً... خلف السرد غير التقليديّ، هناك تلميحات حول ثمن العبقريّة المشلولة، وحول قوّة رابطة الأمّ- الابنة، على الرغم من أنّ القارئ قد لا يلاحظهما من شدّة استمتاعه بالرواية.

O, the Oprah Magazine

***

- ترسم سمبل كلّ شخصيّة بعمق ورقّة، بينما تبقى نبرتها مبتهجة، وهذا ليس سهلاً في رواية عن أمٍّ تقرّر الاختفاء.

Korina Lopez, USA Today

***

- رواية طريفة، غريبة، ممتعة بشدّة.

Ladies' Home Journal

***

- بإحساس واثق بالنقد والكوميديا، تأخذنا ماريا سمبل على نحو

مشوّق إلى عالم الكمبيوتر في إميرالد سيتي، حيث الامتيازات الخاصّة والإنجازات المتقدّمة. «أين ذهبتِ، برناديت؟» هي نسيج مجنون من الرسائل في رواية معاصرة تماماً، لكنّها في الوقت نفسه تقليديّة سارّة، رقيقة وذكيّة دائماً.

Stewart O'Nan مؤلّف «الغرائب»

***

-رواية ممتعة مخرِّبة، فيها مزيج نادر من المرح والعاطفة... في زمن كلّ ما فيه هو نسخة عن شيء آخر، كم هو استثنائيّ- ومشوّق - أن نقرأ رواية تخرّب القناعات، كي تخلق تجربة جديدة.

Jeremy Medina, The L Magazine

***

- طريفة، مؤلمة، وتوقيت أحداثها ممتاز... سمبل لديها قلب كبير، وتمتلك تلك المقدرة النادرة على النقد والتشريح والتعاطف مع هدفها في آن واحد. اقرؤوا «أين ذهبتِ، برناديت؟»، واضحكوا مطوّلاً بصوت عالٍ، ثمّ انظروا جيّداً في المرآة.

Mary Ann Gwinn, Seattle Times

***

- تشرّح ماريا سمبل التعقيدات الدامية للاختلال العائليّ بيد خبيرة ورقيقة. «أين ذهبتِ، برناديت؟» هي انتصار للملاحظة الاجتماعيّة وللكوميديا السوداء، من خلال تأريخ بارع لإرهاق الأثرياء.

Patrick deWitt مؤلّف «أخوةُ الشقيقات»

***

- كوميديا هادرة عن آداب السلوك.

Mark Haddon, People

***

-كتاب ممتع طريف يفاجئك دوماً. «أين ذهبتِ، برناديت؟» يجمع ما

بين بورتريه لمّاح دقيق عن الحياة في سياتل مع- من بين كلّ الأشياء الأخرى - اختفاء غامض في القارّة القطبيّة الجنوبيّة. إنّه كتاب ممتع.

Matthew Kneale مؤلّف «عندما كنّا رومانيّين».

***

- بقلبها الكبير المتسامح، «برناديت» تشعر نوعاً ما برغبة بالعودة إلى المنزل.

Paul Constant, The Stranger

***

- تتداخل الحوادث المضحكة مع قصّة عاطفيّة عن أزمة شخصيّة لمبدعة موهوبة، تنحرف عن مسارها... رحلة برناديت جديدة، وطريفة، وتحرّض على التفكير.

Anne Payne, Florida Times – Union

***

- سمبل هي روائيّة العصر، وكأنّها بن فاونتن في إطار شاحب... طريفة إلى حدّ غير معقول، وعميقة على نحو مخادع، برناديت تستحقّ القراءة.

Tucker Shaw, Denver Post

***

- تكتب سمبل كأنّها ريشة ضخمة، وتعرف أين تدغدغك بالضبط بمنتهى اليسر.

Holley Simmons, Washington Post Express

***

- مقاطع سمبل وهزلها الآنيّ، يجعلان برناديت من أفضل الروايات التي تقرؤونها على الشاطئ هذا الصيف.

Meganne Fabrega, Minneapolis Star Tribune

***



– سمبل، مؤلّفة Arrested Development، تفكّك التقاطعات العاديّة للحياة اليوميّة بطرافة. كونوا على ثقة أنّكم ستنجرفون مع هذا اللغز المبتكر، مثلما انجرفنا نحن.

Emily Temple, Flavorpill

***

– رواية معاصرة للغاية، ذكيّة وحمقاء، عن الزواج والأخلاقيّات والحياة العائليّة، بقلم مراقِبة تعرف المشهد الثقافيّ.

Jeffrey Ann Goudie, Kansas City Star

***

– رواية غير تقليديّة، مضحكة للغاية في بعض الأحيان، مليئة بالتعليقات الثقافيّة الراقية، وتعجّ بفوضى الحياة المتوقّعة، وبإمكانيّات غير محدودة لبهجة غير متوقّعة.

Kathryn Justice Leache, The Commercial Appeal

***

–تمتلك سمبل إحساس الروائيّ الأصيل بالنزاعات العائليّة، لكنّها تحتفظ في الوقت نفسه بالذكاء الكوميديّ لكاتب المسلسلات، وبالتالي يمكن أن نقول: إنّ هذا الكتاب طريف لدرجة القهقهة عوضاً عن وصفه بـ «المرح»... ولا تدعوا المرح الموجود في الثلث الأوّل منه يخدعكم كي تصدّقوا أنّ الرواية مجرّد هزل خفيف! في آخر صفحة، سمبل بهجائها البارع للآباء الذي يتنقّلون بالهليكوبتر– والذي يمكن أخذه على محمل الجدّ – تتطرّق كذلك إلى موضوعات الدِين والطبقة الاجتماعيّة، وما ندين به لأولئك الأشخاص الذين نحبّهم.

Nicholas Mancusi, Daily Beast

***

– لا أدري من أين أبدأ بوصف روعة هذه الرواية... لقد التهمتُ المشاهد المتعلّقة بالهوس بمايكروسوفت، وكذلك برناديت الرائعة التي تبدو كأنّها مجنونة. هيّا، انطلقوا واشتروها، ستشكرونني لاحقاً.

Megan Angelo, Glamour.com

***

– تمتلك سمبل موهبة في الهجاء والنقد غير المتوقّع، وقد كتبتْ هدية رائعة للقرّاء الشغوفين: كتاب لا ترغبون أن ينتهي.

Connie Ogle, Miami Herald

***

– دقيق وطريف، كتاب أدبيّ مشوّق... غريب، لكنّه قصّة أمّ وابنة تبعث على شعور طيّب.

Susannah Cahalan, New York Post

***

– متعة كوميديّة!

Family Circle

***

– حكاية جميلة ذكيّة دقيقة، ستبقى شخصيّاتها معك فترة طويلة بعد أن تنتهي من الصفحة الأخيرة.

Karen M. Thomas, Dallas Morning News

***

– رواية سريعة الإيقاع. سمبل تصيب هدفها، وتكشف تناقضات سياتل من خلال نقد طريف شقيّ.

Barbara Lloyd McMichael, Bellingham Herald

***

– في حال أنكم لن تأخذوا إجازة هذا الصيف، الغوص في وعاء سمبل الذي تمتزج فيه الاختلالاتُ العائليّة، والأهلُ المفرطون في الأبوّة والأمومة، والكشوفاتُ العقليّة، سيوفّر لكم هروباً طريفاً. ستجدون أنفسكم على أعقاب الأمّ الهاربة في سرد قاتم، وطريف، وإنسانيّ للغاية.

Tanya Jensen, Los Angeles Confi dential

***

- رواية بأسلوب الرسائل، قويّة وهزليّة.

Brangien Davis, Seattle

***

- هذا الهجاء الألمعيّ (فكروا ببورتلاندیا التي تدور في سياتل)، مبتكّر وطريف على نحو شرير.

Whole Living

***

- ممتعة، ذكيّة، غريبة نوعاً ما، أصيلة للغاية.

Andy Lewis, Hollywood Reporter

***

في تلك الليلة ونحن نتناول العشاء، جلستُ ما بين عبارات بابا وماما «نحن فخوران بكِ جدّاً» و «إنّها ذكيّة»، إلى أن ساد الصمت.

«تعرفان ماذا يعني هذا» قلتُ، «الأمر الكبير الذي يعنيه».

عبس بابا وماما، وألقى كلّ منهما إشارات الاستفهام صوب الآخر.

«ألا تتذكّران؟» قلتُ، «عندما بدأتُ الدراسة في غايلر ستريت قلتما إنّني لو حصلتُ على علامات تامّة في جميع الموادّ طوال فترة الدراسة، يمكنني الحصول على أيّ شيء أرغب به كهديّة تخرّج».

«أتذكّر» قالت ماما. «لقد كان ذلك من أجل صرف انتباهك عن موضوع المُهر».

«المهر هو ما أردتُه عندما كنتُ صغيرة، أنا أريد شيئاً مختلفاً الآن. ألا تشعران بالفضول لمعرفته؟»، قلتُ.



«لستُ متأكّداً» أجاب بابا، «هل نشعر بالفضول؟».

«رحلة عائليّة إلى القارّة القطبيّة الجنوبيّة!»، وسحبتُ البروشور الذي كنتُ جالسة عليه. إنّه بروشور من شركة سياحة تنظّم رحلات بحريّة إلى أماكن بعيدة. فتحته على صفحة القارّة القطبيّة الجنوبيّة، ومددته عبر الطاولة.

«يجب أن نسافر خلال الكريسماس إن كنّا سنذهب».

«الكريسماس هذا؟!» سألت ماما، «أي بعد شهر؟» ثمّ نهضت، وأخذت تحشر علب الطعام الجاهز الفارغة في الأكياس التي وصلت بها.

كان بابا مستغرقاً في قراءة البروشور، «إنّه الصيف هناك» قال، «وهو الوقتُ الوحيد الذي يمكن الذهاب فيه.»

«الأمهار ظريفة»، عقدت ماما فوهات الأكياس.

«ما رأيكِ؟» نظر بابا إلى ماما.

«أليس التوقيت سيّئاً بالنسبة لكَ بسبب العمل؟»، سألته.

«نحن ندرس القارّة القطبيّة الجنوبيّة» قلتُ، «لقد قرأتُ كلّ يوميّات المستكشفين، وسأقدّم عرضاً عن شاكلتن». بدأتُ أتلوّى في مقعدي ثمّ قلتُ: «لا أصدّق هذا! لا أحد منكما قال: لا!».